DAWN OF MIRRORS

فجر المرايا

مَولد الظل

منار بدر الدين

إبهار

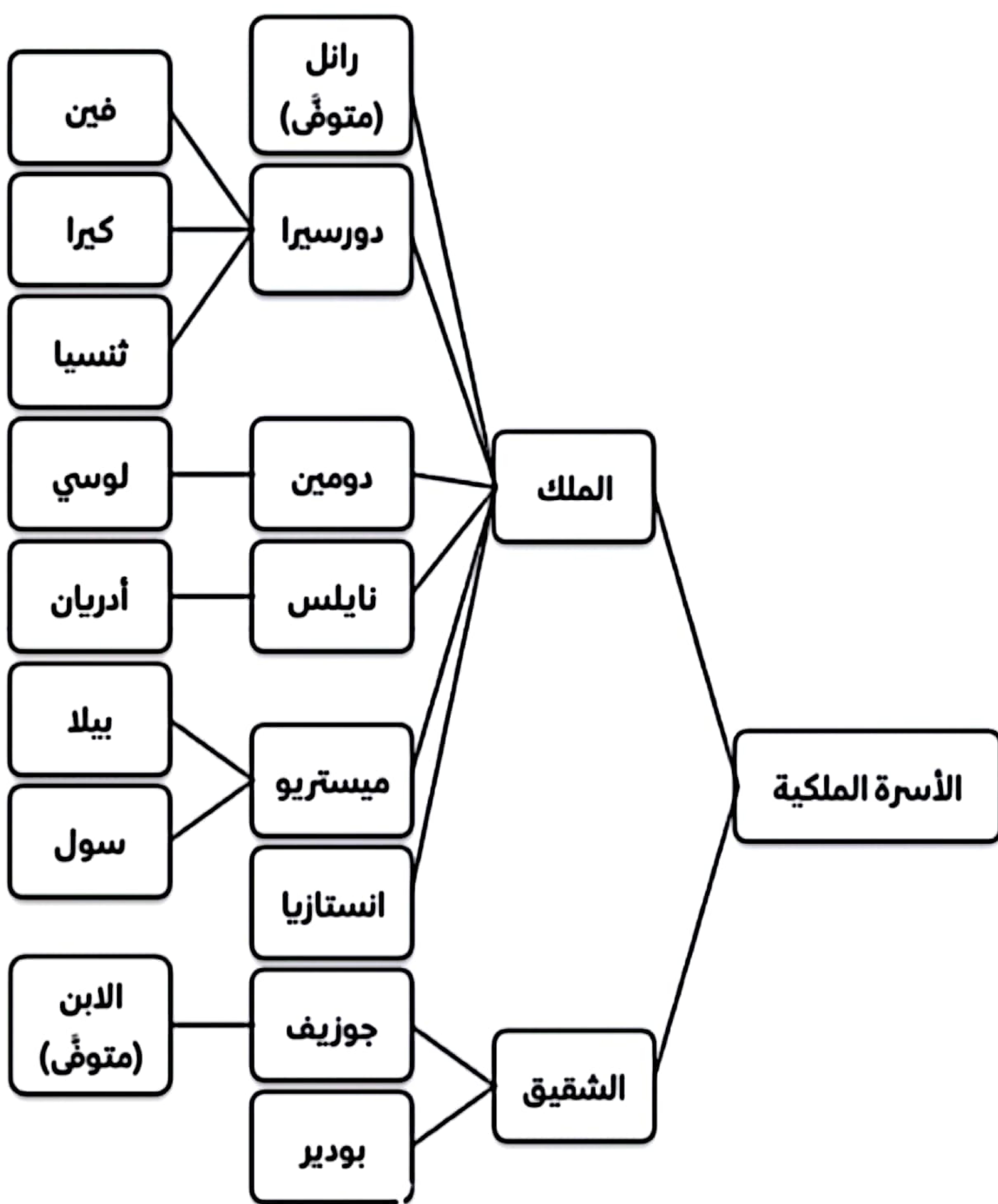
إهداء

الحمد والشكر لله، ثم لوالديّ ولأصدقائي الذين لم تبدلهم الأيام..

ثم لكل تلك النفوس التي طالها ذلك الشعور، الشعور بالرفض، الشعور بأنها غير كافية، الشعور بانعدام الاستحقاقية لأي شيء جيد بالحياة ولكنها لم تنسَقْ لذلك وقررت خوض سبيلها وهي تحارب تلك السموم التي تم زرعها بتربة ذاكرتها، لكل تلك النفوس أهديكم عملي الأول..

ثم لمحاولاتي.. أرجو ألّا تنضبي.

القاره المتجمده
شبه جزيره لونا
الأراضي الميتة
المرايا الشرقيه
جبل المرايا
المرايا الغربيه
العاصمه الأم
أراضي دورسيرا
المملكة الغربيه
المعقل الغربي
مدن الساحل
لينس الكبرى
الدرب القاحل
قريه لوستيا
أرض البعث
جزر راندوس
المختاره
ممالك السحر
١٤ يوم


الأسرة الملكية
الملك
الشقيق
رانل (متوفًى)
دورسيرا
دومين
نايلس
ميستريو
انستازيا
جوزيف
بودير
فين
كيرا
ثنسيا
لوسي
أدريان
بيلا
سول
الابن (متوفًى)

تمهيد

اختفى كل شيء من حوله، اختفت الطبيعة والشمس، لم يعد هناك عشب، حتى تلك الشابة الشقراء لم يعد لها وجود. اختفى كل شيء من حوله، ولم تعد عيناه مسلطتين سوى على تلك المرآة الهائلة التي يصل طولها حد السماء. لم تمر ثوان حتى لمسها لتنكسر محدثة انفجاراً مفجعاً، ويتحول كل جزء منها لفتات متطاير. سمع صراخاً وعويلاً، أطفال تبكي، مبانٍ وبيوت تنهار، أراضٍ تغرق، شعوب تفنى وحضارات تندثر لكنه لم يهتم. لم يشغل باله سوى تحقق الحلم والمراد، حلمه الذي سعى نحوه خلال كل ذلك الدهر وبذل في سبيله كل ما يملك. خسر لأجله كل شيء بما في ذلك إنسانيته، فكم من الأرواح تسبب في إزهاقها، وكم من الأشخاص قام بخيانتهم، لكن في النهاية مع رؤيته للأجزاء الأخيرة للمرآة متطايرة قد علم أنه صار حُراً، حُراً من تلك المرايا، ومن تلك الأرض ويمكن أن يجتمع شمله بقومه.

اتسعت ابتسامته ولمعت عيناه مسقطة دموعها وهو يرى الضوء الساطع المتكون من تدمر المرايا بأجمعها، فقد حلت النهاية، لقد تحرر أخيراً، أغمض عينيه بسعادة لكنه عند فتحهما مجدداً، كان كل شيء قد عاد، الطبيعة، الشمس، العشب، والمرآة الهائلة سليمة بلا أي خدش؛ فقد كانت تلك رؤيا فحسب.

فكر بإحباط بينما هو يشعر بخطوات الشقراء تقترب منه، مؤخراً بدأ بالشعور بعاطفة ما نحوها، لكنه لا يستطيع؛ فذلك سيدمر كل ما فعله لإتمام مهمته والقضاء على عدوه الذي طالما رأى صورته داخل تلك المرايا، لم تظهر ملامح لعدوه مطلقاً، ليس سوى أنه ملتف بالسواد ويمسك بقوس ما، لكن النهاية قد أوشكت، وقريبا للغاية سيقف بذلك الموضع نفسه مجدداً ليحقق رؤياه، قريبا للغاية سيعود.

***

[1]
سأعود

"تائه بين الاحتمالات غير المتناهية، فَقدَ التمييز بين الواقع والخيال، وحينما لمس لوهلة مرارة الواقع من حوله، اختار لذة الخيال، النهاية" .

ختمت المربية القصة التي كانت ترويها ، امتعضت كيرا لوهلة متحدثة: «ولكن هذا لا يعني أن النصر لم يحدث في الواقع حينها لإخوة الظل، هذا معناه فقط أنه حالم أبله فضّل أن يعيش في الخيال عوضاً عن مساعدة شعبه!»

نظرت المربية لكيرا بحدة قائلة:

"كيرا، انتبهي لألفاظك، أنت ابنة أميرة، وجدك الملك، يوماً ما ستصيرين امرأة ذات تأثير في المجتمع، يجب أن تكوني راقية!"

"كيرا تقصد أنه يفترض به أن يكون محارباً مثل أغلب شعبه، ويتزوج أندريا ابنة كبير إخوة الظل في ذلك الزمان، ويعيشون حياة سعيدة وينجبوا عديداً من الأميرات والأمراء»

أردفت ثنسيا وهي تدور حول نفسها كي يدور فستانها

بخيوطه الملونة، كاد فين وكيرا يسقطان من شدة الضحك من بلاهة حديث أختهما الصغرى، لم تستطع المربية كذلك كتم ضحكاتها.

"لماذا تسخران مني؟!"

تساءلت ثنسيا بحدة مبدية السأم على وجهها، وهي تعقد ذراعيها فوق بعضهما كدليل على الاعتراض، مما أظهر كمَّ براءتها.

"حسنا يا أحبائي، لا تسخروا من ثنسيا؛ فهي لم تتعلم بعد تاريخ شعبنا مع إخوة الظل بقدركما" أردفت المربية مبتسمة.

"حسناً يا ثنسيا، نحن آسفون على سخريتنا، ولكن هذه قصة عن الحالمين وإخوة الظل، أتذكرين حينما تحدثنا عنهم من قبل؟ إخوة الظل القوم الذين سكنوا هذه الأرض قبل قدوم شعبنا، والحالمين ينتمون لإخوة الظل، فبالتالي أنت تتمنين النصر لألد أعداء شعبنا! "قال فين واضعاً يده على كتف الصغيرة ثنسيا، لتضيف كيرا بعنصرية:

"تعني شعبنا وشعب العيون الحمراء!"

رفعت المربية صوتها بغضب:

"كيرا! لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام أبدا مرة أخرى!

أتفهمين؟!»

رفعت كيرا حاجبيها بمعنى: «أيا يكن»

لتعقب المربية:

"إن تفوهت بهذا الكلام مجدداً، فسأخبر والدتك في الحال! وحينها لا أظن أنها ستكون واثقة من براءتك التي تتظاهرين بها أمامها، هيا يا ثنسيا، إنه موعد نومك، وأريد منكما الذهاب لغرفتكما كذلك، فغداً سيكون يوماً هاماً لكلاكما"

ثم اقتربت المربية من كيرا وهمست بأذنها: "كيرا، كوني في عون أخيك؛ فالحكيم أخبر والدتك أن قدمه السليمة ربما أصابها بعض العطب".

تظاهر فين بعدم الانتباه لهمساتهما، اصطحبت المربية ثنسيا لغرفتها، بينما سلك فين وكيرا الممر المعاكس، فغرفهما أبعد قليلاً من ثنسيا التي أصرت أن تكون غرفتها قريبة من جدها الملك الذي لا يستطيع رفض طلب لها، فهي ثنسيا ذات الخمس أعوام، والشعر الأشقر، العيون العسلية البديعة، البراءة غير المتناهية، الحركات البلهاء، والخيال الواسع، منذ ولادتها صارت مدللة جدها وأحب أحفاده لقلبه.

سار كل من فين وكيرا في صمت قليلاً ليهمس معاتباً:

"لمَ تستمرين في قول هذا الكلام يا كيرا؟!"

فين ذو الستة عشر عاماً، الشعر الأسود القصير الثائر، العيون العسلية التي تميل للبني، البشرة البيضاء، طويل بعض الشيء، يخبره جميع الناس أن ملامحه مريحة تدخل السكينة على من ينظر إليه، مستند دوماً لعكاز.

"أسمع الناس تهمس يا فين، أرى في عيون خالنا نايلس نظرة غريبة، كأنه يكرهنا، وعندما أنظر له يشيح بنظره عني، كأنه لا يطيق النظر لي!"

"خالنا نايلس؟!! كيرا، كيف تقولين ذلك؟! لطالما كان لطيفا معنا!"

"لطيف أجل، لكن نظراته تشي بشيء آخر، لست متأكدة ما هو، ولكنه بالتأكيد متعلق بكوننا لا نشبهه ولا نشبه أسرته"

"وماذا عن "بودير"؟! هو أيضا لديه شعر أسود وعيون حمراء، ولكنك تحبينه!"

"عمَّ تتحدث؟! "بودير" هو خالنا العزيز ونعتبره أخانا الأكبر!"

"ولكنه في الواقع ليس كذلك، فهو ابن عم والدتنا، وهي تعتبره أخاها؛ لذلك فهو مقرب لنا كأخوالنا الآخرين"

"أرجوك لا تقارن "بودير" بأخوالنا الأخرين! "بودير" شيء آخر،

"بودير" هو أخانا الأكبر"

"حسنا، أظن أن علينا الاستعداد للغد إذن"..

ختم فين بتوتر على الرغم من محاولته إخفاء ذلك.

"لا تقلق يا فين، سيكون كل شيء على ما يرام، تذكر وعد والدتنا لنا، لن نفترق أبدا، لن تذهب لأي مكان، ستظل هنا برفقتنا، أتفهم ذلك؟!" أردفت كيرا مبتسمة محاولة أن تبث الشجاعة بأخيها، ابتسم لها فين على سبيل الشكر، ثم أشاح بوجهه بعيداً، أمسكت كيرا ذراعه وجعلته مواجهاً لها:

"فين، كونك كنت مهووساً بالمبارزة وركوب الخيل، لا يعنى أن روحك تنتمي للشعب الأحمر؛ فأنت لست شخصاً عنيفاً، كيف تكون كذلك وأنا دوماً أشعر بالامتنان لأن لي أخاً مثلك!"

نظر لها فين بتعجب للحظة، لم يدر أيسعد أم يحزن لما

قالته؟ هز رأسه باستنكار:

"عنيف؟! كيرا لا تفكري بذلك الشكل، لا تفكري أن ذوي العيون الحمراء عنيفون، وذوي العيون الصفراء مخادعون! هذا ليس سوى تفكير شخص ينبذ وحدة الشعبين، ويرى أن إحداهما أفضل من الآخر! من فضلك، أخرجي هذا التفكير العنصري من عقلك! أَكُل هذا لأن خالنا ينظر لك نظرة غريبة؟!"

"أنا لم أقصد ذلك يا فين، كنت أحاول أن" ..

"لا عليك، لطالما كنتِ حمقاء"

تظاهر فين بالضحك، لتضحك كيرا بدورها أثر ذلك.

"حسنا هيا، اذهبي لغرفتك"

"يمكنني السير بصحبتك حتى تصل لغرفتك أولا، أنا لست نعسة حتى"

اقترحت كيرا، أدرك فين لماذا تفعل ذلك؛ فأجابها:

"لا عليك يا كيرا، سأكون على ما يرام" قالها فين بابتسامة مربتاً على كتفها ثم سار لغرفته.

"فين، أنت أخي وسأحبك في كل الأحوال"

توقف فين للحظة لما قالته كيرا لتوها، ثم أكمل السير ليصل إلى غرفته، لم يسمعها تفتح باب غرفتها، شعر بعيونها، تنظر له لتتأكد من عدم حدوث أي مكروه له، منذ أربعة أشهر، أربعة أشهر فحسب كان كل شيء مختلف، استطاع حينها تحريك كلتا ذراعيه، وكانت لديه قدمان، الآن صارت قدم واحدة، وما يشبه العصى يتم تركيبيه أسفل ركبة القدم الأخرى ليحل محل قدمه القديمة، ذراع سليم، وذراع معطوب بعض الشيء، يصعب عليه استعماله، لكن لا بأس إن كان هذا هو الثمن لأن تظل ثنسيا سليمة ولم تصب بمكروه ذاك اليوم، لكنه لطالما كره خوف أهله الشديد حياله، يدرك أنه لو كان بموضعهم وأحدهم بموضعه، لصار شعوره مشابه لهم الآن، يذكر كيف أصرت والدته على تغيير غرفته؛ ليصير أقرب إليهم ولا يضطر للمشي كثيراً، لكنه شعر أن هذه سخافة، فما هي بضعة خطوات بعيدة عن باقي غرفهم! رفض تلك الفكرة تماماً، علم أن هدف والدته الأساسي لم يكن بعُد الغرفة بقدر ما كان إرادتها له أن يحصل على غرفة أخرى لا تطل على ساحة التدريب والمبارزة؛ حتى لا يدرك كل يوم ما فقده ويشعر بالحسرة، ولكنه رفض بشدة، وفي النهاية على الرغم من كون والدته حازمة للغاية، إلا أنها تقبلت رغبته، على الرغم من كل ذلك إلا أنه لم يستطع منع نفسه من الشعور ببعض السعادة لقلق أختيه حياله؛ فمن المفترض أن يحاول هو حمايتهما ويخاف عليهما لكونه الأكبر، لكن تصرفاتهما تلك

تشعره بالحسرة، لكن أحيانا بمزيج من السعادة والسخرية، خاصة الصغيرة ثنسيا، وكيرا التي تصغره بعام واحد، لكنها تعامله أحيانا كأخيها الأصغر الذي تبث فيه القوة والشجاعة، الفتاتان تبدوان متشابهتان بعيونهما العسليتان، وملامحهما المقاربة لوالدتهم وجدتهم، لكن كيرا ذات وجه أطول بعض الشيء وشعر أسود اللون، بينما ثنسيا شقراء ذو وجه مستدير وعيون أوسع، فكر فين لوهلة، كيرا وثنسيا، أيمكن أن يكون غداً صباحاً أخر مرة يراهما فيها حتى يبلغ الثلاثين عن عمره؟! أغمض فين عينيه محاولاً تناسي ماهية الغد، فهو سيكون فحسب البداية لليوم المصيري.

***

مع بداية تغريد الطيور استيقظ فين، لم يستطع النوم بشكل جيد بسبب قلقه من حدث اليوم، استند لعكازه وسار حتى نافذته المزركشة، لطالما شعر أن كل هذا كثير للغاية، الزركشة في كل مكان، الفراش الذي يشعر أنه يكبر حجمه ثلاثة مرات، الأفرشة الناعمة للغاية، هو في الواقع لم يعتد سوى على ذلك، لكنه دوما أراد أن يصير محارباً، أن يحيا أيامه بين المعارك ليس بين الستائر الحريرية، أن يقضي لياليه بخيمة تنُصب في أي مكان، لا على فراش صُنع لثلاثة أشخاص وبطريقة ما صار فراشه. نظر من نافذته، كان النهار على وشك نشر ابتسامته وإنارة الكون ككل يوم، تلك اللحظة هي الأفضل بالنسبة لفين، وهو يرى ألوان السماء تمتزج بين

البرتقالي والوردي والسماوي، لتعطى أكثر شيء يمكن أن يشعره بالبهجة، يشعر أحيانا بأن ذاك المنظر يذكره بكِلْتاَ أختيه؛ فهو يشبه جمال ابتسامة ثنسيا وبراءتها، وكذلك يشبه تشجيع كيرا فهو يعلم أن بعده سيأتي النهار ليعم الأرض. ابتسم فين للفكرة، نظر لوهلة لساحة التدريب، لم يوجد بها أحد، ليس بعد، إذ لا يبدأ الناس يومهم داخل القصر سوى بعد ساعة من الآن، نظر للسيوف المرصوصة، الأقواس والأسهم، دوائر التصويب، الأدرع المختلفة، دمى التدريب وتذكر أيام مضت، أشاح بنظره عن كل ذلك، وأوشك على الابتعاد عن النافذة لولا أن شيئا ما لفت نظره، لم يلق فين عند بداية وقوفه بالقرب من النافذة اهتماماً لذاك السهم المتروك في دائرة التصويب، ظن أن أحدهم نسيه، لكنه يرى الآن شخصاً يمسك قوساً وحاملة أسهم أعلى كتفه، ويمشي بتوجس جهة دائرة التصويب لينتزع السهم منها، ضيق فين عينيه قليلاً محاولا التعرف إلى هوية ذلك الشخص، كيف لم يره؟! حتما كان يقف في أحد الممرات التي تقود للساحة، ولكن بطريقة تجعل دائرة التصويب تقع تحت منظوره، إن كان الأمر غير ذلك، كيف لم يره فين ونافذته تطل على الساحة بأكملها؟! حتى على الرغم من وسعها، فحتما كان فين سيلمحه في حال إن وقف في أي ركن من الساحة، هذا يعني بلا شك أنه ماهر في الرماية ليستطيع إصابة الدائرة من هذا البعُد! كان يرتدي الأسود، فلم يظهر أي لون لملابسه سوى الأسود، استطاع فين أن يلمحه يرتدي حذاء طويلا وشالا أسود طويلا يغطيه كله، له غطاء رأس يخفي به رأسه، حاول فين أن يلمح وجهه، ولكن بلا

طائل، بدا ذا طولٍ معتدل وجسد صغير، هذا لا جدال فيه، كم شخصاً يعرفه فين بتلك المواصفات؟!

كثيرون! وكم شخصاً لا يعرفه بهذه المواصفات؟! أكثر! شعر فين بالحيرة، لكنه يعلم أغلب من في القصر، لم يطل تفكيره فقد سمع صوت نباح يقترب، ثم رأى كلب الحداد يجري جهة الشخص الملتف بالأسود، أعتقد أن الكلب سيؤذي ذلك الشخص، لكن الكلب توقف أمام ذلك الشخص وظل يراقبه فحسب، فجأة سمع فين صوت الحداد ينادي «سكودو»، سار ذلك الشخص مبتعداً، ودخل أحد الممرات، كاد الكلب يسير خلفه لولا قدوم الحداد من ممر آخر معاكس «سكودو، أيها الكلب الأخرق! تعال إلى هنا!

أهذا ما أحصل عليه حين أقرر السماح لك باللهو قليلا؟! تركض في الأرجاء؟!». لم يعره الكلب اهتماماً، بل ظل ينظر بالجهة التي سار منها الشخص، وكان ذلك غير معهود من الكلب الذي يجري بسرعة جنونية حين يرى صديقه الحداد «إلام تنظر يا سكودو؟! هيا بنا؛ فعملي سيبدأ قريباً، لنذهب من هنا.»

أنهى الحداد حديثه ثم سار مبتعداً وبرفقته الكلب، فكر فين مبتعداً عن النافذة، الممر الذي دخله ذلك الشخص يقود للجزء الملكي، فمن يكون هذا الشخص؟ جلس فين على فراشه بينما يدور بعقله مئات التساؤلات، انتهت بالتساؤل الأكثر منطقية

وهو: فين، حقاً لما تكترث؟! ربما يفضل أن تفكر في حدث اليوم، ابتسم بسخرية لخاطرة أنه ربما يشغل نفسه بأمر ذاك الشخص لينسى حدث اليوم، فجأة سمع صوت باب ينغلق، لم يكن الصوت شديداً، لكنه شعر به قريباً من بابه، فهو لن يكُذب أذنه، استند لعكازه وسار تجاه الباب، فتحه سريعاً ثم نظر في الممر لكنه لم يجد أحداً، من يوجد معه في هذا الممر؟! أبناء أخواله وأخته. سار فين لغرفة كيرا ودق على الباب، فتحت له كيرا مندهشة.

"كيرا، أسمعت ذلك؟!"

"عمَّ تتحدث، فين؟!"

سألته كيرا محركة مقلتي عينيها في الأرجاء.

"ألم تسمعي بابا ينغلق الآن؟!" هزت كيرا رأسها بمعنى كلا "أكاد أقسم أني سمعت بابا ينغلق" قالها فين بسأم ثم حاول تغيير الموضوع.

"منذ متى وأنتِ مستيقظة؟"

"منذ بعض الوقت، كنت أشاهد الشروق"

دخل فين غرفتها التي هي حتما أقل ألوانا من غرفة الصغيرة

ثنسيا، ثم وقف بالقرب من النافذة، نافذتها هي الأخرى تطل على الساحة، لكن ليس بمقدار نافذته التي تطل على الساحة بأكملها وما بعدها.

"إذن رأيتِ ذلك الشخص؟"

تساءل فين لتجيبه كيرا متسائلة هي الأخرى:

"أي شخص؟"

"ذلك الشخص رامي الأسهم!"

صاح فين بتعجب ناظراً لها بشيء من الحيرة، نظرت كيرا بدهشة نحو النافذة:

"لقد ركزت في الشروق يا فين، لم أرَ شيئاً"

"يستحيل يا كيرا أنك لم تريه، شيء كهذا سيلفت انتباهك حتماً!"

"يا أخي العزيز، تعلم كنت أتأمل الشروق وأحلم بأميري الفارس، وبقصرنا البديع"

"أنا لست بهذه السخافة! تخدعينني أحيانا بتظاهراتك تلك،

لكن هذا التظاهر أكثر بلاهة من أي تظاهر أو أكذوبة أخرى"

أردف فين شاعراً بالسأم، فكيف لم ترَ ذلك الشخص؟! إن هذا غير منطقي:

"ماذا أخبرك، فين؟! لم أرَ أحداً!"

صاحت كيرا بغضب، نظر لها فين بتعجب فتجنبت نظراته وسلطت عيونها على الأرض وحكت ساعدها ثم نظرت له مجدداً:

"أنا متوترة قليلاً من حدث اليوم" ازداد تعجبُ فين:

"لماذا؟! ألم تكوني أنت من يخبرني أن اليوم سيمر بسلام؟! ما الذي تغير؟!"

تساءل فين، تنهدت أخته ثم أجابت:

"لا أدري، ربما لأن بعضاً سيرحل للمملكة الغربية، ولن نراهم حتى يتموا الثلاثين من أعمارهم، ألن تشتاق لأحد يا فين إن رحل للمملكة الغربية وعلمت أنك لن تراه كل تلك المدة؟!"

المملكة الغربية لا تختلف كثيراً عن العاصمة هنا أو عن

المملكة الشرقية، لا يدري ما المشكلة بذهاب أي منهم للمملكة الغربية إذا أظهرت المرايا أن حقيقة روحه تنتمي لها، فكر فين، حقاً هو لا يدري لماذا هو نفسه يخشى أن تظُهر المرايا أنه ينتمي للمملكة الغربية، ربما هو لا يريد ألا يرى عائلته لكل تلك الفترة فحسب، لا يدري.

"أنا أدرى جيدا من ستفتقده إن علمت أنه سيذهب للمملكة الغربية" .

قاطعت كيرا أفكار فين بنبرة خبيثة، نظر لها فين بعدم استيعاب لتكمل كيرا:

"بيلا الرائعة هي من ستفتقدها، التي حفظت كل تلك الأشعار وكتبت كل تلك القصائد لأجلها"

شعر فين بالحرج، عمَّ تتحدث تلك الخرقاء؟! بيلا ليست سوى ابنة خالِهِ فحسب، أجل إنها ابنة خاله فحسب!

"هل احمرَّ وجهك بالفعل يا فين؟!" تساءلت كيرا ضاحكة.

كلا، كلا، هذا ليس صحيحاً، فكَّر فين شاعرا بالحرج يغزوه، لماذا يصيب الاحمرار وجهه؟! سحقاً، حاول فين تغيير مجرى الحديث:

"ما الذي يؤكد لك أن أبناء أخوالنا هم من ستظهر المرايا أنهم ينتمون للمملكة الغربية؟! ربما قد يكون أنا" ضحكت أخته مجيبة:

"كلا، فأنت لن تكون من ذوي العيون الحمراء، أنا فقط أدري ذلك جيداً"

نظر لها فين معاتباً.

"الذين هم أفضل وألطف الأشخاص في الوجود" أضافت وهي توسع عيونها متظاهرة بالبراءة.

"اخرجي من هنا يا كيرا قبل أن أركلك بالعكاز!" قال باستهزاء لتردف كيرا:

"إنها غرفتي أيها الأحمق!"

***

"شعب واحد نحن وسنظل كذلك، لن ينعتنا أحد بملائكة الغدر أو بالشياطين، لن ينعتنا أحد بالعنف أو بالمكر، ننتمي نحن لقائدنا وموحدنا (كوراخي) وبانية حضارتنا (ثنسيا) نحن شعب واحد، شعب الشجاعة والفطنة، ننتمي لقائدنا وموحدنا (كوراخى) وبانية حضارتنا ثنسيا من بعدهما سنظل شعب واحد

ولن نتفرق مجدداً».

أخذت بيلا تغني أغنية الوحدة مراراً، الأغنية التي غناها يوم شاعر ذو صوت عذب، قيل أنه لم يؤلف الأغنية، لكنه سمعها على لسان أحدهم وشعر بأنها ستحث الشعبين أكثر على الوحدة، خاصة بعد توحيد الشعبين بالفعل بزواج ملك الشعب ذوي العيون الحمراء كوراخى من أخت ملك الشعب ذوي العيون الصفراء ثنسيا أراد ذلك الشاعر أن يكون له دور في إيقاف التعصب والعنصرية، وشعور كثيرين ببعض الضغينة المكتومة تجاه الشعب الآخر، فأخذ يغني تلك الأغنية في أي مكان يذهب إليه، ولروعة صوته قلده كثيرون، وصارت الأغنية أيقونة حتى الآن، تغُنى في أي مناسبة يكون فيها أي شعور بالحساسية تجاه أحد الشعبين.

شعر فين بالامتنان لمحاولة بيلا بث روح الوحدة في جميع الناس بغنائها الآن لتلك الأغنية؛ فهو حقاً يكره العنصرية من أي نوع تجاه أي من الشعبين بقدر كرهه لإخوة الظل والمرايا العظيمة، شعر فين بالسعادة أيضا لتذكره لأخته الصغرى من خلال تلك الأغنية، حيث إن أخته الصغرى سميت باسم بانية حضارتهم ثنسيا. كانت الرحلة الآن سيرا؛ فالطريق الحالي غير مناسب لمرور العربات التي تجرها الأحصنة التي نقلتهم بالفعل من القصر حتى أقصى الشمال، حتى جبل المرايا الذي يسيرون فوقه الآن كي يصلوا للمرايا العظيمة التي تقع على جانبيه، استغرقتهم الرحلة حتى الآن يوماً بأكمله، فالعاصمة تعتبر

قريبة للغاية من أقصى الشمال، إن لم تكن بالفعل تقع به، وها هم الآن على وشك أن يروا شروق اليوم التالي.

سابقا كان لكل شعب المرايا الخاصة به؛ لذلك لا توجد المرايا على أحد جانبي جبل المرايا فحسب بل على كليهما، يتم تنظيم ذهاب كل الأطفال من عمر الحادية عشر حتى الثامنة عشر للمرايا حسب الأقرب لديارهم، فين، كيرا، أولاد أخوالهم، تم تنظيم ذهابهم للمرايا في الجهة الشرقية، ليست لأنها الأقرب، بل لأن ذلك هو العام الذي تذهب فيه العائلة الملكية لتلك الجهة، فكل عام تحدد فيه المرايا أتنتمي روح الطفل للشعب ذوي العيون الصفراء أم الشعب ذوي العيون الحمراء، تذهب العائلة الملكية لإحدى الجهتين؛ حتى يشعر الشعب بالمساواة وأن العائلة الملكية تذهب لكلا الجهتين ولا تفضل إحداهما عن الأخرى أو تخصها، كان ذلك أحد القوانين التي تم وضعها منذ القدم من قبل موحدهم كوراخي؛ ليحاول إبعاد التفرقة بقدر الإمكان، ليرى الشعب أن العائلة الملكية نفسها تحتوي على ذوي العيون الصفراء وذوي العيون الحمراء. سار كل من فين وأخته وأولاد أخواله يحيط بهم بعض الحراس، وخلفهم الأطفال الآخرين أعلى ذلك المنحدر الجبلي، أغلب السائرين كانوا من ذوي العيون الصفراء؛ نظرا لقرب المملكة الشرقية التي تخص الشعب الأصفر سابقاً، بينما المملكة الغربية التي تخص الشعب الأحمر سابقا أقرب للمرايا العظيمة الموجودة على الجانب الأخر من جبل المرايا.

توقف أدريان ابن خال فين وأخذ ينظر للمناظر الطبيعية بانبهار، فهو لم ير جبل المرايا من قبل أو المظهر من أعلاه؛ حيث إن والد أدريان الخال نايلس وزوجته من ذوي العيون الحمراء؛ لذا فمن الطبيعي أن أدريان عاش أغلب حياته في المملكة الغربية، لكن على الرغم من معيشته أغلب حياته بعيداً عن أولاد عمه، وكونه مشاغباً بعض الشيء، إلا أنه في الواقع شخص طيب الخصال. سارت بيلا جهته مردفة:

"بديع هو المنظر، أليس كذلك؟! تلك الألوان الخلابة التي يصطبغ بها الجبل، تبدو كألوان لوحة فنية، وأيضا مظهر الكون من أعلى الجبل، لا كلمة يمكنها وصفه"

أجاب أدريان ابنة عمه وهو ينظر باتجاه العاصمة بانبهار: «هذا مبهر حقاً! إني أرى قصر العاصمة من هنا! وكذلك تفرع النهر الخاص بالمملكة الشرقية!»

"أفهم إحساسك تماماً يا أدريان، تشعر أن العالم كبير للغاية لكن على الرغم من ذلك تستطيع رؤيته بأكمله كما لو أنه ملكك، تشعر بأنك في واحدة من تلك اللوحات الفنية التي تتلون فيها السماء بالسحاب الوردي، والشفق الأزرق اللامع، ترى شلال النهر الذي يصبه في البحر، وتشعر كأنك في قصة خيالية من تلك التي يحكوها للأطفال عن الفرسان والسحر والحب"..

نظر لها أدريان ضاحكاً:

"بيلا، أنت تقرئين أفكاري!"

ابتسمت له بيلا:

"أدريان يا ابن العم، صدقني، مررت بهذا الشعور من قبل، ومازالت أشعر به حتى الآن"

"هل جئت هنا من قبل يا بيلا؟" أجابته بيلا:

"أجل، جئت في زيارة من قبل، وحينما رأيت هذا السحر شعرت بأنني أود أن أعيش هنا عمري بأكمله".

"بيلا ترى الجمال في كل شيء، حتى في أحلك الأشياء، ولكني لا أستطيع أن أخالفها في أن الحياة هنا تبدو كفكرة ساحرة".

قاطعهما فين وهو يتجه لهما ثم أكمل:

"ولكني لا أظن أنك هنا ستستطيعين مساعدة الناس كما تفعلين وأنت بالمملكتين والعاصمة الأم!"

ابتسمت له بيلا قائلة: «هذا صحيح يا ابن عمتي فين،

ومساعدة الناس بالتأكيد أفضل شيء بالنسبة لي»

"حسنا يا رفاق، أظن أنه يجدر بنا أن نكمل السير كي لا نتأخر عن الآخرين"

أردف أدريان مكملاً السير وهو ينظر لسحر العاصمة الأم من أعلى الجبل.

"أدريان، بعد العرض على المرايا سأتحداك في رمي الأسهم، ولن تستطيع الغش للفوز كما فعلت في المرة السابقة" رأى فين أخته تتجه نحو أدريان قائلة ذلك.

"اقنعي نفسك أني غششت كما وددت يا كيرا؛ مازال هذا لن يجعلك تفوزين حتى بعد مئة عام"..

"سنرى بشأن ذلك أيها المتفاخر"

ضحك كلٌّ من فين وبيلا لمشاغبات كيرا وأدريان، ثم ابتسمت بيلا لفين وأكملت السير، لم يمنع فين نفسه من الابتسام، فمن لا يبتسم عند رؤية البديعة بيلا؟! كم هي ساحرة حقا! بعيونها العسلية اللتين تقتربان للخضرة، وشعرها الكستنائي الذي ورثته عن والدتها المتوفاة، توفيت منذ كانت بيلا صغيرة للغاية، وذلك بعد إنجابها لشقيق بيلا الملقب بسول، في أثناء تواجدها بشبه جزيرة لونا بفترة قصيرة، لا

يعرف فين عنها كثيرًا، ليس سوى أنها كانت امرأة صالحة وأن خاله الأصغر ميستريو أحبها، فكر فين لوهلة أيمكن أن يكون له هو وبيلا ذات الخمسة عشر عام قصة حب أيضا؟! ليس بالضرورة أن يموت أحدهما، ما يعنيه أيمكن أن تبادله الشعور نفسه يوماً ما؟ شعر بسخافة الفكرة؛ فبيلا فتاة يعشقها جميع الشباب بينما هو.. هو ليس سوى فتى يستند إلى عكاز، أبعد الفكرة عن خاطره وأكمل السير.

***

كانت المرايا تقع على امتداد بصرهم، قريبة للغاية، كبيرة للغاية، ذلت نقوش كثيرة مبهرة لم يرها فين من قبل، أمامها حجر عملاق مليء بالنقوش هو الأخر، شعر كأن المرايا بوابة لعالم آخر من هول ضخامتها، بداخلها نقاط مضيئة تبدو كالنجوم، ويمر من جانبها الشلال ليبدي مظهراً لا يكاد يحلم به المرء من هوله، يوجد حولها عديد من التماثيل العملاقة، أحدها لمسخ بشع يتحاشون جميعهم النظر إليه، يبدو كشخص حُرق وسُلخ ومُثل بجثته، ولكنه ظل على قيد الحياة، لديه مخالب كالذئب، ووجهه يظهر عليه أعتى علامات العذاب، يوجد تمثال أخر لامرأة تظهر عليها ملامح إخوة الظل من العيون التي ليس لها بؤبؤ وسوداء بأكملها، ذات شعر كثيف للغاية يصل حتى أسفل قدميها، يقول بعض أن تلك هي أندريا(ابنة كبير إخوة الظل التي تسببت في الفرقة بين الشعبين الأحمر والأصفر في بادئ الأمر، بعدما جاءوا لهذه

الأرض وهم كالإخوة، رأى فين كذلك تمثالاً آخر لرجل لديه أذن واحدة تبدو عليه ملامح الهدوء، يبدو شخصاً عاديّاً جداً، لكن ملامحه تبعث السكينة بشكل غير طبيعي، وفي نظرته تشعر كأنه يعرف كل أسرار الكون، لا يدري أحد من هذا، يقول بعضهم أنه يرمز لأحد الحالمين، ولكن لم يستطيع أحد تمييز هويته، هناك تمثال آخر لشيء يبدو كالشبح أو الروح، لا تظهر ملامحه، لا يظهر سوى أنه يصرخ ويثير الرعب في النفوس، لا أحد يدري حقاً عما يشير له ذاك التمثال، لكن كثيرون يقولون أنه يشير بشكل أو بآخر لغابة الظل التي وقعت بها حرب الدمار والأشباح(قديما بين جيوش إخوة الظل وجيوش الشعبان الأصفر والأحمر، بقيادة القائد العظيم ذو العيون الصفراء أمار سُميت بالدمار لأن بسببها تدمر جيش إخوة الظل بشكل كبير، ومات كبيرهم، وكذلك تدمر جزء كبير من جيش القائدين أمار و روخ، اللذان كانا متحدين حينها كالإخوة، ومات في تلك الحرب القائد أمار، بينما سُميت حرب الأشباح لأن حتى اليوم فقط الأبله هو من يطأ تلك الغابة فلم يخرج منها أحد سوى ميت أو مجنون؛ حيث يقُال إنها مسكونة بالأشباح وأرواح الجنود بقيادة كل من كبير إخوة الظل والقائد ذو العيون الصفراء أمار اللذان مازالت تتقاتل أرواحهم حتى اليوم بجيوشهما، لا يدرك فين إن كانت الرواية حول ذاك التمثال حقيقة أم لا، لكنه لم يشعر أن ملامح ذلك التمثال تصرخ لتثير الرعب في الأنفس، ربما هو يصرخ لأنه يستنجد، لكن لن يفهم أحد أبدا ما يدل عليه ذاك التمثال حقاً، بينما التمثال الأخير لرجل بعيون صفراء، لكنها لوثت بالدماء

المتساقطة منها، لم يبد الرجل باكياً أو حزيناً فقط، بل بدا أن سبيله صار غزيراً بالدماء حتى احتقنت عيناه بهما وفاضت، كذلك يداه امتلأت بالدماء، على الرغم من ذلك، بدا ذلك الرجل غير مكترث بذلك، ربما أشار هذا الرجل للشعب الأصفر والأحمر من وجهة نظر إخوة الظل، تلك هي التماثيل الخمسة المحيطة بالمرايا التي يكاد يصل طولها إلى السماء، فجأة رأى فين كيرا تجرى نحو المرايا هي وبيلا وأدريان.

"خالي "بودير"!"

هتفت كيرا بسعادة وهي تركض حيث وقف «بودير» وبجواره صديقه العزيز رادو وبعض الحراس لتنظيم الأطفال، عانقت كيرا «بودير» بشدة، كذلك بيلا وأدريان عانقاه، بدوا سعيدين للغاية لرؤيته هو ورادو، لم يظهر سول ابن الخال بهجته الشديدة، لكنه ابتسم لهما على سبيل التحية ثم سار مبتعداً بتوتر ليقف وحده، سار فين بأسرع ما لديه وعانق كل منهما بسعادة، رؤيتهما بالتأكيد أزاحت عن كاهله بعض التوتر.

"لا يمكنني وصف سعادتي لرؤيتكم جميعا، جئت إلى هنا خصيصا في هذا الوقت لأراكم مجتمعين"

أردف «بودير» بسعادة، ابتسموا لكلماته جميعًا عدا سول الذي ظل بمفرده على بعُد بعض الخطوات، ينظر للأرض ببعض الوجل في عينيه، لطالما كان فتى منطوياً ذا تصرفات

غريبة، وقد شاع في بعض الأحيان أن لديه علة عقلية.

""بودير"، حقاً إننا أسعد ما يكون لرؤيتك، حزنت لعدم حدوث ذلك في القصر منذ أيام، لكن أي حزن راودني ذهب الآن بسبب رؤيتك" قالت بيلا بنبرتها الساحرة، "وماذا عني أيتها الفصيحة؟!" هتف رادو.

"وبالتأكيد أنت كذلك يا رادو؛ فأنت أخنا الأكبر الذي نلجأ له دوماً" جاوبته بيلا، ابتسم رادو مربتاً على شعرها الكستنائي، رادو ذو الخمسة والثلاثين عاما، صديق "بودير" المقرب، ليس من أصل نبيل، كان في يوم من العامة والتحق بالجيش، هناك تقابل مع "بودير" وكانا ألد الأعداء حينها، لكن بمرور الأيام وتجاورهما في القتال صارا صديقين عزيزين، وفي النهاية صار رادو قائد الجيش في العاصمة الأم، ذو شعر أسود قصير وعينين حمراوين، يقترب لونهما من البرتقالي قليلاً، جيد الملامح، ليس مفتول العضلات، لكنه بلا شك يتسم بالقوة ويكونه أحد أبرع المبارزين في المملكتين والعاصمة الأم، ذو ملامح دقيقة وأنف طويل ومحدد يبدو كأنه مرسوم، أطول من "بودير" بعض الشيء. بينما "بودير" في السابعة والثلاثين من عمره، ذو شعر أسود كالفحم، وعينين حمراوين كالدم، شعره طويل قليلاً يصل لمنتصف عنقه، قوي البنية، لديه ندب في الجهة اليمنى من جبهته، سمع فين أنه تلقاها عند مبارزته لأحد المقاتلين الشرسين، ولكن لا أحد يتحدث عن الأمر، و"بودير" ذاته دوماً يغير مجرى الحديث

عندما يتم سؤاله عن قصة تلك الندب. كان كل من "بودير" ورادو يكونان فريقا يحلم كل هؤلاء الأطفال الواقفين تكوينه مع شخص ما؛ فهما كالأخوين، كل منهما مستعد للموت لأجل الأخر، على الرغم من تفرقهما طويلاً، إلا أن عند وجودهما في المكان نفسه لا تراهما إلا سويا، فهما كالقوس والسهم، كالسيف والدرع، كالورقة والقلم.

"سمو الأمير، أخبروني أنك ستكون موجودًا هنا اليوم، فهل نبدأ؟" وجه مسئول تنظيم الأطفال ذاك السؤال ل"بودير"، ووقف بجوار مسئول التنظيم شخص يربط شيئاً ما حول رأسه يبدو كالقبعة ويبدو عليه ملامح الإجهاد.

"هل اكتمل الأطفال؟" سأل "بودير" "أجل، سموك"

"حسنا لنبدأ إذن وننتهي من هذا سريعاً، أخبر الحراس بما عليهم فعله"

"تم بالفعل يا سمو الأمير "بودير"، وقد قاموا بتنظيم الأطفال في صفوف حسب الأعمار"

"والأطفال الأمراء؟"

"كل شيء، نظُم يا سمو الأمير"

"حسنا إذن، فلتبدأ"

وقف فين أمام بيلا وخلفهم كيرا في الصف، ثم عاوده التوتر مجدداً، وسُلِّط تفكيره في تلك المرة على كونه يحمل إحدى صفات أهل المملكة الغربية وهو الشعر الأسود، وهذا يزيد من احتمال أن تكون روحه تنتمي للمملكة الغربية؛ حيث إن التاريخ يذكر أن قديماً كان أغلب ذوى العيون الحمراء لديهم شعر أسود، بينما ذوى العيون الصفراء لديهم شعر بني، لكن مع مرور السنوات اختلف الأمر، لكن يظل الشعر الأسود من الصفات الصغيرة للغاية المنسية التي تدل على الشعب الأحمر، رأى ذلك الشخص الذي كان يقف جوار منظم الأطفال يتقدم للمرايا ويلمس الحجر الواقع أمام المرايا ذات النقوش الغريبة، يبدو أن ذلك الرجل من جماعة الممسوسين، وهم أفراد تكون وظيفتهم الوحيدة هي لمس الحجر الواقع أمام المرايا، ومعرفة كل ما يتعلق به وبإخوة الظل وبالمرايا، يفنون عمرهم بأكمله للتدرب على لمس ذلك الحجر دون أن يصيبهم الجنون أو العته الباقي من عمرهم، لذا فأعدادهم في تناقص مستمر؛ فلا أحد سيترك حياته كله ليتدرب على كيفية لمس حجر وعدم التحول لمجنون إثر ذلك، أسودت عيني الرجل تماماً وبدا كأنه فقد الوعي أو كما لو أن صاحب الجسد قد رحل واستبُدلت روحه بشيء أو بكيان أخر، بدأ التحدث بصوت عالٍ وغريب وعميق بعض الشيء:

"يا شعب العيون الحمراء، يا شعب العيون الصفراء، أيها

المغتصبون، نهبتم أراضٍ لم تكن لكم، دمرتم فيها وحولتم زرعها لخراب، دمرتم حضارة وشعب بأكمله، لا لأي شيء سوى لطمعكم وجشعكم، إذن انصتوا جيداً، أيها الشعبان المغتصبان، سافكو الدماء، زاهقي الأرواح، ومدمري الحضارات، نحن إخوة الظل نعدكم أنكم لن تعيشوا في أرضنا في سلام، وستظلون دوماً في حروب وستدمرون أنفسكم يوماً كما دمرتم شعبنا، وسيوُلد طفل من نسلكم، لكن يحمل دماءنا وسيؤدي لدماركم وفنائكم تماما، هذا قانونكم الجديد، كل الأطفال من أعمار الحادية عشر حتى الثامنة عشر عام، سيقفون مرة كل سبعة أعوام أمام هذه المرايا لتظُهر المرايا حقيقة أرواحهم، أينتمون لذوي العيون الصفراء أم لذوي العيون الحمراء، وأي طفل تظُهر المرايا أن روحه لا تنتمي للشعب الذي يعيش برفقته سيرحل لأراضي الشعب الآخر، حتى يتم الثلاثين من عمره، وبعدها يمكنه أن ينتقل لأي مكان يريده في الأرض، لكن قبل ذلك غير مسموح، وإذا تمت مخالفة ذلك القانون في طفل واحد فقط، ستعم أمراض تحولكم إلى مسوخ وتقتل أطفالكم، وإذا امتنعتم تمامًا عن ذلك لمرتين متتاليتين سيجف النهر تماماً، وتعم المجاعات وتموت الأرض، وأيّاً كان ما اخترتموه لأطفالكم، فليعلموا أن أباءهم وأجدادهم هم السبب فيما يعانوا منه الآن، هذا القانون لكلا الشعبين اللذين لعنا أرضنا بمجيئهما فيها، ولكن أرضنا ستلعنكم كما لعنتموها".

أبعد الرجل يده عن الحجر، ووضع يده على رأسه كأنه يعاني من الدوار، كما بدا أن وعيه عاد له، تعالت بعض الأصوات،

بعضها بالبكاء وبعضها بشتم وسب إخوة الظل.

"هدوء!"

صاح منظم الأطفال، ولكن ظل هناك بعض الهرج «اهدأوا!»

صاح «بودير» بصوت جهوري لتنخفض الأصوات، وتسود بعض الهمهمات، أكمل «بودير»:

"إخوة الظل لم يعودوا موجودين، انقرضوا جميعهم، لا ندري لماذا، ولكنه كان بالتأكيد عقاب إلهي لصنعهم لتلك المرايا، وها نحن متحدون، نحن انتصرنا عليهم، فلا يجب أن نزعج أنفسنا أبدا أو نشعر أنهم هم من انتصروا، فهم كانوا سبب وحدتنا؛ فهذه المرايا هي من جعلت قائدنا كوراخي وبانية حضارتنا ثنسيا يوحدانا، المرايا التي صنعها إخوة الظل في يوم لتفريقنا هي من وحدتنا!"

هدأ الأطفال تماما عند ذلك الحين، من كان يبكي فيهم صمت، ومن كان يسب توقف عن ذلك، وابتسم كثيرٌ منهم ابتسامة نصر لما قاله «بودير»، لمح فين أخته تبتسم هي الأخرى بفخر جهة «بودير»، أخذت بيلا تغني أغنية الوحدة بصوتها العذب، بينما ابتسم أدريان نصف ابتسامة، وسول ظل ينظر ل»بودير» وهو يهز رأسه بخوف وغير تصديق، شعر فين ببعض الراحة لما قاله «بودير»، ولكن هذا لم يزل قلقه تماماً.

بدأ المنظم والحراس في عرض الأطفال أمام المرايا، لتظهر حقيقة أرواحهم، يقف الطفل أمام المرآة ويلمسها فتظهر صورته فيها، وما حقيقة روحه؛ أهو أحمر أم أصفر العينين؟ ثم يسير أثر ذلك فورا لأحد الجهتين، حيث كان يقف حراس في جانبين مختلفين من المرايا؛ ليأخذوا كل طفل للمملكة التي تنتمي لها روحه بعد توديع أهله سريعاً، يذهب الأطفال التي تنتمي روحهم للشعب الأصفر للجهة اليمنى، بينما الجهة اليسرى يتجه لها الأطفال التي تنتمي روحهم للشعب الأحمر.

"كيف حالك، أيها القوي؟!"

فوجئ فين برادو يسأل واضعاً يده أعلى كتف فين، ابتسم له فين على سبيل المجاملة.

"لا تقلق أيها القوي، كلنا مررنا بتلك التجربة وقلق كثيرون، بالطبع أنا لست منهم فأنا لا أهتم لذلك الهراء" قال رادو باستعلاء ثم أكمل:

"وفي النهاية يعيشون جميعا، أتعلم؟ سأخبرك بسر أيها الفتى" تظاهر رادو بأنه ينظر حوله وشعر فين ببعض الحيرة.

"أصابني القلق أنا الآخر، كل ما شعرت به بعد التعرض لتلك المرايا أن الحياة دبت بداخلي، اختلفت طباعي قليلاً، لكن ها أنا هنا أكملت أعوامي الثلاثين، وصرت حرًّا في

النهاية، لكن لا تخبر أحدا بذلك؛ فكما ترى أحاول الحفاظ على سمعتي"

أنهى رادو حديثه ثم غمز لفين سريعاً، لن يكذب فين؛ فقد أنساه ذلك الحديث توتره بعض الشيء وابتسم بسببه.

"هل حاول أحد من قبل تدمير المرايا؟!" سألت كيرا رادو:

"بالطبع أيتها المشاكسة، حاول أجدادنا فعل ذلك لكنها لم تتأثر، يبدو أن شخصاً ما لا ينصت جيداً لقصص مربيته" ضحكت كيرا..

"عفوا يا سمو الأميرة، أبلغني المنظم أن تنظيمكم هذا خاطئ؛ فسمو الأمير أدريان يفُترض أن يكون هو في موضعك هذا" أبلغ أحد الحراس كيرا "ولكني أكبره بنصف عام!"

"هذا ليس تبعاً للأعوام، إنه تنظيمكم تبعا لصفاتكم الحالية، فكما ترين سموك الأمير أدريان هو الوحيد وسطكم الذي يحمل صفات المملكة الغربية من العيون الحمراء"

"لا أفهم ما علاقة ذلك بالأمر؟"

"إنه التنظيم يا سمو الأميرة، الممسوس حين يلمس الحجر يصله تعليمات عن كيفية التنظيم، لا يترجمها أحد سواه

ويبلغها للمنظم ليلتزم بها"

"إنه محق أيتها المشاكسة، قواعد التنظيم تكون غريبة جدا، ولا يفهمها أحد سوى الممسوس" أردف رادو: "حسناً"

قالت كيرا بامتعاض مبدلة موضعها مع أدريان.

مر عديدٌ من الأطفال أمام المرايا، تلك الفتاة تنتمي روحها الحقيقية للشعب الأصفر فتسعد لأنها ستعود لأسرتها، ذلك الفتى روحه تنتمي للشعب الأحمر تظهر على وجهه نظرة خاوية؛ فهو لن يرى عائلته مجدداً إلا بعد ستة عشر عام، ذلك الفتى ينتمي للشعب الأحمر يعلو وجهه ابتسامة؛ فعمته هناك وهي الوحيدة التي ستعتني به، تلك الفتاة تبكي فهي تنتمي للشعب الأصفر، وليس لديها أي عائلة بالمملكة الشرقية، فبالتالي ستذهب لدار الرعاية، كلها ظنون عن أسباب انفعالات الأطفال المختلفة دارت بخيال فين، يرى ذاك ينوح وتلك تغني فرحة بأغنية الوحدة، استمرت تلك المشاهد حتى شعر بأنه غائب عن العالم ذلك حتى تسلل لسمعه ذلك الصوت المألوف:

"فين، أيها القوي أأنت هنا؟" نظر فين لرادو بتعجب.

"ألم تسمع ما قاله صديقنا الحارس هنا؟ "نظر فين للحارس الذي كرر كلامه:

"حان دورك يا سمو الأمير"

لم يدر لمَ شعر أن قلبه لم يعد بموضعه إثر سماع تلك الجملة، سلط فين نظره على الحارس لوهلة ثم سار بجواره شاعراً برادو يربت على كتفه، شعر أن الوقت تباطأ، يرى «بودير» يبتسم له ابتسامته المعهودة، ولكن تلك المرة لم تعطه أي حماس أو تهدئه، ينظر لخلفه فيرى بيلا تبتسم له ابتسامتها الساحرة، خلفها أدريان يشيح بنظره في الاتجاهات المختلفة، خلفه كيرا تبتسم له وتشير له بيدها أن يتقدم ولا يقلق، خلفها سول ينظر له بذهول، لكنه سرعان ما يشيح بنظره عنه بتوتر حين يدرك أن فين ينظر له.

"س م و ا ل أ م ي ر"

بدا صوت الحارس غليظاً وبطيئاً عن ذي قبل:

"ت ق د م من فض ل ك»

رأى فين المرآة أمامه ضخمة للغاية، كأنها سوف تبتلعه، شعر كما لو أن جسده كله قد شُل، ولكنه ابتلع ريقه رافعاً يده ببطء مغمضاً عينيه، ثم وضع يده على المرآة، شعر أن الموجودات من حوله قد تبدلت، شعر بالحرارة الشديدة كما لو أنه يقف بمنتصف صحراء قاحلة في يوم لا سحب به، حتى تساقطت قطرات عرقه أرضاً، ثم تحول ذلك لبرودة منطقة

قطبية لا تظهر بها الشمس أبداً، سببت ارتجاف أوصاله بشدة، ثم تغير ذلك لغابات سمع أصوات الحيوانات بها، وشعر بنسمات هوائها يهدئ كيانه، شعر أن أمطار تسقط أعلاه حتى صارت أشبه بالبحيرة، ثم البحر ثم المحيط، وشعر بنفسه يغرق أسفله، ولا يستطيع السباحة لأعلى على الرغم من ذلك، فقد كانت الأسماك بديعة المظهر، قبيل فقدانه وعيه انقشع الماء من جانبيه ساقطاً في مكان غير معلوم، ثم وجد نفسه بالسماء، بل بالكون وهو يطير دون أجنحة، ناظراً باندهاش للنجوم والكواكب، شعر بنفسه يسحب سريعاً لشيء ما حتى لم يعد يميز ما يراه من فرط السرعة، سمع من يبكي بحرقة، سمع أصوات صراخ يدمي القلوب لأشخاص ما تعُذب، لوهلة على الرغم من سرعته، استطاع فين أن يلمح جثث لا تحصى أسفله، بعضها مذبوح، بعضها متفحم، وبعضها مشوه، وبعضها لا يظهر سوى جزء منها، بينما انقسمت باقي الأجزاء، لم يدرك فين أن هناك مظهراً أبدا بذلك البشاعة، ثم فجأة شبت بتلك الجثث نيران من العدم، لتظهر ما يشبه الرقم سبعة ربما، تذكر فين كم تكره والدته هذا الرقم، رأى طفلاً صغيراً للغاية ينوح بينهم، لم يستطع رؤية معالم الطفل إطلاقاً، لم يلمح سوى أنه بأذُنٍ واحدة بينما الأخرى مبتورة، حاول فين الوصول لذلك الطفل، لكن سرعته لم تساعده، وعوضا عن ذلك لمس أحد الجثث، نظر ليده ليرى أنها تلوثت بدماء تلك الجثة، وفجأة ازدادت سرعته مجدداً، حتى لم يعد يستطع فتح عينيه، حاول فتحهما بضراوة ليجد أنه يقترب من شيء مهولٍ، حاول تمييزه ليكتشف في النهاية أنها إحدى المرايا، وأمامها يقف شيء

ضئيل للغاية كلما اقترب رآه بصورة أفضل، إنه فتى يلمس المرايا بيده المعطوبة ويقف مغمض العينين، لديه قدم خشبية ويستند بيده الأخرى لعكاز، إنه فين! حاول مد يده ولمس يد فين، كانت تلك اليد نفسها الملوثة بالدماء، لكنه لم يهتم، أراد الخروج من ذلك المكان فحسب، وساعده في ذلك سرعته الجنونية المتجهة صوبه، صوب ذلك الفتى الملقب بفين، وحين تلامست يده مع فين الموجود خارج المرايا، ظهر ما يشبه الشرارة أو الضوء، بدا جميلاً للغاية، بدا أجملَ شيء رآه بحياته، بل إنه شعر بعيونه تفيض دموعاً من جمال ذلك الضوء، ثم شعر بنفسه يهمس لا إراديا «سأعود»، وشعر بالحياة تدب بصدره وبالدماء تجرى بأوصاله، شعر بجسده الدافئ وبقلبه النابض، فتح عينيه بالتدريج ناظراً للمرآة بعد إزالة يده من عليها، شعر بصدره يعلو ويهبط، وشعر بجسده كالجمرة الحارة، وبأنه سينصهر من حرارته، ثم ظهرت صورته كما هو!

أسود الشعر بعيون عسلية تقترب للبني.

"روحك تنتمي للشعب الأصفر، من فضلك رافقني للجهة اليمنى يا سمو الأمير"

وقف حارس بجواره مردفاً ذلك، شعر فين بروحه تعود له، وتنفس الصعداء، وكانت ابتسامته حينها أعرض من أية ابتسامة أخرى ابتسمها في حياته، نظر في الاتجاه المعاكس

للحارس، فوجد كلًّا من بيلا وأدريان أمام المرآتين، رأى ابتسامة بيلا شاسعة كما لو أنها قضت على المرض الأزرق مثلاً إثر معرفتها أن روحها تنتمي للشعب الأصفر، بينما أدريان ابتسم بحيادية لمعرفته أن روحه تنتمي للشعب الأحمر، فلم يبدُ سعيد حقاً أو مستاءًا؛ لكن كلاهما في النهاية لن يفترقا عن عائلتهما وموطنهما بذلك الشكل، سار كل منهما مبتعدين للجانب الذي ينتميا إليه يرافق كل منهما حارس، لمح فين أخته وهي تلمس المرآة، وفكر بداخله أنها كانت محقة، لم يكن هناك داعٍ لكل ذلك القلق، لم يسر سوى بضعة خطوات حتى سمع صوت شهقات عالية من جموع الأطفال، نظر نحوهم فوجدهم ينظرون صوب أخته بغير تصديق، وجد «بودير» يهرول تجاهها، ابتعد فين عن الحارس بجواره وذهب تجاه المرآة التي تظُهر حقيقة روح أخته ليرى صورتها، ها هي تظهر بالمرآة وهي تبتسم بثقة يحاوطها شعرها الأسود، ولها عين صفراء وأخرى، حمراء! كيرا، كيرا أخته، هجينة؟! نظر تجاهها وهو غير مصدق ليراها صارت بهذا الشكل بالفعل!

صاح أحدهم في حشد الأطفال:

"إنها هجينة، تحمل دمائهم القذرة!"

"شيطانة، شيطانة من إخوة الظل!"

"الموت لإخوة الظل!"

تعالت الصيحات الغاضبة بين حشد الأطفال، لم يصدق فين ما يسمعه وما يراه، شعر أن الوقت توقف به مجدداً، سمع سب وتهديدات رادو، وأمره للجنود بتنظيم الصفوف واعتقال من يفتح فمه، رأى «بودير» يقف جوار كيرا يهمس لها بكلمات لتهدئتها، نظرت كيرا ل»بودير» غير مصدقة ما رأته، رآها فين تلتفت حولها كأنها تبحث عن شيء أو شخص ما، ثم تستقر عيناها عليه حينما تراه، وتنظر له نظرة رجاء كأنها تطلب منه أن ينقذها، أو حتى يبث فيها القوة كما كانت تفعل له، لم يدر فين ماذا يفعل، ظل متخشباً في مكانه فحسب، رأى «بودير» أن يوجهها برفق لجهة الأطفال الذين ينتمون للشعب الأحمر، ظلت تنظر لفين بقلة حيلة، وسمع في أذنه الصيحات الغاضبة:

"أميرة هجينة! أميرة هجينة! أميرة هجينة!" ثم تذكر:

"فين، أنت أخي وسأحبك في كل الأحوال"

***

[2]

الزهرة الدامية

ممتداً حتى الأفق تغمره الموجات الهادئة، مغطى بالسواد تماماً، ولكن ضوء النجوم الخافت أظهر بعض روعة لونه الأزرق، كانت النجوم في أبهى صورتها تكوِّن أشكالاً رائعة في السماء، فهناك ذاك الأسد وهناك ذاك المحارب وهناك ذاك الوعل.

"في قلب الليل رأيتها، جعلتني أشعر أن لا نجوم في السماء سواها، سمعت في أذني أعذب لحن، حين همست تلك الحورية اسمي باطمئنان"

نظرت ليليس لمصدر الصوت بدهشة، لتجد ذلك الفتى البحار هو من يتغنى بذاك الحديث الذي لا تدري ما يعني به، رأت ذلك الفتى بضعة مرات من قبل ينظر لها، ولكنها لا تذكر اسمه، والآن هو يقف خلفها بمسافة ليست ببعيدة، التفتت له فوراً وابتلعت ريقها مبتسمة على سبيل المجاملة، أكمل الفتى بصوته الغنائي وهو يسير ليقف بجوارها:

"حينها فقط، أدركت أن هدف محياي، هو حمايتها من ظلمات الليل، والوحوش التي تسكن البحار، والأفراس التي تترصدها، وغايتي فحسب، هي أن أكون بحارًا على متن

سفينة قلبها، يكفيني توصيلها لبر الأمان، لا يهمني أن أكون القبطان".

أنهى الفتى غنائه وهو ينظر إليها مبتسما، يبدو في منتصف العشرينات، ذو شعر أسود قصير وعيون زرقاء وبشرة قمحية، رفيع بعض الشيء وطوله معتدل، يرتدي ملابس شبه رثة.

"ألا تعرفين تلك الأغنية؟"

سألها الفتى فهزت ليليس رأسها نافية، ليكمل الفتى حديثه سارداً القصة:

"في إحدى المرات التي حاولت فيها شبه جزيرة لونا استعادة جزر راندوس، استعانت بأحد البحارة مساعدي قائد الجزر، رشوا ذلك البحار ليساعدهم في الإيقاع بقائده واسترجاع الجزر، ولكن ذلك المساعد كُشف فهرب إلى شبه الجزيرة، فقام قائد الجزر باختطاف ابنة البحار كورقة ضغط كي يعود ولكنه لم يعد؛ لذلك أمر القائد بقتلها، ولكن الحارس الذي كان يحرسها اكتشف أنه قد وقع في غرامها، وغنى تلك الأغنية" أردف الفتى ناظراً لعيني ليليس بشدة كأنه يكاد يخترقهما.

"ثم ماذا؟"

تساءلت ليليس ليجيبها الفتى:

"أعتقد أن الحارس مات ليحميها، شيء من هذا القبيل، أترين ما يمكن أن يفعله الحب الصادق؟!"

أومأت ليليس ثم أشاحت بوجهها عنه، وأرادت الانصراف فقد أدركت كم تأملت شكل البحر من أعلى السفينة، حتى نسيت تماما أنها تخطت الوقت المسموح به لتجول المسافرين، لكنها لم تكد تتحدث حتى عاد ذلك الفتى لتساؤلاته:

"أنت ليليس أليس كذلك؟ تسافرين مع ذلك العالِم"

"العالم ران، عالم في الحضارات القديمة"

"أجل هو ذاك، يمكنكِ أن تناديني ثعبان البحر"

"لقب لطيف"

قالت ليليس وهي شاعرة بالتوتر، فهي تريد الرحيل كي لا تقع في المتاعب، وهذا الفتى لا يترك لها فرصة لفعل ذلك..

"أليس كذلك؟!"

تساءل الفتى البحار بثقة وهو يتأمل البحر، ثم نظر لها مجدداً

وهو لا ينفك عن التحدث: «أتعلمين، يمكنني في يوم أن أخبرك ما هو اسمي الحقيقي، وكيف حصلت على اللقب، إنها قصة طويلة ولكن لأجل جميلة مثلك لا يهمني أن أحكي طوال الدهر».

لم تجب ليليس، غير الفتى الموضوع قائلاً:

"إذن أخبريني أيتها الجميلة ليليس، ما الذي يوقظك في هذه الساعة؟! وتخرجين في سطح السفينة هكذا؟! ألا تخافين على نفسك؟!

هناك رحالة وبحارة خطرين يمكنهم أن يؤذوا فتاة جميلة مثلك!»

نظرت له ليليس ببعض الارتياب، أكمل بصوت خافت وهو يضع يده على كتفها:

"ولكن لا تخشي شيئاً، أنا سوف أحميكِ"

أبعدت ليليس يده بسرعة وقد انتابها بعض الفزع، أردفت سريعاً:

"أستمحيك عذراً؛ فالوقت تأخر ويجب أن أخلد للنوم" وقف الفتى أمامها عائقاً الطريق:

"ولكنني لم أحكِ لكِ بعد كيف حصلت على اللقب، وما أدراك لعلي أطلعك على اسمي الحقيقي، وهذا سر أقسمت ألا أطلع عليه سوى فاتنة مثلك"

حاولت ليليس المرور ولكنه أعاق طريقها مجدداً..

"من فضلك دعني أمر!"

"لماذا تريدين الذهاب سريعاً؟! بإمكاننا السهر لبعض الوقت!" أردف الفتى وهو يقترب منها، حاولت ليليس أن تجتازه وتركض ولكنه أمسك بذراعها.

"من فضلك، اتركني!" طلبت ليليس بصوت متوسل.

"لماذا تصعبين الأمر على نفسك؟! لا أدري"

حاولت ليليس دفعه بقوة فقام بصفعها، شعرت ليليس بأطرافها ترتجف بشدة وبدموعها تتجمع في مقلتيها، كلا، كلا، لن يحدث ذلك، فجأة وجدته يسحبها من ذراعها حيث صار ظهرها مواجها لسور السفينة، والفتى في مواجهتها ويحاول الاقتراب منها:

"أنا أم الغرق أيتها الفاتنة؟ اختاري، فلا يوجد خيار ثالث" أصدرت ليليس صوت آنين، وأخذت تدفع فيه بقدميها ويداها،

ثم حاولت أن تصرخ فكمم الفتى فمها وأنفها بيده، ثم شد شعرها بقوة للخلف بيده الأخرى حتى صارت ترى صورة البحر والسماء مقلوبتين، شعرت أن رقبتها ستنكسر، وأن شعرها سينقطع تماما من على رأسها من فرط قوة سحب الفتى له للخلف، شعرت بأنها لا تستطيع التنفس بسبب يده الأخرى أعلى أنفها، وبأن روحها تكاد ترتفع للسماء، حاولت إبعاد يديه لكن بلا طائل.

"إذا فتحتِ فمك فسأنتهي منك، ثم سأرميكِ في الماء لتغرقي أو لتأكلكِ الوحوش، لا يهمني ولا أظن أن عالِمك سيهتم، فما أسهل الحصول على مساعد أو مساعدة نكرة من دار اليتامى!"

قالها الفتى بعينين تشران دماً، نظرت له ليليس بعينين دامعتين، ترك الفتى شعرها وأزاح يده الأخرى من أعلى فمها وأنفها فنظرت للأرض وتنفست الصعداء.

"حسنا إذن، ستلتزمين الصمت وتعيشين جراء ذلك؟" سألها الفتى.

"حسنا، ولكن اتركني أتنفس أولا" أجابته ليليس.

"فلتسرعي إذا كي لا يتعكر مزاجي"

"هل يمكنك الإفساح قليلا كي أستطيع التنفس؟"

"لست بهذه الحماقة يا فتاة"

"قليلا فقط، حقاً لا أستطيع التنفس"

ابتعد الفتى عن ليليس قليلاً، فصار هناك مخرج صغير ليمينها، ظلت ليليس ناظرة للأرض متظاهرة أنها تتنفس بصعوبة:

"هل أنت متأكد أن أحداً لن يكشفنا؟!" سألته ليليس ببراءة ليجيبها الفتى:

"كلا، لم أرَ أحداً في طريقي إلى هنا، جميعهم نيام، فلتنتهي بسرعة لدي عمل غدا، ويجب أن أستيقظ مبكراً"

"ولكني رأيت ضوء جهة يساري قبل أن تأتي بقليل من الوقت" أردفت ليليس مما أدى لنظر الفتى لجهة اليسار، فقامت ليليس بالجري سريعاً جهة اليمين وهي تصرخ:

"انقذوني! النجدة!"

لحق بها الفتى وأسقطها، ثم أصبح مواجهاً وقيد يديها التي تحاولان إبعاده بأقصى ما لديها من قوة:

"سَمَّوْني ثعبان البحر أيتها الحقيرة؛ لأنني أجد الفتيات أمثالك وحينما لا يطيعونني أسحب الحياة منهن، والآن حان دورك!" ثم أخذ يقترب منها وعيناه ممتلئتان بالشر والشهوة:

"أيها الحثالة القذر!"

سمعت ليليس أحدهم يصيح، ثم وجدت الفتى يسُحب من ملابسه ويتم رميه أرضاً، لم ترَ ليليس وجه من فعل ذلك، ولكنها ابتعدت حتى استندت بعض الشيء بسور السفينة، وهي تنظر بتوجس لذلك الشخص.

"أيها الحشرة، أتعرف كم المشكلات التي أعانيها بسبب قذاراتك؟!"

"يا زعيم، أنا لم أكن لأسبب لك أيةَّ مشكلات هذه المرة، أنا أقسم" قالها الفتى بصوت يشوبه الخوف ثم أكمل حديثه:

"إنها فتاة يتيمة، لن يهتم أحد لأمرها، يمكن لولي أمرها أن يحضر ألفاً غيرها ولن يكترث أحد."

شعرت ليليس بالأسى لعلمها أن حديث الفتى حقيقي تماماً، بصق ذلك الزعيم على الفتى.

"أقسم لك أيها الحثالة، أيا كان الوعد الذي أعطيته لوالدتك

الميتة فسأنكثه إذا رأيتك تتجول في الليل على سطح السفينة مرة أخرى، أو إذا وجدتك تحوم حول أيةً فتاة!"

"ولكن ماذا عن الدوريات؟!"

"الدوريات الليلة لن أشركك فيها أبداً، والآن ارحل من أمامي أيها الحثالة!"

وقف الفتى ونظر للزعيم بخوف ثم نظر لليليس بنظرة توعد، تحرك الزعيم جهة ليليس فأمسكت في السور بشدة خوفاً منه، ولكن حينما رأت وجهه أدركت من هو: إنه قبطان السفينة بلحيته السمراء ونظرته الجادة وعضلاته البارزة، ابتلعت ليليس ريقها وهي تنظر له بعيون مفتوحة على مصراعيها منتظرة أن تعرف مصيرها منه، نظر لها القبطان نظرة حادة، ثم ذهبت حدتها للحظة وهو يقول:

"اذهبي لفراشك يا فتاة، ممنوع تجول المسافرين في مثل هذه الساعة"

نظرت له ليليس وهي مازالت متخشبة مما كاد يحدث لولا إنقاذه لها، عادت نظرته للحدة:

"اذهبي الآن، لا أريد مشكلاتٍ على متن سفينتي"

سارت ليليس مبتعدة ووجدت نفسها تسرع وخطواتها تزداد اتساعا ثم أخذت تركض بأقصى سرعتها حتى وصلت إلى غرفتها، دخلت سريعاً وأغلقت الباب، شعرت بنفسها تنهج بشدة وهي تستند للباب، وشعرت ببلل دموعها على وجنتيها، سمعت صوت شهقات بكاؤها، ولكنها وضعت يدها على فمها على الفور لتكتمها، أخذت تنزلق حتى صارت تجلس مستندة للباب، اسندت رأسها لركبتيها وأخذت تبكي محاولة كتم صوتها بقدر الإمكان، منذ دار الأيتام، وهي لم تجرؤ يوماً على جعل أحد يسمع بكاءها؛ فمصير ذلك في دار الأيتام كان السب والضرب، حتى يتم إسكات الطفل أو الطفلة الباكية، سكنت بعد بضعة دقائق واستندت للباب بيديها، ثم وقفت على قدميها مجدداً، نظرت لردائها، قد مُزقت أكمامه لِما حاول الفتى فعله بها، غير ذلك كان أغلب الرداء مازال سليماً، ولكن به بعض الأوساخ لسقوطها على الأرض، رداء طويل هو أقرب للفستان، أرجواني اللون بكمين طويلين، وشرائط بيضاء ملونة على الخصر وطرفي الأكمام، كان أفضل رداء حصلت عليه في حياتها، أهداه إياها العالم ران عندما جعلها مساعدته، أخبرها أنه يجدر بها الظهور بمظهر أفضل، وأنها الآن مساعدته ويجب ألا ترتدي ملابس مرقعة مرة أخرى، وحينها أهداها هذا الرداء، ورداء آخر قرمزي اللون، ولكنها دخلت غرفتها مرة في أثناء رحلتهم، لتجد الرداء الآخر قد سُرق، لم تعلم كيف ستكون ردة فعل العالم إن أخبرته، ولهذا لم تخبره فقد خافت، فهذا كل ما عرفته في حياتها -الخوف- الخوف من الوقوع في مشكلة، الخوف من فعل شيء خاطئ، الخوف من الرجال، الخوف من

الضرب، حتى الخوف من المرض، فدوما ستكون هي المخطئة بطريقة أو بأخرى، وستعُاقب حتى إن مرضت فخطؤها هو أنها مرضت، خطؤها أنها وقعت في مشكلة وستعُاقب حتماً سواء بالحبس في غرفة مظلمة أو بالضرب أو بالحرمان من الطعام، أو بالسب إن كان العقاب هيناً، لم يكن العالم ران فظاً أو سيئاً أبداً معها، كان جادًا في العلم، ولكن في غير ذلك كان متبسما وحليما، بل وضاحكًا في كثير من الأحيان، ولكنها ظلت خائفة، على الرغم من ذلك لم تخدع نفسها، فقد شعرت بالسعادة حينما صارت مساعدته وتركت دار الأيتام تلك بكل ما فيها من ذكريات مؤلمة، فظنت أن ما كان يحدث لها هناك لن يتكرر مع المعلم ران، وها هو قد تكرر، فكرت لوهلة وهي تنظر لأكمام ردائها، سارت خطوة فحسب حتى فراشها، فقد كانت الغرفة صغيرة للغاية، أدخلت يدها أسفل الفراش حتى وصلت للمخبأ الذي اكتشفته، فحتما هناك المئات سافروا في هذه الغرفة الصغيرة وسُرقت منهم مقتنيات، وأحدهم قام بعمل هذا المخبأ الذي وجدته ليليس بالصدفة بعد سرقة الرداء، فقد كانت تحتفظ بشيء آخر ثمين، ولكن لحسن الحظ لم يعثر عليه السارق، كان مخبأً صغيراً ولكنه يكفي لذلك الشيء الثمين وهو مرآة والدتها، الشيء الوحيد الذي ظل لها من عائلتها، مرآة صغيرة للغاية تكفي بالكاد لرؤية جزء صغير من الوجه ومن دون ذراع لإمساكها به، نفضت عنها ليليس التراب، ثم حركتها على أجزاء وجهها المختلفة، حتى يتسنى لها رؤية نفسها، نظرت فيها فرأت وجهها الباهت؛ فبشرتها بيضاء للحد الباهت أو ربما لقلة تغذيتها، أو ربما لأي سبب

آخر، بعيون خضراء ذات ملامح يقال أنها جميلة وشعر أحمر، نظرت لوجهها ولدموعها التي لم تجف بعد على وجنتيها، وملامحها المتعبة، وشفتيها الدامية من أثر اللطمة على وجهها، ودارت بخاطرها كلمة واحدة:

"لماذا؟!"

***

يحاوطها الحطام والدمار، نظرت حولها فوجدت شخصًا ما مُلقى بعيداً لم تدرِ من هو، ولكنها وضعت يدها على فمها من الفزع، شعرت ببلل على وجنتيها جراء وضع يدها عليهما، رفعت يدها لعينيها وجدتها مغطاة بالدماء، انتابتها حالة من الهلع والتقزز في ذات الوقت، حركت يدها بسرعة لتمسحها في ثيابها لتجد أن مقدمة ثيابها مغطاة بالدماء حتى منتصف بطنها، شاعرة بالهول شهقت وهي تحاول أن تزيل تلك الدماء ولكن كيف؟! شعرت بالدموع تتجمع في مقلتيها وبرعشة يدها الشديدة، وأخذ قلبها ينبض بشدة:

"لماذا تصعبين الأمر على نفسك؟! لا أدري".

صعقت لسماع ذلك، كان الصوت يشبه فحيح الأفاعي، نظرت حولها بهلع في كل ركن وكل موضع، لكنها لم تجد أحدًا فقد كان المكان واسعا للغاية، تشابكت يدها مقتربة من

وجهها، وتساقطت قطرات دموعها عليهما، كاد قلبها ينفجر من كثرة نبضاته، سمعت صوت خطوات ووجدت المكان حولها صار محاطاً بالظلال، وخرج صوتها من حنجرتها متوسلاً:

"أرجوك، كلا!"

فجأة، رأت شخصًا يخرج من ظل مقارب لها، معتدل الطول ورفيع بعض الشيء، هذا كل ما لمحته منه قبل أن تركض صارخة، ركضت بأقصى ما لديها، شعرت بأن قلبها سيخرج من صدرها من الرعب، وأخذت تبكي بشكل هيستيري، فجأة اصطدمت رأسها أرضاً، رفعتها صارخة واجتاح جسدها ألم غير عادي، شعرت بأن يديها وقدميها تحترقان من كم الجروح التي أصابتها حين تعثرت بتلك الصخرة الضخمة، كان هناك ألم بشع بجبهتها كذلك، وتبلل حاجبيها بالفعل جراء الدم المتساقط من جرح ما بجبهتها، سمعت خطوات تسير باتجاهها، حاولت الاستناد والوقوف، ولكنها سقطت بعنف بسبب تلك المحاولة، فيبدو أن قدمها قد كُسرت، عند ذلك الحد صار الألم لا يوصف، رفعت رأسها قليلاً بيأس، لا تدري ماذا تفعل، رأت أمامها زهرة صفراء امتزجت بالأحمر من الدماء التي تسقط من جبهتها، نسيت للحظة صوت الخطوات والجروح التي يمتلئ بها جسدها، والدم الذي يغطيها، حين رأت تلك الزهرة بهذا الشكل، اتسعت عيناها وكأنها بدأت تستوعب شيئاً ما، فجأة شعرت بمن يقف خلفها وبشد رأسها للخلف، وشعرت بنصل بارد على عنقها ثم

استيقظت. استيقظت ليليس شاهقة لتجد نفسها على الأرض وكل جسدها يؤلمها، يبدو أنها سقطت في أثناء نومها، أخذت تتنفس متأوهة من آلام السقطة، ولكنها نسيت ذلك سريعاً، واتسعت عيناها باحثة عن الشيء الأهم، تنفست الصعداء حين وجدت مرآة والدتها سليمة ولم تنكسر، فقد نامت البارحة وهي تحتضنها، ضمتها إليها سريعاً ثم حاولت التغلب على الألم والوقوف لتجهز نفسها حيث تعلم أن اليوم مهم لمعلها؛ فاليوم ستصل السفينة لأحد المراسي الموجودة بالمملكة الشرقية، لحسن الحظ يتوسط ذلك المرسى كل من العاصمة الأم وعاصمة المملكة الشرقية، حيث يبعد أحد عشر يوماً عن الأولى، بينما يبعد عن الثانية أسبوعين متواصلين من السفر، وفي كلتيهما يمكنهما مقابلة أحد المسئولين، ليحصلوا على إذن ملكي يسمح لهم بالذهاب لمقر الحالمين سابقاً، هذا ما أخبرها به المعلم، كان الشروق قد حل بالفعل، جهزت ليليس نفسها سريعاً، فعليها أن تنتظر المعلم أمام غرفته قبل وصول السفينة بساعتين على الأقل، كانت ترتدي الآن فستانها الأرجواني الذي يبدو أقل جمالاً عن ذي قبل، ولكنها حاولت إصلاح أكمامه الليلة السابقة بقدر ما استطاعت، لم تكن ماهرة ولكن لا بأس بها، ضفرت شعرها في جديلة واحدة طويلة، وارتدت حذائها وهمت بالخروج، ولكنها تذكرت الفتى ثعبان البحر، خافت أن تجده أمامها وصارت في حيرة من أمرها، أتتأخر على المعلم وتنتظر حتى يستيقظ الناس ويزداد عددهم على متن السفينة، أم تخرج الآن ويمكن أن تجد الفتى أمامها؟! بعد بعض التفكير تغلب الخوف عليها، واختارت

التأخر قليلاً، ولكن تحاشي الفتى الثعبان، شغلت نفسها في ذلك الوقت بقراءة أحد كتب المعلم التي أعطاها إياها، كان يتحدث عن الحالمين وعن حضارتهم، كيف أنهم يوماً ما كانوا حجرًا من أحجار الأساس لدى شعب إخوة الظل، بل ربما أهمهم، كيف أن الآباء والأمهات من شعب إخوة الظل افتخروا بأبنائهم إذا انضموا للحالمين، حيث إن الحالمين هم شعلة للخير أو على الأقل هذا ما وصفتهم به أغلب الكتب، سعوا فقط للازدهار بالأرض وحمايتها من الأمراض والمجاعات وأي شيء قد يدمرها؛ فقد حلموا وتنبأوا بكل احتمالات المستقبل، وأخبروا حكام إخوة الظل كيف يتجنبوا الأسوأ منها، وكيف يسعون لأفضلها، كان بعضهم يخطئ فيرى بعض الاحتمالات الكاذبة، وبعضهم يصيب أغلب الوقت، وذلك على حسب نقاء الحالم وسلامه الداخلي، فقد قيل إنه كلما صار الحالم لديه سلام داخلي ونقي من صفات الحقد والجشع وغيرها من الصفات التي قد تجعله يؤذي الآخرين، يرى الاحتمالات بشكل أفضل واضح، بينما كلما تغللت الصفات السابقة قلبه، فغالبا سيخطئ في رؤية المستقبل، على الرغم من كل ذلك، قيل أنهم اختفوا في النهاية بشكل مريب مع اختفاء إخوة الظل، لم يدر أحد السبب وراء ذلك، هناك افتراضات وتكهنات فحسب، عن كونهم رحلوا من الأرض بعد فناء إخوة الظل، ليتجنبوا أي صراعات مع الشعبين الأحمر والأصفر.

قطعت ليليس قراءتها حين سمعت أصوات الناس على متن السفينة تتعالى، فيبدو أنها انهمكت في القراءة ونسيت تماماً

أن تذهب لانتظار المعلم، لململت أشياءها سريعاً وخرجت من الغرفة. ازدحم سطح السفينة بالمسافرين، ركضت ليليس بينهم بسرعة حتى غرفة المعلم لكنه لم يكن موجود؛ فوقفت تنتظره وهي تلوم نفسها مراراً لأنها تأخرت، ربما تكون هذه فرصتك الوحيدة لحياة جيدة يا ليليس، كمساعدة المعلم، أخذت تفكر في ذلك وتقسم بداخلها أنها لن تفعل شيئاً خاطئاً أو قد يزعجه مجدداً، دارت برأسها تبحث عنه ولكنها لمحت شخصاً آخر يقترب منها بسرعة، قد كان الفتى الثعبان وعيناه تكاد تنفجر من الغضب، شعرت بالقلق ولكنها تساءلت ماذا عساه أن يفعل وسط كل هؤلاء الناس؟! ولكنه يمكن أن يجرحها بسكين! يمكن أن يسحبها داخل غرفة! يمكن.. انتابتها حالة من الهلع وتذكرت الليلة الماضية، اقترب جدًا حتى كاد يكون مواجها لها:

"ها هي أيها العالم ران"

نظرت ليليس جهة الصوت فوجدته قبطان السفينة وبجواره المعلم ران، سارا باتجاهها وتوقف الفتى الثعبان بعيداً بعض الشيء ناظرا إليهم ثم نظر لليليس بغضب وسار مبتعداً..

"أخبرتك أنها ستكون بانتظارك أمام غرفتك، فهي أذكى من أن تتجول حيث لا يجدر بها"

قالها القبطان ثم سلط نظره عليها قليلاً، كأنه يلومها على

التجول وحدها على متن السفينة البارحة في منتصف الليل، نظرت له ليليس وهي تبتلع ريقها.

"ولكنها ليست ذكية بما يكفي كي تلتزم بالمواعيد"

أردف المعلم ران وهو يهز رأسه بعتاب، حاولت ليليس أن تعتذر:

"معلم ران، أنا آسفة".

"امسكي هذه، ضعيهم في حقيبتك"

قال المعلم ران مقاطعاً إياها وهو يعطيها بعض الأوراق التي كان يحملها، أخذتهم ليليس ووضعتهم في حقيبتها مع كتاب الحالمين ومرآة والدتها.

"أشكرك حقا أيها القبطان على كل شيء، أتمنى أن أراك مجدداً" أردف المعلم مصافحاً القبطان وهو يبتسم.

"أنا من يجب أن يشكرك بخصوص الأعشاب أيها العالم ران، حظ موفق بشأن الحالمين، وعذراً أن الأخبار غير السارة وردت مني أنا" "لا بأس أيها القبطان، فعلى الأقل سأدري وجهتي، ولن أضيع وقتي في الذهاب لأماكن لا جدوى لي فيها".

"هيا".

قالها المعلم لليليس دون أن ينظر إليها ثم سار مبتعداً، ابتسمت ليليس للقبطان مجاملة:

"توخي الحذر يا فتاة"

أردف القبطان، لحقت ليليس بالمعلم الذي كان ينظر لليابسة أمامهم؛ فقد اقتربت للغاية.

"أيها المعلم، أنا آسفة حقاً، لن أفعل أي شيء يزعجك مجدداً" نظر لها المعلم ثم هز رأسه:

"أتدرين لماذا اخترتك أنت بالذات دوناً عن أي شخص آخر لتكوني مساعدتي يا ليليس؟"

فكرْتْ للحظة: لأنها في الأصل ليست من شبه جزيرة لونا، إذن فلن يكترث أحد ماذا يحدث لها، بالإضافة لأنها تستطيع القراءة والكتابة وليست أمية كباقي الأيتام الأخرين، أجابته ليليس.

"لا أعلم يا سيدي"

"أترين هذه اليابسة يا ليليس؟"

لم تفهم ليليس مغزى السؤال ولكنها أومأت.

"أتعرفين من هم سكانها؟"

"إنها قارة أثرا تنقسم الى جزأين أيها المعلم، جزء شمالي وجزء جنوبي، الشمالي يسكنه الشعب الأصفر والأحمر وكان يسكنه من قبلهم إخوة الظل الذي ينتمي إليهم الحالمين، بينما الجزء الجنوبي يوجد به ممالك السحرة"

"هذه الأرض عانت كم تصدع ودمار وألم، ومازالت تعاني، ولكنها على الرغم من ذلك صامدة وحية"

ابتسمت ليليس لتحدث المعلم إليها؛ فهذا يعني أنه ليس غاضب منها، أرادت أن يستمر الحديث فحسب، لم تهتم لما يجب أن يقال، فقط أرادت أن تشعر برضاه عنها، أكملت ليليس.

"أجل فقد كانت في الماضي قارة أثرا كتلة واحدة، ولكن أغرق الماء أجزاءها الشرقية والغربية من المنتصف حيث إن منتصفها كان منخفضاً عن باقي أجزائها، حينها فقط لم يتبقَّ سوى جزء من الأرض سمكه يكاد يقترب من الجسر، هذا بخلاف كم الحروب بين إخوة الظل وبين الشعبين الأحمر والأصفر، أو حتى بين الشعبين الأحمر والأصفر نفسيهما التي

شهدتها هذه الأرض، لا يمكننا بالطبع نسيان نظام حكم الجزء الجنوبي منها الذي يبيح العبودية ويعتمد على النظام الطبقي" ابتسم لها ران: "يا لك من قارئة يا ليليس!"

"إني أحب القراءة والعلم كثيراً أيها المعلم ران"

"أتدرين الآن لما اخترتك أنتِ بالذات يا ليليس؟"

اختفت ابتسامة ليليس ولكنها حاولت رسمها مجدداً، وأومأت للمعلم سريعاً مفكرة أن إجابة ذلك السؤال هي الإجابة التي توقعتها في البداية:

لأن هذه الأرض هي موطنها الأصلي ولأنها تستطيع القراءة والكتابة.

أردف المعلم ران:

"لذلك لنتفق ألا تتأخري مجدداً" أومأت له ليليس مجدداً.

"أخبرني القبطان ببعض الأخبار غير السارة" تنهد المعلم ثم أكمل:

"العائلة الملكية توجد بأكملها في العاصمة الأم، ولا يوجد أحد بمملكة الشرق، وهذا يعني أننا إن لم نجد خطاب موافقة

على استكشاف أنقاض مقر الحالمين سنضطر للسفر إلى العاصمة الأم" تنهدت ليليس وسألته:

"وهل هناك أمل في أن نجد هذا الخطاب؟"

هز ران رأسه مجيباً: «ليس مرجحًا، لم أضع كثيرًا من الآمال في أن أجده، ولكني كنت متأكدًا أن أحد أفراد الأسرة المالكة سيكون في مملكة الشرق؛ وحينها يمكننا أن نحاول إعلامهم بأهمية محاولة الاستكشاف تلك، يبدو أن هناك خطب ما ليوجد أغلبهم في العاصمة الأم».

كانت السفينة قد رست بالفعل، ونزل المسافرون بينهم ليليس والعالم ران.

"لا أفهم، لماذا هناك قانون ينص على الحصول على إذن ملكي للبحث في أنقاض الحالمين؟! إنها أنقاض! لا أعتقد أنهم حتى يهتمون بالمنطقة التي توجد فيها" تساءلت ليليس.

"منذ ظهور المرايا والشعبين الأحمر والأصفر عرفا ما قد يسببه السحر، وصاروا يخشون كل ما يتعلق به ويحرمونه تماماً يا ليليس، لذلك يعادون الجزء الجنوبي من القارة؛ لأن ممالكه تبيح السحر واستخدامه بكافة أشكاله"

"ولكن الحالمين"..

"الحالمين يا بنيتي كانوا سحرة، ربما لم يتسببوا في أي أذى، ورفضوا تماماً التدخل لجانب شعبهم الأصلي إخوة الظل ضد الشعبين الأحمر والأصفر ولكنهم يظلون سحرة، والاسوأ أنهم لم يكتسبوا سحرهم، بل وُلدوا به إذن فهو متأصل بهم"

"ولكن أيها العالم إنهم اختفوا تماماً!"

"هذا أيضا يجعل الشعبين الأحمر والأصفر يخشون أكثر من البحث في أمور الحالمين، يخشون أن سحر الحالمين بطريقة هو ما تسبب في اختفائهم التام بهذا الشكل، ويخشى الشعبان أن يصيبهما المصير نفسه" ابتلع المعلم ران ريقه مكملاً:

"بعد ظهور المرايا، بعد انتشار المرض الأزرق، بعد اتحاد الشعبين بفضل كوراخي وثنسيا، حاول الملوك بناء حضارة والتوقف عن الحرب، حتى إنهم لم يحاولوا غزو الجزء الجنوب من القارة كما فعلوا في الشمالي، على الرغم من معاداتهم الشديدة للجزء الجنوبي، لكن لم تعد أعدادهم كالسابق ولا حماسهم"

"لكن أيها المعلم سمعت عن أراضٍ عانت أكثر من ذلك، ولم تصبح شعوبها هكذا"

"هذا حينما لا يعاني الملوك مصير الشعوب، فلا يكترثون، أو يقومون بتوسيع ممالكهم، معتبرين أن ذلك الأفضل

لشعوبهم لاحقاً، ولكن في الجزء الشمالي من هذه الأرض تعاني الأسرة الملكية، مما يعاني منه الشعب، ربما بصورة أقل، ولكن مازالوا يودعون بعض أطفالهم لفترات تقترب من العشرين عام، مازالوا يصابون بالمرض الأزرق ويموتون بسببه"

وصلت ليليس والمعلم ران لما يشبه مكتب البريد، لحسن الحظ فهو قريب بعض الشيء من المرسى، فلم يستغرقهما كثيرًا من الوقت للوصول إليه.

"عذرا"..

أردف ران، ليجيبه رجل بدين ذو شعر أشقر طويل وعينين عسليتين:

"اجل يا سيدي"

"أريد أن أعلم إن وصلني أي خطاب، أنا العالم ران من شبه جزيرة لونا"

"لحظة من فضلك يا سيدي، سأرى إن وصلتك أي خطابات" كان وجه المعلم جامداً بعض الشيء، وكأنه لا يبالي، لكن ليليس لمحت بعض القلق في عينيه الرماديتين، هو في الأربعينات من عمره، لا يمتاز بالطول ولا بالجسد

المثالي، فهو ممتلئ بعض الشيء، ولكنه بالتأكيد يمتلك كمًّا كبيرًا من الذكاء وطيبة القلب، ابتسمت له ليليس محاولة أن تزيل قلقه، ولكن القلق كان بادياً على وجهها، كتم المعلم ضحكاته من محاولاتها المخفقة:

"أنا آسف يا سيدي، ليس هناك أي خطابات مرسلة لك"

تنهد المعلم وأومأ كأنه توقع ذلك، ثم شكر الرجل وغادر المكان برفقة ليليس.

استغرقت ليليس والمعلم ما يقرب من الأسبوعين، مروا فيها بعديد من المدن: مدينة تمتاز بأشجار العنب، ولكن لا يبدو أن سكانها ودودون للغاية؛ عندما ذكرت ليليس سبب مجيئها هي والمعلم، بل إن بعضهم استشاط غضباً فقط لذكرها لكلمة الحالمين، حيث إن ذلك ذكرهم بما فعله إخوة الظل في الشعبين الأحمر والأصفر، وبقذارة السحر على حد قولهم، بدت أرض المملكة الشرقية ذات طبيعة قاحلة وجبلية، لكن على الرغم من ذلك حين اقتربوا من فرع النهر الموجود بالمملكة الشرقية الذي يدعى فرع الزجاج، فقد مروا بعديد من المروج الخضراء المجاورة له، كان النهر بالتأكيد هو شريان الحياة لهذه الأرض بجانب آبار الحياة، ولكنها لم ترها بعد؛ فقد سمعت أن أغلبها يوجد بالمملكة الغربية، بدا النهر في أبهى هيئته حينما مروا من أعلى الجسر الشرقي ليصلوا للعاصمة الأم، حيث توجد الأسرة الملكية، وهي من

أروع المدن التي رأتها ليليس، فهي ذات تنظيم وبناء مبهر، ممتلئة بالبيوت ذات الأسطح الحمراء والصفراء، كان القصر ضخماً وفخماً ويمتلئ بالنقوش الحمراء والصفراء، التي تمتزج معاً بطريقة لا يمكن أن يقوم بها سوى أعظم فنان على وجه الكون، وجد العالم لهما غرفتين لا بأس بسعرهما في أحد الأماكن المخصصة لإيجار الغرف وتقديم الطعام والشراب، ولكن الصدمة هي أن طلب المعلم مقابلة أي أحد من معاوني الأسرة الملكية قد رُفض، حتى بعد عديد من المناقشات لعدة أيام بين المعلم وبين حراس القصر، فكل يوم كانوا يرفضون دون إبداء أيةً أسباب، شعر المعلم بسخط بالغ إثر ذلك، وأصر على أنهما سيرحلان ذلك اليوم للجزء الجنوبي من قارة أثرا، وسيحاولان من هناك الذهاب لأنقاض مقر الحالمين بطريقة غير شرعية، خافت ليليس من تلك المخاطرة وحاولت إقناعه بالتريث، وربما سيجدان طريقة أخرى، لكنه رفض وأصرَّ أن كل مجهوده للبحث في أمور الحالمين لن يذهب هباء!

أمرها المعلم أن تلملم أشياءها، وأن تنتظره أمام غرفته وقد تم الأمر، دقت ليليس على باب غرفة المعلم، ففتح الباب وسمح لها بالدخول:

"حسنا يا ليليس اجلسي هنا، دقائق وسأكون جهزت أغراضي، فأمامنا رحلة طويلة"

"هل أنت واثق من هذه الخطة أيها المعلم ران؟ أعتقد أنها

خطرة، وقد يصيبنا مكروه"

"لا مزيد من النقاش في هذا الأمر يا ليليس، لقد اتخذت قراري!

سنذهب لأنقاض مقر الحالمين بأي ثمن»

لمحت ليليس المعلم يخرج حقيبة صغيرة من أحد الأدراج، وينظر لما يوجد بداخلها سريعاً كما لو أن ذلك يطمئنه بصورة ما، ثم يغلقها ويضعها إلى جانب باقي أشيائه، رأته يفعل ذلك من قبل عدة مرات، لكنها لم تدر أبداً ما الذي يوجد بداخل تلك الحقيبة، وحينما سألته في مرة قام بتغيير موضوع الحديث سريعاً، فجأة دق الباب بعنف، ذهب المعلم ليفتحه ليجد في وجهه مالك المكان:

"لقد وعدتني أيها العالم ألا تجلب لي المشكلات، وها أنت ذا تنكث وعدك!"

ارتعبت ليليس أن يكون شخصاً قد علم بخطة المعلم في الذهاب لأنقاض مقر الحالمين بطريقة غير شرعية.

"ماذا فعلت؟! لم أسبب أيةً مشكلات، وها أنا ذا راحل برفقة مساعدتي"

تعالى صوت مالك المكان:

"لم تجلب لي مشكلات؟! وماذا تسمي الحراس الذين أتوا لهنا ويطلبون مجيئك حالا؟! ما الذي فعلته أيها العالم؟!"

"لا أعلم عمَّ تتحدث؟! أنا لم أفعل شيئاً!"

"أتحسبني سأصدقك مرة أخرى!"

هم المعلم يرد ولكن مالك المكان قاطعه:

"انزل فوراً؛ فلا أريد مزيدًا من المشكلات" نزل المعلم وتبعته ليليس وهي تشعر بالارتياب:

"أنت العالم المهتم بأمور الحالمين الملقب بران؟" سأل أحد الحراس المعلم ران:

"أجل، أنا العالم ران من شبه جزيرة لونا، عالم في الحضارات القديمة"

"نود منك أن تأتيَ برفقتنا إلى القصر، لدينا أوامر ملكية بذلك" شعرت ليليس بخوفها على المعلم وما قد يصيبه فسألته:

"أيها المعلم ران، هل يمكنني مرافقتك للقصر؟!"

"من تلك؟"

أشار الحارس على ليليس ليجيبه المعلم:

"تلك مساعدتي ليليس"

"ليليس ماذا؟" امتعض المعلم وتنهد:

"ليس لها كنية"

"لن تأتيَ معنا!" قال الحارس آمراً.

"عفوا؟! لقد أخبرتك للتو أنها مساعدتي!"

"إنها يتيمة بلا أصل، أتظنني سأترك أي شخص يدخل القصر؟!"

أردف الحارس، عقبت صدمة ليليس ألم في صدرها جراء ما قاله الحارس، بدا المعلم غير آبه لشيء:

"حسنا، وأنا لن آتيَ معكم"

"ماذا قلت لتوك؟!"

تساءل الحارس بصدمة وغضب في الوقت نفسه، شعرت ليليس بقلق وتعجب من تصرف المعلم:

"كما سمعت، طلبكم مرفوض"

"لا يمكنك رفض طلب ملكي!" قالها الحارس بحدة.

"بلى يمكنني"

"لا تجبرني على إرغامك" زمجر الحارس.

"حسناً فلتبدأ إذن، فلتفعل ذلك ولتخرق القانون السادس والعشرين من اتفاقية الاتحاد"

سكت الحارس وابتلع ريقه.

"آها، يبدو أنك تعرفه، فلتتبعه إذن"

بدا الارتباك على الحارس، وأشاح المعلم بنظره عنه لمالك المكان ثم أردف:

"وأنصحك بالشيء نفسه"

لم تقرأ ليليس كثيرًا فيما يخص الأحكام والقوانين، ولكنها بالتأكيد تدري عما تحدث المعلم، إنه أحد قوانين اتفاقية الاتحاد بين الجزء الشمالي من قارة أثرا وشبه جزيرة لونا، ومضمون ذاك القانون يتعلق بشأن المسافرين بين الجزء الشمالي من هذه القارة وشبه جزيرة لونا، وينص على: أولاً: عدم إجبار أي مسافر على شيء لا يريده طالما أنه لم يرتكب فعلًا مشيناً، ثانياً: حسن التعامل وعدم الإهانة بأيةً طريقة، ثالثاً:

إذا تم ارتكاب عمل مشين من أحد المسافرين من يحدد عقوبته هو موطنه الأصلي، وليست أيةً جهة أو أي شخص آخر، أكمل المعلم:

"إذن أيها الحارس، سآتي وبشروطي وسيكون هذا كرم مني للأسرة الملكية، خاصة بعد رفض طلبي دون مبرر، وإلا ستخبر أيا كان من أرسلك حتى لو كان الملك ذاته، أني غير مهتم بما يريده مني، وأنه إذا أرادني فليأتِ لي في شبه جزيرة لونا، وسأحاول أن أجد له ميعادًا لا أكون منشغلاً فيه"

كان كل من في المكان بما فيهم الحراس وليليس ومالك المكان مندهشين، نظر الحارس الذي كان ينهي ويأمر من قبل حوله، وبدا الانزعاج عليه وهو يجز أسنانه:

"وما شروطك أيها العالم ران؟"

"أولاً: ستذهبون الآن وسآتي في الوقت الذي أشاء فيه القدوم؛ فلا يمكن لعالم عالي الشأن مثلي أن يجر للقصر بواسطة الحراس كأنه مجرم، ثانياً: مساعدتي ستأتي معي وستكونون سعيدين لاستقبالها! يا رجل، أتعلم تلك اليتيمة التي لا تعجبك كم كتابا قرأته في حياتها؟! أكثر مما ستقرأه أنت وأبناءك في حياتكم بأكملها، وهي حتى لم تكمل عقدين من عمرها، ثالثاً: لتخبر من أرسلك أني أريد حراسًا أكثر لباقة لاستقبالي أنا ومساعدتي، وأشكرك الآن؛ فكما ترى إنه الصباح ولابد أن نفطر، فكيف سنزور العائلة الملكية ونحن جياع؟!" أشار ران لمالك المكان:

"من فضلك أخبر الطاهي أننا نود بعض البيض والجبن والخبز، ولتتعجله؛ فكما ترى لدينا مواعيد هامة"

جلس ران على إحدى الطاولات المخصصة لتناول الطعام، وتبعته ليليس ببطء وهي مازالت قلقه ومندهشة، ولكنها كانت أيضاً تشعر ببعض الفخر لدفاع المعلم عنها، بدا أن الحارس قد تم إحراجه بما يكفي فلم يضف مزيدًا من الكلام، وانسحب سريعاً هو وباقي الحراس وسط انبهار الموجودين في المكان.

***

ذهب المعلم وليليس ظهيرة ذلك اليوم للقصر، وتم استقبالهما

في قاعة واسعة، لا تحوي عديدا من المقاعد، ولكن كان بهما مقعدان لهما، ومقعد آخر أكثر فخامة في مواجهة مقعديهما، ولكنه أبعد وفي موضع أعلى، كانت قاعة فخمة بها عديد من الستائر والنقوش، قاما بالجلوس على مقعديهما وظلا منتظران حيث لم يوجد في القاعة سواهما، فجأة فتُح باب آخر غير الذي دخلا منه، ودخلت منه سيدة ذات جمال غير عادي، يتخطى جمال البشر، ذات شعر ذهبي طويل للغاية يصل حتى ركبتيها، مصفف على هيئة بعض الضفائر المتداخلة، مع ترك جزء منه حر، عيناها عسليتان هذا غير جديد على أغلب السكان في العاصمة وفي المملكة الشرقية لكنهما كانتا خلابتين، ذات بشرة بيضاء وملامح ملائكية، ترتدي فستاناً سماويً اللون ذو شرائط ذهبية على أكمامه وخصره، مرصع بالجواهر من أعلاه، تأملت ليليس فستانها بانبهار، فقد كان أجمل فستان رأته بحياتها! بدت أنها في العشرينات من عمرها، تبعها فتى نحيل بعض الشيء، ولكن عضلاته بارزة على الرغم من نحوله، ذو شعر كستنائي وعيون عسلية تميل للون الأخضر، يرتدي ما يشبه الدرع، ولكنه ليس كذلك تماما؛ فالمعدن لا يغطي كل أجزائه، ذو ملامح جادة، يحمل سيفاً.

جلست السيدة على المقعد المواجه للمعلم وليليس، ووقف الفتى بجوارها شابكا يده ببعضهما، ناظرا لهما بحدة، ابتسمت السيدة وأردفت بصوت هادئ:

"مرحبا بك أيها العالم ران وبـ" نظرت السيدة لليليس لوهلة

ثم أكملت:

"وبمساعدتك، آسفة إن كان الحراس الذي بعثتهم صباحاً قد أساءوا إليك بأيةً طريقة، سأعمل على عقابهم لا تقلق" أردفت بلباقة.

"لا بأس يا سيدتي، لا داعي لذلك"

"أميرتك وليست سيدتك!" أردف الفتى بحدة.

"لا بأس يا ساريو، فأنا لم أقدم نفسي للعالم بعد، أنا الأميرة دورسيرا أيها العالم ران، تشرفت بلقائك" ارتبك المعلم قليلاً:

"آسف يا سمو الأميرة، لم يخبرني أحد بأني سأتشرف بلقائك" نظرت لها ليليس بانبهار، هذه إذن هي الأميرة دورسيرا، أولى بنات الملك وأكبر أبنائه حالياً التي يتحدث جميع الناس عن مدى حدتها وجمالها، تزوجت أحد مستشاري والدها الذي كان يكبرها بما يقارب العشرين عام، ولكن تذكرت ليليس لوهلة أنها سمعت أن زوج تلك الأميرة قد مات بالفعل، لديها ثلاثة أطفال، ولكن لحظة كيف تكون هذه هي الأميرة دورسيرا؟! الأميرة دورسيرا إذا تمت حسبة عمرها على أقل تقدير ستكون في الأربعينات، ولكن ملامحها تبدو أصغر من ذلك بكثير!

"لا تقلق بشأن ذلك أيها العالم ران، أنا من أخبرتهم ألا يفصحوا عن هويتي قبل أن نتحدث أنا وأنت"

"هل لي أن أعرف لماذا يا سمو الأميرة؟"

"عرفت مؤخراً أنك تريد أن تبحث في أمور الحالمين، ولكن مع الأسف لم يصلني ذلك الخبر سوى بعد أن تم رفض طلبك"..

نظرت الأميرة دورسيرا للأرض وأخذت نفساً عميقاً ثم أخرجته رافعة نظرها للمعلم مجدداً:

"أخي الأمير دومين هو من أمر بذلك، أوضاعي الحالية، أوضاع أسرتنا لا تسمح لي أن أتجادل معه بشأن ذلك"

"ولماذا عساه أن يرفض يا سمو الأميرة؟"

"مع احترامي لك أيها العالم، ولكن هذا ليس من شأنك" ابتلع العالم ريقه مردفاً:

"أعتذر لتدخلي فيما لا يخصني يا سمو الأميرة، كل ما أعنيه أن الحالمين لطالما استخدموا السحر في الخير فقط، حتى في الحرب بينكم وبين إخوة الظل"

شبكت دورسيرا يديها:

"أعلم ذلك أيها العالم ولهذا سأساعدك"

تكاد تقسم ليليس أن الفرحة ظهرت على أسارير المعلم على الرغم من محاولته إخفاء ذلك.

"إذا نفذت أوامري"

أكملت الأميرة بهدوء ومعها اختفت الفرحة من على وجه المعلم ونظر للأميرة بارتباك:

"يسرني فعل ذلك يا سمو الأميرة، ولكن ما الذي يمكنني منحه إياك؟!"

"ابنتي"

"عذراً يا سمو الأميرة ولكني لا أفهم" أومأت دورسيرا ثم أردفت:

"بالطبع، ألم تستعجب أيها العالم أن الأسرة الملكية هنا؟ ولا يوجد أحد بمملكة الشرق؟"

"حسبت أنها صحة والدك الملك، ولكني لم أفهم لماذا لم

يجبني أغلب من سألتهم"

أجاب المعلم ثم صمت لوهلة، وأومأ كأنه أدرك شيئاً ما، ضيقت الأميرة عينيها قليلاً قائلة:

"أرى أنك استوعبت الموقف أيها العالم، لا يفُترض بأحد التحدث فيما لا يخصه"

عادت الأميرة لنظرتها السابقة:

"أنت تعلم أيها العالم أننا أخضعنا أطفالنا مؤخراً لقانون المرايا" أخذت الأميرة دورسيرا نفساً طويلاً وأخرجته مجدداً:

"ابنتي أيها العالم أظهرت المرايا أن روحها"..

صمتت لوهلة ثم اكملت: «هجينة!» لم يستطع المعلم ران أن يخفي دهشته:

"هجينة، وصفاتها التي أظهرتها المرايا جعلتها تنتمي بصورة أكبر لمملكة الغرب، أو هذا ما يظنه الممسوسين، يخبروننا أن الشعر الأسود كان من الصفات القديمة لذوي العيون الحمراء، وأنه بجانب عينها الحمراء يدل أن روحها تنتمي بصورة أكبر لمملكة الغربية"

"وماذا يمكنني أن أفعل يا سمو الاميرة؟"

"أن تجد حلاً أكيدًا لتلك المشكلة في أنقاض مقر الحالمين" ظهرت الدهشة على ملامح المعلم وتساءل:

"كيف لي أن أفعل ذلك؟ إذا كان الأمر بتلك السهولة لاستطعتم إيجاد حل وابطال سحر المرايا منذ أن تحفظتم على أنقاض مقر الحالمين! سمو الأميرة، إنها أنقاض فحسب، وليست مكانا سحريّاً لإيجاد حلول للمشكلات المستحيلة"

"هل تعلم كم هجيناً وجدوا في مجتمعنا حتى الآن أيها العالم؟!" قبل أن تترك الأميرة للعالم فرصة لكي يجيب، أجابت هي بنفسها بصوت حاد:

"ثلاثة، ثلاثة خلال سبعمائة عام، وابنتي هي الأولى من الأسرة الملكية، هل تعلم ما مصير الهجينين الآخرين؟" لم يجب العالم فأكملت هي:

"الموت!"

"لكن يا سمو الأميرة ما قرأته أن أحد الهجينين الآخرين لم يمت، بل وجد حلًّا في وادي الأسود، حلًّا جعل المرايا تظهر أنه ليس بهجين حينما عُرض عليها مجدداً، فلماذا لا تبحثين عن الحل في ذلك المكان؟! فتاريخيا هذه الواقعة شبه مؤكدة"

اقترح المعلم، لم تجب الأميرة دورسيرا فورا، ظلت تنظر للمعلم نظرة جامدة دون أن ترمش، شعرت ليليس ببعض القلق من تلك الأميرة فلم تدرِ ما الذي يجول بخاطرها، أتنوي إيذاء المعلم أو ما شابه لأنه خالفها؟! تساءلت ليليس ببعض الذعر، أردفت الأميرة:

"هذه ليست مناقشة أيها العالم، أنت تريد الذهاب لأنقاض مقر الحالمين، وأنا أريد ابنتي، وسأحصل على ما أريد بك أو بدونك، لذا فأنصحك بأن تستفيد من الموقف، إنه قرارك!"

بدا على المعلم الانزعاج لكنه سيوافق، تعلم ليليس ذلك؛ فهو يريد ذلك أكثر من أي شيء آخر، ابتسم المعلم ابتسامة زائفة:

"حسنا يا سمو الأميرة، سأحاول أن أجد حلاً لإعادة ابنتك لك"

"بل ستجد أيها العالم، لن تحاول فحسب؛ فانا حقاً لا أريد أن أستاء" شعرت ليليس بالتهديد في نبرة الأميرة وهذا زاد قلقها؛ فالعبث مع أمثال تلك الأميرة يبدو كخيار سيء للغاية، أما تطلبه حتى ممكن؟! تعلم ليليس أن المرايا تخطئ أحيانا، وإذا عُرض عليها الطفل مجددا تظُهر الحقيقة، لكن هذا نادر للغاية، ويعتبره بعضٌ ليس سوى كلام في مراجع، ما يفعله المعلم الآن هو مخاطرة كبيرة.

"ولكن" ..

قال العالم وهو ينظر للأرض لوهلة ثم نظر للأميرة مجدداً بتردد:

"أرى أنك متردد، فالرفض إذن هو خيارك أيها العالم! حسنا فلتنصرف فهذه المقابلة انتهت!"

"حسنا، حسنا، أنا أقبل، سأفعل ذلك" أردف المعلم ببعض التوتر.

كلا! كلا! لا تفعل ذلك أيها المعلم! فكرت ليليس، لكن المعلم بدا مهووساً باستكشاف تلك الأنقاض أكثر من أن يرى المنطق في أن ما تطلبه الأميرة هو شيء مستحيل.

"اتفقنا، إذن!"

أردفت الأميرة دورسيرا ثم نادت حراسها ليصطحبوا العالم وليليس في رحلتهم.

"هذا ليس ضروري يا سمو الأميرة، فنحن نستطيع الابتعاد عن المخاطر"

قال المعلم سريعاً.

"أعتقد أنك أسأت فهمي أيها العالم، إنهم ليسوا لحمايتك بل للحرص على عودتك لي بما أمرت به".

***

[3]

دورسيرا

تساقطت قطرات الندى من تلك الزهرة الحمراء، كانت محاطة بعديد من الزهور الأخرى المشابهة ولكنها حتماً مختلفة؛ فبعض أوراقها تلون باللون الأصفر بصورة جعلتها أكثر الزهرات تميزاً.

كيف تشعر كيرا الآن؟ ماذا تفعل؟ أكان بوسعي فعل شيء ولم أقم به؟ هل هي على ما يرام؟ تزاحمت الأفكار برأسها ثم طرأت أكثرهم ألما، هل تكرهني؟!

"أمي!"

أفاقت دورسيرا من أفكارها مشيحة نظرها عن مجموعة الزهور الموجودة بمدخل شرفتها لتجد ثنسيا واقفة أمام باب غرفتها وهي تمسك بيدها ورقة مطوية، ابتسمت دورسيرا بسعادة لرؤية صغيرتها، وفتحت ذراعيها لتحتضن ثنسيا، ركضت ثنسيا ضاحكة لفراش والدتها ثم قفزت أعلاه محتضنة دورسيرا سريعاً، ذلك العناق هو بحق سعادة دورسيرا الوحيدة: «أليس هذا غريباً؟ تستيقظين مبكراً اليوم!»

ابتعدت ثنسيا وهي تجيب بحماس:

"أجل، فاليوم سنزور جدي! إني حتى لم أنم!"

تغيرت نظرة ثنسيا سريعاً ونظرت أرضاً إثر اكتشافها لما أفصحته لتوها أمام والدتها، فلم تبدُ دورسيرا سعيدة بما قالته ثنسيا.

"أعني لقد نمت بعض الشيء، أمي لم أسبب مشكلات حقاً لقد كنت، فقط أفكر في هدية لجدي"..

"حقا؟! وماذا ستعطين جدك إذن؟!"

"إنها مفاجأة! لقد أحضرت لكِ أنتِ أيضا هدية"

"حقا ما هي؟"

أعطت ثنسيا والدتها الورقة المطوية التي كانت ممسكة بها منذ لحظة دخولها:

"هذه!"

تفحصت دورسيرا الورقة بينما أكملت ثنسيا:

"لقد رسمتها لكِ بفن الخطوط"

كانت عبارة عن رسمة تحتوي على أربع أشخاص أو هذا ما بدا لدورسيرا، لم تستطع تحديد معالمهم أو أي شيء بهم سوى أن جميعهم كانوا أشبه بالظلال، وكان أحدهم أطول منهم جميعا، بينما آخران يتقاربان في الطول والأخير هو أقصرهم، صارت ثنسيا مهووسة مؤخراً بالمدعى فن الخطوط الذي بدأ الانتشار بعض الشيء منذ التحالف مع شبه جزيرة لونا، حيث إنه نشأ في الأصل بشبه الجزيرة، لكن على الرغم من كل محاولات ثنسيا، لم تستطع الاقتراب من إتقانه، لكنها لا تتوقف عن المحاولة.

"إذن ما رأيك يا أمي؟" تساءلت ثنسيا بابتسامة عريضة.

"ما هذا؟"

"أمي، إنهم نحن، أنا"..

قالت ثنسيا مشيرة للشخص الأقصر ثم أشارت لأطولهم مكملة:

"أنتِ، وهذان هما كيرا وفين"

انتهت مشيرة للشخصين ذو الطول المتقارب، رفعت دورسيرا حاجبيها مظهرة الاستيعاب، ثم أومأت متصنعة الابتسامة؛ فلم ترد أن تخيب أمل ثنسيا، على الرغم من أن ما تراه أمامها ليس

سوى بضعة ظلال لا ملامح لها:

"إنها رائعة يا عزيزتي"

ضحكت الصغيرة بفخر مردفة: «كنت أعلم، هل أنتِ سعيدة الآن يا أمي؟»

"ماذا تعنين؟!"

"أشعر بأنك حزينة مؤخراً لذلك أحضرت لك هذه الهدية، هل أسعدتك؟! أرجو أن تكون أسعدتكِ"

ابتسمت دورسيرا مقبلة جبهة صغيرتها، إن ابنتها ملاك حقاً ملاكها الصغير: «أجل يا عزيزتي لقد أسعدتني كثيراً»

"أنت حزينة لرحيل كيرا أليس كذلك؟ ولكنها ستعود أليس كذلك؟! فهي لم تذهب للسماء كوالدي، هكذا أخبرني فين، أم أنها ذهبت للسماء وفين لا يدري؟"

شعرت دورسيرا بقلبها ينقبض بقوة:

"كلا يا عزيزتي، كيرا بخير ولم تذهب للسماء كوالدك"

"متى ستعود يا أمي؟ لقد اشتقت لها"

"عما قريب، فلتذهبي لغرفتك الآن وترتدي فستانا جميلا، وتجلبي هدية جدك كي نذهب إليه"

"ولكنك لم تخبريني متى سأرى كيرا!"

أخذت ثنسيا بعدم التوقف عن الشكوى، لا تكره دورسيرا بحياتها أكثر من الشكوى التي لا قيمة لها:

"اذهبي الآن يا ثنسيا، فليس لدينا الصباح بأكمله لهذا الهراء" صاحت دورسيرا، تلألأت الدموع بمقلتي ثنسيا وركضت لخارج الغرفة، آلم دورسيرا مظهر صغيرتها، ربما هي أمٌّ سيئة بالفعل، فكرت دورسيرا، ربما تستحق أن تكرهها ابنتها.

سارت دورسيرا عبر الردهة، حتى وصلت لغرفة ثنسيا، ثم اخفت يديها بعض الشيء بما تمسكه خلف فستانها، كان الباب مفتوحًا بالفعل، يظهر ثنسيا وهي تجلس على فراشها ممسكة شيئاً بيدها لم تلمحه دورسيرا، حيث إن المربية وقفت أمام الصغيرة.

"هل تعتقدين أنهم سيعجبون جدي؟"

"بالطبع أيتها الأميرة؛ فتلك الزهور في غاية الروعة"

"احم"

نظرت كلٌّ من ثنسيا والمربية لدورسيرا الواقفة أمام الباب، ثم نظرت ثنسيا للأرض سريعاً، أشارت دورسيرا للمربية:

"يمكنك الانصراف" خرجت المربية سريعاً:

"هل أنت جاهزة يا ثنسيا؟"

أومأت ثنسيا وهي مازالت تنظر أرضاً.

"لقد أحضرت لك شيء"

أردفت دورسيرا، حينها فحسب رفعت ثنسيا نظرها لوالدتها متسائلة بحيرة:

"حقا؟!"

"أجل؛ فقد بدوتِ حزينة وأردت أن أسعدك"

أظهرت دورسيرا الزهرة ممزوجة الألوان التي اقتطفتها من مدخل شرفتها قبيل قدومها لثنسيا، اقتربت ثنسيا من والدتها تاركة الزهور التي كانت تمسك بها على الفراش: «هل تعجبك يا عزيزتي؟»

نظرت ثنسيا للزهرة بتفكير: «إنها تبدو غريبة، تعجبني!» انهت الصغيرة جملتها بسعادة مما أسعد دورسيرا:

"حسنا إذن، لنضعها في شعرك لتزيد جمالك"

قامت دورسيرا بوضع الزهرة برفق بين خصلات شعر ثنسيا المصفف بعناية، بدت ثنسيا رائعة الجمال بعيونها العسلية وشعرها الذهبي وابتسامتها الواسعة الملائكية:

"تبدين بديعة الجمال يا عزيزتي"

احتضنت ثنسيا قدمي والدتها سريعاً، فابتسمت دورسيرا إثر ذلك ثم جرت الصغيرة لجلب الأزهار التي تركتها أعلى الفراش:

"هذه هي هدية جدي يا أمي أتعتقدين أنه سيحبها؟"

"تلك هي الهدية الغامضة؟" تساءلت دورسيرا بنبرة ضاحكة:

"أجل لقد حرصت على أن تكون الأزهار بكلا اللونين الأحمر والأصفر؛ لأريه أننا سوف نكون دوماً متحدين، هذا سيساعد في شفائه أليس كذلك؟! أليس كذلك يا أمي؟!"

نظرت دورسيرا للأزهار، كانت جميعها صفراء أو حمراء تماماً، لم تكن أي منها كالزهرة الموجودة الآن بين خصلات شعر ثنسيا، شعرت دورسيرا أن جميعهم متشابهين لا يميزهم أي شيء، نظرت صوب ابنتها لتجدها مازالت منتظرة الإجابة:

"أجل يا عزيزتي، بالتأكيد ستسعده هذه الزهور، فهي مميزة بحق"

"كنت أعلم"

خرجتا من الغرفة وهما يتجهان لغرفة الجد، لم يسيرا سوى بضعة خطوات بسبب قرب غرفة ثنسيا للغاية من غرفة جدها، دخلت دورسيرا وثنسيا غرفة الملك، لشخص من العامة قد يظن أن تلك ليست غرفة بل منزلاً بأكمله؛ فهي واسعة للغاية ومقسمة لأجزاء مشابهة لأجزاء المنزل بشرفة كبيرة وستائر ضخمة، لكن دورسيرا ليست من العامة؛ فقد نشأت لتظن أن هذا هو الحجم الطبيعي للغرف، لكن سنوات عمرها جعلتها تعلم بعض الأشياء، عبر الخدم، عبر الحكايات وعبر أسفارها المعدودة. لم تعتد دورسيرا دخول هذه الغرفة كثيراً في صغرها حتى حينما شبت، فقط بدأت بحفظ معالمها بعد مرض والدها، فقد صارت تطمئن عليه باستمرار: «جدي!»

صاحت ثنسيا راكضة صوب فراش جدها، سارت دورسيرا خلفها بخطوات ثابتة، لمحت حينها ثلاثة أشخاص يقفون حول

الفراش، يبدو عليهم أنهم يودون الانصراف سريعا، لم تحتج لوهلة في التفكير في هويتهم؛ فهم الملقبين بإخوتها أو دومين الأرعن وميستريو المتأمل ونايلس البائس كما تراهم عيونها، نظر كل منهم لها سريعاً على سبيل التحية أو لمحهم لمجيئها، حقا لا تهتم.

"ثنسيا، أهذا أنت يا عزيزتي لقد اشتقت لكِ"

قالها جد ثنسيا الممد أعلى الفراش بوهن، جلست ثنسيا بجانبه محتضنة إياه بشدة ثم أعطته الأزهار:

"جدي، لقد أحضرت لك بعض الأزهار، مرحبا أخوالي"

حيت ثنسيا أخوالها سريعاً، ربت نايلس على شعرها بلطف، بينما حياها ميستريو واكتفى دومين بالابتسام، أمسك جدها الزهور بيد مرتعشة ليشمَّها في الوقت نفسه الذي جلست فيه والدتها دورسيرا على مقعد مجاور للفراش:

"إنهم رائعون يا ثنسيا" أردف الجد بصوته الوهن.

"لقد أحضرتهم بكلا اللونين الأحمر والأصفر كي تعلم أننا سنظل دوماً متحدين، كي تشُفى فقد أخبرتني والدتي أن مرضك قد ازداد، وأثر على رؤيتك؛ لهذا أخبرك بألوانهم لأنك ربما لا تراهم جيداً"

ظهرت الدهشة على وجه نايلس الذي كان على وشك أن يحاول توجيه ثنسيا لخطئها بهدوء، بينما ابتسم ميستريو قليلاً.

"ثنسيا، تأدَّبي"

صاحت دورسيرا مقاطعة كل شيء آخر، ضحك الجد بشدة لكن ضحكاته قاطعها السعال:

"لا بأس يا ابنتي دورسيرا، لا بأس"

"جدي، أنا آسفة لم أقصد"..

بدت ثنسيا شاعرة بالذنب.

"لا بأس يا ثنسيا، ولكني أرى بصورة جيدة، لقد كنت أعلم ألوان تلك الأزهار"

"كيف يا جدي؟!" ضحك الجد مجدداً مجيباً:

"من الرائحة التي تفوح منهم يا عزيزتي، ربما أصاب المرض عيني، لكنه لم يمحُ سنوات طويلة من الخبرات المختلفة"

"كيف حالك الآن يا أبي؟" تساءلت دورسيرا.

"ماذا تعتقدين؟ أم هل تمت عَدْوتك من بلاهة ابنتك؟ ما هذا السؤال الأحمق؟"

"جدي ما الذي تعنيه ببلاهة ابنتك؟!" بدت الحيرة والحزن على معالم ثنسيا.

"أووه يا عزيزتي لا أعنيك أنتِ بالطبع، كنت أعني كيرا" أجابها الجد محاولا الكذب.

"أها، حسنا، لكن كيرا ليست بلهاء إنها مشاغبة فحسب، هذا ما تقوله المربية دوما، لكن جدي متى سأراها؟"

اللعنة! فلتصمتي فحسب يا ثنسيا، هذا هو كل ما خطر ببال دورسيرا بتلك اللحظة، خاصة بعد رؤيتها تغير ملامح وجه والدها عقب سؤال الصغيرة.

"ثنسيا أيتها الصغيرة، لما لا تذهبين لإيجاد الخادمة كي تضع تلك الزهور الجميلة في بعض الماء؟"

اقترح ميستريو سريعاً، أومأت ثنسيا بسعادة، بينما لغرابة الأمر، شعرت دورسيرا ببعض الامتنان لما فعله ميستريو، لكن ثنسيا لم تسر سوى بضعة خطوات حتى أوقفها صوت جدها:

"انتظري"

استدارت له الصغيرة، بينما ترقب الإخوة الأربعة ما سيقوله والدهم لها:

"أجل جدي"

"أخبريهم أن يحضروا لي بعض الطعام، وأريدك أن تشرفي على القيام به، أيمكنك فعل ذلك لأجلي؟"

أومأت ثنسيا مبتسمة ثم غادرت، ظنت دورسيرا أن الأمر انتهى حتى تحدث والدها بصوته الوهن مجدداً: «ها قد حرصت لكم ألا تعود الفتاة سريعا؛ فربما قد تنسى ما كانت على وشك قوله لي، أو من يدري ربما أنسى أنا؛ فقد تمكن المرض مني أليس هذا ما تحسبوه يا جالبي العار؟!» رغم ضعف صوته لكن الغضب بدا جليا به.

"والدي الأمر ليس كما تظن"

حاولت دورسيرا تهدئة والدها لكنه ثار بصورة أكبر:

"اخرسي، لا أريد سماع كلمة واحدة منك، ابنتك هجينة؟! حفيدتي هجينة؟! حفيدتي أنا هجينة؟! كيف؟!"

أشاحت دورسيرا عينها بعيدا عن والدها بحنق، بينما تحدث دومين:

"والدي العزيز الأمر تحت السيطرة، ليس عليك بالقلق إطلاقا"

"اخرس!"

صاح الملك بأعلى ما أستطاع به مكملاً:

"اخرسوا جميعكم، تخفون الأمور عني وتأتمرون من خلفي، أتعتقدون أني لا دراية لي بما تقومون به، بما تريدونه يا جالبي العار؟ يا جالبي الموت؟! أنتم تريدون موتي فحسب أنا أعلم جيداً، تعدون الأيام حتى تخور قواي وألفظ آخر أنفاسي، حتى مجيئكم اليوم لم يكن سوى بسبب طلب مني"

لم تدرِ دورسيرا إلى متى سيظل تصرف والدها بذلك الشكل، لم يعتد منه إخوتها سوى على ذلك، ربما هي قد ضجرت من الأمر فحسب لأنه كان ألطف في معاملتها عن باقي إخوتها قبيل مرضه، لكنها حقاً لم تعد تحتمل ذلك الأسلوب في التعامل غير المبرر، أو ربما هو مبرر لكنها ترفض الاعتراف لنفسها بأسباب ما يفعله. تحدث نايلس:

"هذا غير صحيح يا والدي نحن جميعاً ندعو أن تصير على ما يرام، لقد حضرنا اليوم لرغبتنا حقا برؤيتك، حتى انستازيا لو كانت تستطيع"..

استشاط والدهم غضبا دافعاً كوب ماء كان يوجد على طاولة صغيرة بجواره ليسقط أرضاً ويهشم تماماً:

"لا تذكر ذلك الاسم أمامي مجدداً أبداً! أبدا! ليس لدي سوى أربعة أبناء لا قيمة لهم، تلك الحثالة ليست ابنتي، إنها ليست سوى جالبة لعنة" كان صوت أبيهم في ذلك الحين أعلى ما يكون، أخذ يسعل بقوة إثر ذلك:

"والدي هل أنت على ما يرام؟!" تساءل نايلس ببعض القلق.

"اخرجوا، اخرجوا جميعكم يا جالبي العار، لا أريد رؤية وجوهكم" هموا بالرحيل حينما أكمل والدهم مخاطباً دورسيرا:

"عدا أنتِ"

تبادلت دورسيرا ودومين نظرات، فهمت مغزاها، ثم رحل الإخوة الثلاث، عم الصمت قليلا ثم تحدث الملك بخيبة أمل:

"لم أحسب أن أعيش حتى اليوم الذي أراكِ فيه لا تختلفين كثيرا عنهم، وددت أن أموت قبل أن يصير كل أبنائي بذلك الشكل، الأرعن والضعيف والمجهول، حسبت أنك ستكونين الابنة التي أردتها، حسبت ذلك منذ وفاة أخاكِ رانل، لكن يبدو أني لم يكن لدي حقاً سواه"

آلم دورسيرا سماع ذلك الاسم، لوهلة رأت أمام عينيها ما تبقى في مخيلتها من ذكراه، في الواقع لم يتبق كثيرٌ، لكنها لن تنسى أبداً تلك الابتسامة المريحة، كم مر من الزمان.

"لماذا؟! لقد أعطيتك كل شيء!" تساءل والدها بألم.

لم تدرِ بماذا تجيب، الإجابة المنطقية هي «لماذا تلومني؟! فأنا لست المسؤولة عما فعلته المرايا، أنت الآن تنتحب وتزيد مرضك عوضاً عن كونك تذكرني بالفاجعة التي ابنتي تعيشها الآن، ولا أملك كثيرًا من الخيارات لإزالتها، لكنك مازالت تلومني لأن ذلك هو الأمر الأسهل، أحاول جاهدة أن أحرص على أن تصير على ما يرام، أحاول جاهدة على أن أصلح حالة ابنتي، حتى إنني خالفت النواهي باللجوء للسحر لإيجاد حل، لكن في النهاية مازالت أنا الملامة بلا أدنى شك»

لكنها علمت أن تلك الإجابة لن توصلها لأي شيء، فاختارت الصمت.

"لقد خذلتني يا دورسيرا، على الرغم من كل ما فعلته بحياتي، لن يذكرني التاريخ سوى بالملك الذي لديه حفيدة هجينة، لا أصدق أني أحببتها كما أحببت باقي أحفادي!"

عند ذلك الحين، أرادت دورسيرا الصياح فحسب، هذا ليس خطأ ابنتها! لم تفعل أي شيء! ويتحدث عنها جميع الناس

بذلك الشكل المذري، أرادت دورسيرا الخروج من تلك الغرفة فحسب، لكنها تمالكت نفسها.

"لكنني لم أستطع التوقف عن حبها، كيف وهي حفيدتي؟!" أثار ذلك تعجب دورسيرا، لكنه أشعرها ببعض الراحة، لكن سرعان ما شعرت بالألم يغزو قلبها؛ فقد تذكرت كم اشتاقت لكيرا، وكم كانت الفتاة مشاغبة لكنها لم تتوقف عن حب ابنتها أبدا.

"لا يهم كل ذلك الآن، استمعي جيداً، لقد حلت بالفعل عديدٌ من المآسي لعائلتنا، موت رانل، موت والدتك، والآن موقف ابنتك، لكن لا يمكنك أن تسمحي للفاجعة الكبرى بالحدوث، أراكِ وأرى إخوتك الحمقى، وأرى ما يمكن أن تحدثوه، لكني مازالت أضع بعض أملي بك، عليك منع حدوث التفرقة، أخاك الأبله دومين ينساق خلف وساوسه التي لا تنتهي وخلف أي شيء، وأنت تعلمين أنه سيصير الملك بعد موتي لأنه أكبر إخوتك الذكور، عليك أن تحرصي ألا يفقد صوابه، عليك أن تحرصي أن تظل أراضي جوزيف و"بودير" أولاد عمك كما هي، بل يجب جعلهم الوصيين على المملكة الغربية"

صار والدها يهذي الآن، هذا كلام غير موزون؛ فذلك هو حق أخيها نايلس، لكنها أرادت إراحة والدها فحسب:

"بالتأكيد يا والدي"

"لا تثقي بأي منهم، ثقي بنفسك فحسب، ولا تدعي سبيلًا للتفرقة، فإن حلت التفرقة فجميعكم هالكون لا محالة! إياكِ أن تحل التفرقة!"

***

على الرغم من كمٍّ ما يتوجب عليها فعله، إلا أنها لم تستطع تصفية ذهنها تماما مما قاله والدها مبكرا ذلك اليوم:

"لكن لا يمكنك أن تسمحي للفاجعة الكبرى بالحدوث"

"وأرى إخوتك الحمقى وأرى ما يمكن أن تحدثوه"

"لا تثقي بأي منهم، ثقي بنفسك فحسب، ولا تدعي سبيلًا للتفرقة" توالت الأفكار بعقلها كالفيضان الجامح، على الرغم من ذلك لم تتوقف للحظة عن توقيع الأوراق أمامها، تجلس الآن مجدداً بغرفتها خلف مكتب خشبي لامع، أمامها حفنة من الأوراق عليها الانتهاء منها، فإخوانها سيعقدون مجلس التشاور بخصوص ما سيؤول إليه حال ابنتها كيرا بعد ما يقل عن الساعة، وعليها أن تحرص على أن يعرفوا جميعاً مقامهم جيدا ولا يتعدوه، دق الباب ثلاث دقات متتالية.

"ادخل"

فتُح الباب ببطء مظهراً فين من خلفه، لم ترفع دورسيرا عينيها من كومة الأوراق أمامها، لكنها علمت هوية الطارق؛ فلن يغيب عن ذاكرتها صوت خطوات ابنها مصاحبة لنقرة عكازه المميزة:

"لقد طلبتِ مجيئي" أردف فين بهدوء.

"أجل، اغلق الباب ثم اجلس"

انصاع فين لأمرها فأغلق الباب ثم جلس على ذلك الكرسي المجاور لمكتبها:

"لم آركَ تزور جدك اليوم"

"لماذا تسألينني هذا السؤال الآن؟"

"من المفترض أن تزور جدك المريض"

"أجل لكن لماذا تسألينني الآن؟"

تساءل فين مجدداً لكن بتأكيد كلمته الأخيرة، ترى الآن ما يحاول فعله ذلك المتحذلق، يحاول إثبات أمر ما، يحاول إثبات أنها لم تسأله من قبل إذن فلابد من سبب لسؤالها الآن، لا يدري أنها حاولت الصبر من قبل لذلك لم تسأله فحسب، إذا

كرس تحاذقه هذا فقط لما هو أهم ربما قد تتغير حالته تلك للأفضل، أبعدت دورسيرا عيونها عن الأوراق أمامها لوجه ابنها، لتلك الملامح المريحة، لكن لا ابتسامة تعلوها فقط الحزن الدفين، الإجهاد، والسواد المتزايد حول الأعين، بالطبع هو يحاول إخفاء ذلك، لكنها طالما استطاعت رؤية العيون جيداً ليس كما يراها أي شخص، بل بما تحمله من كلمات مخفية؛ فهي قارئة للعيون كما أسمتها والدتها، لا تريد أن يصير ذلك هو حاله، لا تريد أن ينتهي به المطاف كشخص غريب لا يوجد في عينيه سوى الخواء كأخيها ميستربو، لا تريده أن يتحول لشخص بائس يرفض التقدم للأمام كأخيها نايلس، تريده فتى قويَّ العزيمة يتخطى عقبات حياته، بل ويسحقها فلا وقت للأسف والحزن ولا قيمة لهما.

"لقد تركت لك وقتك الكافي، تغافلت لأيام وأسابيع، لا تعتقد لوهلة أني كنت كفيفة أو بأنني أتقبل أسلوب حياتك التعس هذا، تتأمل ساحة القتال لساعات، أنظر لملامحك، للسواد المحيط بعيونك، إنك تبدو كالأموات، بالكاد تخرج من غرفتك وتتفاعل مع أي شخص سوى أختيك وبيلا، بالكاد تأكل، بالكاد تحضر الاجتماعات التي أخبرك بأهميتها، بالكاد تحضر الحفلات التي تتسبب في رفع حالتك الاجتماعية، بالكاد تقابل عامة الشعب كي تصير محبوباً، كلا أنت فقط لا تنفك عن النظر عبر تلك النافذة اللعينة أليس كذلك؟"

بدا فين منزعجاً من تلك المحادثة، لكنه كالمعتاد حاول

إخفاء ذلك بالصمت وإشاحة نظره بعيداً، زاد ذلك من غضب دورسيرا وزاد من حدة صوتها، فما يفعله الآن ليس سوى الهرب، وقفت دورسيرا لتقف بمواجهة فين:

"حين يخاطبك الناس، فلا تشِح بنظرك أبدا، لا ترمش، بل تنظر لعيونهم بقوة، بثبات حتى يشعروا أنك ستخترق أرواحهم، وأنك تستطيع سحقهم بنظرة عيونك فحسب"

نظر لها فين بعيون حائرة، هو لم يتوقع ذلك، لكن عليه أن يتعلم، عليه أن يصير أقوى، أذكى، لكن عليه قبل كل ذلك أن يطيعها؛ فهي تدري ما هو أفضل له ولأختيه.

"لكن حين أخاطبك أنا، فلا تشِح بنظرك لأني أمرتك بذلك!" بدت تعابير فين محايدة الآن، لا امتعاض، لا حيرة، نظرته المعهودة فحسب، جلست دورسيرا خلف مكتبها مجدداً مكملة حديثها بلا مبالاة: "اجمع شتات نفسك وعش كالأفراد الطبيعيين، تفكيرك أنك عاجز هو ما سيجعلك عاجزًا، قم بذلك بنفسك أو سأجبرك على القيام بذلك، يمكنك الانصراف الآن"

حسبت دورسيرا أنه سيرحل على الفور، لكنه ظل ما يقارب الدقيقة حتى ترك المقعد الذي كان يجلس أعلاه، متجها صوب الباب، فتحه ببطء لكنه توقف مردفا بصوت خزي:

"أنا بالفعل شخص عاجز".

تنهدت دورسيرا، متى سيتوقف عن التفكير بتلك السلبية، يستطيع تخطي ما هو بصدده إذا توقف عن التفكير بتلك الطريقة:

"فين، فقدانك للقابلية على السير دون عكاز وما ترتب على ذلك، ليست بنهاية العالم ليست بنهايتك، أنت فتى ذكي، أحقا يجدر بي إخبارك ذلك؟!"

"كلا يا والدتي أنا عاجز، أنا عاجز عن مساعدة والدي، لم أستطع سوى مراقبته فحسب وهو يموت ببطء، أنا عاجز عن مساعدة أختي، حين رأيت جميعهم ينظرون لها كما لو كانت وحشًا وهي تنظر لي بعيون دامعة، بعيون تتوسل المساعدة"

شعرت دورسيرا بذلك الثقل يغرق قلبها مجددًا، اعتادت عليه لكن ذلك لم يخفف وطأة ألمه، أدركت أنه مقيم لا يغادرها، بل يكمل غزوه لباقي أنحائها حتى يستحوذ عليها تماما.

"إني عاجز يا والدتي، فحتى في أحلامي لا أستطيع إنقاذها وأراها تركض تجاهي طالبة عوني، أريد حينها أن أفعل كل ما بوسعي لمعاونتها، أن أقدم كل ما أملك، لكن ماذا أملك يا والدتي؟! ماذا أملك سوى عصاي تلك؟! وماذا يمكنني أن أفعل بها أمام شعبين ومرايا ولعنة منذ مئات السنين؟! ولا يمكنني حتى إخبارها بذلك، أقف مشلولاً متجهم الملامح

فحسب، وحينها تسألني بصدمة فين، أحقا ستتركني؟!"

وضع فين كفه على جبهته مغلقا عينيه، شعرت دورسيرا بالثقل يزداد، يزداد أكثر من أي حين آخر، كل ما تريده هو السعادة والأمن لأطفالها، لكنها يبدو أنها دون عمد تجرحهم بشدة، كيرا، ثنسيا والآن فين، ظنت طوال ذلك الوقت أنه كان يحدق لتلك الساحة ليلاً ونهاراً فحسب، لم تظن لوهلة أنه يبدو مجهد الملامح من فرط الشعور بالذنب، ذنب تفاقم حتى تحول لكوابيس متواصلة على الرغم من أنه لم يتسبب بأي من هذا.

"فين، هذا ليس خطؤك"

حاولت دورسيرا تهوين الأمر، أزاح فين كفه من على جبهته وفتح عيونه ناظراً لوالدته:

"أليس كذلك؟! أمنيتي الوحيدة كانت عدم المغادرة، والآن أتمنى أن تنعكس الأدوار، أنتِ محقة تماما يا والدتي، أنا أضيع حياتي، أنا أهرب فحسب، وظني أني عاجز هو ما سيجعلني عاجز".

فين بطبعه عنيد، لكنه فتى ذكي، ربما أدرك أخيراً ما أرادته دوما أن يدركه، وهذا رسم البسمة قليلاً على شفتيها، خاصة بعد ذلك الثقل الذي جثا على قلبها طويلا، أكمل فين:

"لذلك قررت فعل ما خشيته للغاية، أنا سأرحل يا والدتي!" ظنت أنه رحل، لكنه عاد بعد بضعة ثوانٍ فحسب ليخرق قلبها تماماً، سحقاً لذلك الثقل، دهشت دورسيرا وعكس ما تحاول فعله دوماً بدت مشاعرها جلية على وجهها:

"عمَّ تتحدث؟!"

"خالي ميستريو سينطلق للمملكة الشرقية بعد يومين، وعرض عليَّ الذهاب برفقته"

صمت فين لوهلة ثم أكمل بحدة: «وقد وافقت»

شعرت دورسيرا بصدرها يلتهب وبعقلها يتحطم، حتى لم تعد ترى أمامها وانتابها الدوار كما لو أن شخصاً رمى على رأسها صخرة هشمتها تماماً، كيف له أن يفكر بذلك؟! كيف له أن يفكر بتركها؟! وقفت دورسيرا محاولة تمالك نفسها وعدم إظهار الرعب الذي أصابها للتو، كلا، لن تسمح له بالذهاب:

"وافقتَ دون إذني؟!"

"أجل!"

قالها فين وهو ينظر لها بعينين ثابتتين، "لن تذهب يا فين، حتى وإن أجبرتك على ذلك»

أردفت دورسيرا بحدة، تحدث فين بنبرته نفسها ونظرته السابقة:

"معذرة يا والدتي، يجدر بي الانصراف"

ثم انصرف إثر ذلك، شعرت دورسيرا بالغضب يجتاحها كالبركان الثائر، أخذت تتجول بخطوات متسارعة في الغرفة، لن يرحل لن تسمح بذلك مطلقاً، ألا تكفي مشكلة ابنتها؟! ذلك العنيد الأرعن، أسيؤول به الأمر ليصير كدومين الأحمق؟! كلا، كلا، لن تدعه يفعل ذلك، لن تدعه يعرض نفسه للخطر فقط لأنه أحمق غير واعٍ! يخبرها منذ لحظات أنه لن يهرب وهذا هو ما يفعله الآن تماما! كل ما يتحكم بمشاعره الآن هو العناد، شعرت بدمائها تغلي وبرأسها يكاد ينفجر، لم تدرِ لماذا خطرت أسماء مألوفة ببالها، بعضها لعنتهم وبعضها الآخر اشتاقت لهم، شعرت أنها وحيدة لا تستطيع الثقة بأي شخص، تحاوطها الأفاعي من كل صوب، وتقع على عاتقها مسؤولية كبيرة تزداد كل يوم فحسب، لكنها لن تجزع ولن تهمد وستبقى قوية، ستبقى صامدة، ولن تسمح له أن يكون ذلك الفتى الأبله مطلقاً، لا يهمها ما يشعر به ابنها، لا يهمها ما يراه، ما يهمها هو أنها ستحافظ عليه هو وأختيه حتى إن تسببت قرارتها بمقتهم لها طوال حياتهم لكنها ستحميهم، لأنهم أعز ما تملك، لن تدعهم لخياراتهم البلهاء. أغمضت دورسيرا عينيها وحاولت ضبط أنفاسها، قررت التوجه لغرفة الاجتماعات مبكراً محاولة تناسي الغضب الجامح برأسها، فتحت عينيها

ثم سارت بخطوات ثابتة خارجة من غرفتها، سارت عبر القصر ببالٍ مشغول لم تنتبه حقاً لما مرت به أو بمن ألقى التحية عليها، أخذت تفكر بكيرا، لكم تمنت أن تحتضنها وتستمع لصوتها وهي تقول «والدتي» توقفت دورسيرا أمام باب الغرفة حيث كان يقف حارس انحنى لها محيياً، ثم فتح الباب دون أيةً كلمة.

دخلت دورسيرا لتجد الغرفة لا يوجد بها أحد، تلك الغرفة الواسعة الخاصة بالاجتماعات وتوجهت لمقعد مجاور للمقعد المخصص للملك، تفحصت مقعد الملك بعينها مفكرة بداخلها أن دومين حينما يأتي فحتما سيجلس أعلى ذلك المقعد على الرغم من أن والدهم مازال حيّاً يرُزق، إنه لا يستحقه فهو أبله ومتسرع، لكنه مازال أخاها، أنهت دورسيرا سيل أفكارها بجلوسها أعلى المقعد المجاور لمقعد الملك، طبقت دورسيرا يديها سوياً واضعة إيهما أعلى المنضدة، لم تمر سوى بضعة ثوانٍ وكانت قد شعرت بالضجر بالفعل، فجأة فتُح الباب سريعاً ودخل كل من ميستريو ونايلس ثم جلسا على مقعدين مواجهين للمقعد الذي جلست دورسيرا، شعرت دورسيرا بدمائها تفور مجدداً لرؤية ميستريو فحسب وتذكرها بالعرض الذي قدمه لابنها:

"أختي العزيزة أرى أنك أتيت باكراً، يبدو أن حديث والدنا لم يطل" أردف ميستريو بابتسامة خفيفة، نظرت له بمقت:

"كلا، لكني أنا وأنت سنتحدث حديثاً سيطول بلا شك، ولا أظنك ستسعد بما سيعقبه".

"سيسعدني هذا كثيرا يا أختي العزيزة".

يا له من وغد بارد الدماء! حاولت دورسيرا تناسي غضبها لوهلة، فتُح الباب مجدداً حينها ثم دخل دومين وجلس على مقعد الملك كما توقعت تماما:

"حسنا فلنبدأ"

أردف دومين سريعاً ثم أكمل:

"كما تعلمون فقد قررت أن نجتمع اليوم لمناقشة القرار النهائي بخصوص فاجعة كيرا"

سحقاً له وسحقاً لهم، يعتقدون أنهم لهم الحق في تحديد مصير ابنتها، فكرت دورسيرا، لكن عليها مجاراتهم حالياً فلا تملك خيار آخر.

"حسبما وصل لي من أنباء، فقد عمت كثيرٌ من الفوضى إثر هوية كيرا الجديدة، يطالب كثيرٌ من النبلاء وممثلي الشعب بنفيها أو.."

"أو ماذا؟!"

كان صوت دورسيرا يشبه النيران المشتعلة، تردد دومين عن الإجابة بعض الشيء، أكملت دورسيرا:

"أخبرني يا أخي، يا من ليس لديه أيةً مشكلة بوضع ابنتي حبيسة في حصن، والآن لا يمانع بنفيها أو حتى قتلها، أليس كذلك؟!"

بدت دورسيرا ثابتة على الرغم من كم الألم والكره اللذان يجتاحان كيانها الآن، فلن تكذب على الرغم من علمها بطبيعة دومين وتوقعها لما قاله منذ ثوان، إلا إنها تمنت أن تكون مخطئة على الرغم من ثقتها بكونها غير مخطئة، لكن جزء بداخلها أراد، لكن لا يهم، ففي النهاية كانت محقة؛ لا تستطيع الثقة أبداً بهؤلاء الملقبين بإخوتها، ليس منذ ما حدث لأخيها رانل وما تشهده منذ ذلك الحين.

"دورسيرا، لا تخاطبيني بتلك الطريقة لن أسمح لك، لا يهمني أي أوهام تسود عقلك، أنا لن أفكر أبداً بفعل ذلك لكيرا، إنها كابنتي"

صاح دومين، نظرت دورسيرا لعينيه دون أن ترمش، لتشعر ببعض التزعزع والتردد بهما، إن عيونه غير صادقة.

"يمكننا إعادة النظر بشأن وادي الأسود، فقد كان الحل الوحيد من قبل لمُحْيي الروح الهجينة، إذا أعطيت الأمر فقط يا دومين."

"فلتصمت يا نايلس، هذا أكثر الآراء غباء، عن أي وادٍ تتحدث؟!

عن وادٍ يقال إنه بطريقة ما كان قادراً على تحويل روح شخص هجين لشخص عادي ينتمي للشعب الأصفر لأنه ترجى قادة الشعبان القدامى الذين تحولوا لأسود أن ينقذوه؟! أتريدنا حقا أن نلجأ لأمور السحر والشعوذة تلك، ألا يكفي ما تسبب به السحر بالفعل؟! كلا يا أخي؛ السحر محرم تماما، وسيظل كذلك طالما أنا على قيد الحياة»

"هذا بالإضافة إلى أن كل الحملات التي عملت على استكشاف وادي الأسود سابقا باءت بالفشل، لم يجدوا سوى أنقاض أو أثار مهشمة، بالإضافة لتواجد غير طبيعي للأسود البرية بذاك المكان، من الأسهل تجنبه فحسب فلا فائدة ترُجى منه"

أعقب ميستريو مؤكدا كلام دومين، طأطأ نايلس وجهه بسبب الحرج.

"ماذا بخصوص الممسوسين؟! ألم يقولوا أن كيرا تنتمي

للمملكة الغربية حسب صفاتها الحالية؟!"

كان ذلك أول سؤال حقيقي تطرحه دورسيرا، فهي لم تهتم حقا بوادي الأسود، وظنت أنها بالفعل فكرة حمقاء، أملها الوحيد كان أما بالمسوسين أو بما قد تسفر عنه تلك الرحلة السرية لأنقاض مقر الحالمين التي سمحت بها دون علم أحد.

"لقد دارت مزيد من المناقشات بين الممسوسين لتحديد مصير المهجنين، فكما تعلمون إخوتي، فليس لدينا كثيرٌ من المعرفة بخصوصهم»

قال ميستريو بجدية «إلام توصلوا؟» تساءل دومين لكن ميستريو لم يجب على الفور مما جعل دومين يتحدث مجددا:

"أرى أنها لم تكن إجابة مبشرة، مقاربة لما اقترحه النبلاء وممثلو الشعب على ما يبدو"

"إلام توصلوا يا ميستريو؟" تساءلت دورسيرا بغضب،

"توصلوا إلى أنهم غير واثقين من معلومتهم السابقة بخصوص انتماء كيرا للمملكة الغربية؛ فلا قواعد فعلية تصلهم بخصوص المكان الذي يفترض أن يمكث به الهجين، لذا فخطر تواجدها بالمملكتين أو العاصمة الأم يعادل خطر نفيها؛ في الحالتين قد نكون قد خالفنا قانون المرايا بشكل

ما، ولا تنسوا إخوتي الأعزاء ما الذي حل بشعبنا حينما تمت مخالفة قانون المرايا من قبل»..

"المرض الأزرق" هي الإجابة التي خطرت ببال دورسيرا على الفور،

أَكَيْ تحمي ابنتها يمكن أن تتسبب في مخالفة قانون المرايا بشكل ما؟ وقد يؤدي ذلك لكارثة أخرى مشابهة للمرض الأزرق، أيعقل؟ تساءلت دورسيرا، عمَّ الصمت بين الإخوة الأربعة قليلا، ساد عقل كل منهم مئات الأفكار، تحدث نايلس:

"إن رحلت كيرا هذا سيكون بالفعل مخالفة لقانون المرايا؛ فقد شبت بهذه الأرض وخضعت لقانون المرايا، هذا يعني أنها لا يمكنها الرحيل حتى تتم الثلاثين، حتى، حتى إن لم نعلم حقا لأي مملكة تنتمي، فصفاتها الحالية تدل على انتمائها للمملكة الغربية بصورة أكبر، وأرى أن مكوثها هناك هو الحل الأمثل» أجابه دومين:

"ترى أن مكوثها هناك هو الحل الأمثل يا نايلس؟! إذن أنت أكبر أحمق رأيته بحياتي!"

بدا الانزعاج جليا على وجه نايلس، لكنه لم يرد الإهانة لدومين، بالطبع فهو أضعف من ذلك! أكمل دومين:

"المرايا دوما تعطي قواعد للممسوسين بما يجدر فعله! عدم إعطائها لقواعد بخصوص المهجنين يعني أنهم لا ينتمون لشعبنا، ولا ينتمون لهذه الأرض!»

"ما الذي تقترحه يا أخي؟"

تساءل ميستريو بينما كادت دورسيرا تنفجر، فقد علمت تماما ما سيقوله دومين:

"أنا لا أقترح يا ميستريو، أنا آمر فحسب، وبصفتي خليفة والدنا في الملك، آمر بنفي كيرا لشبه جزيرة لونا»

"هل جننت؟! إنها ابنتي!" صاحت دورسيرا.

"أنتِ من جننتِ يا دورسيرا إذا حسبتِ أني سأبقي على شر كهذا على أراضينا! أعلم جيدا أنها ابنتك وأعتبرها كابنتي، لكن المرايا أظهرت أن روحها هجينة! أي أنها تحمل دماء إخوة الظل لكن من نسل شعبنا!

أليس طفل كهذا هو من يخبرنا الممسوسين في كل عام لقانون المرايا أنه سيدمر شعبنا؟! أي أنها قد تكون السبيل لهلاكنا جميعا! أتعتقدين أني سأسمح بحدوث ذلك لأنني أعتبرها كابنتي؟! كلا، لقد اتخذت قراري النهائي ولا أريد سماع اعتراض!»

شعرت دورسيرا بذلك الدوار اللعين يصيبها مرة أخرى، شعرت بأنها تكره ذلك المتحدث بشكل لا يوصف، لكنها لن تسمح بحدوث ذلك، لن تسمح أن يتم نفي ابنتها، ولا تهتم لأي مدى ستوصلها أفعالها!

"انتهى هذا الاجتماع!"

أنهى دومين حديثه ثم انصرف، لمحت دورسيرا نايلس قبل انصرافه هو الآخر وسطعت فكرة ما بعقلها:

"ها قد انتظرت يا أختي العزيزة، عمَّ تريدين التحدث؟" تساءل ميستريو.

"يمكنك القيام بأي من ألاعيبك الغبية حيال دومين، نايلس، يمكنك الاستمرار بسخافاتك التي لا تنتهي، لا يهمني حقا لكن إياك وإدخال أبنائي بسخافاتك وألاعيبك تلك، حينها لن يجديك نفعا دومين أو نايلس أو حتى والدنا مما سيحل بك»

"لن أسألك وما هذا الذي سيحل بي لأني أدرك أنك لا تملكين سوى الكلمات، لا أريد إحراجك"

أهذا حقا ما يظنه، كم أن غروره يعميه؛ فلا يوجد أسهل من تلقينه درسا لا بأس به، بداية من جعله غير واصٍ على

المملكة الشرقية لا يردعها عنه سوى أنه مازال أخيها في النهاية، الذي تكن له بعض الذكريات السعيدة منذ زمن مضى، أكمل ميستريو قبل أن تسمح لها الفرصة بالرد:

"لكن، أحقا تعتقدين أني سأقوم بإيذاء أحد أطفالك؟!»

ها هو يمارس ألاعيبه مجددا مظهرا نفسه بمظهر البريء الخيِّر.

"لقد علمت جيدا ماهية شعور فين تجاهي خاصة بعد ما حدث لكيرا؛ لذا أعطيته ما يريد، خلاصا مني، وبدوت بمظهر الخال الودود الذي يحرره من الأم القاسية، أليس كذلك؟!»

"لم أعطه ما يريد بل أعطيته خيارًا، عكس ما تفعلينه أنتِ تماما، ربما لذلك هو يشعر تجاهك بذلك الشكل»

شعرت دورسيرا بالغضب يجتاحها، ذلك المتعجرف الأحمق يحسب نفسه ذكيّاً للغاية، ليتها لم تحمل أيةَّ مودة بقلبها تجاهه لكانت قد سحقته بالفعل.

"لتعلم جيدا أنه لن يرحل برفقتك حتى إن اضطررت لحبسه بغرفة تحت الأرض"

"غريب أنك منذ بضعة دقائق كنت تعترضين على حبس كيرا

في حصن كالسجينة، لكن لا مانع لديك بفعل ذلك لفين كي لا يرحل، يبدو أنك لا مانع لديك ببقاء أبنائك أحرارًا طالما هم تحت طوعك»

"هذا ما تخبره به، أليس كذلك؟!"

بالطبع هذا ما يخبره لفين، لكنه أحمق، وفين أحمق، يحسب أنه يدري المخاطر المحيطة به وبإخوته، يحسب أنه يدري نوايا هؤلاء المتظاهرين بالعطف والود.

"هذا ما يراه" هز ميستريو رأسه باستنكار ثم أكمل:

"أحقا تحسبين أني أفعل ذلك لأني أريد أن أؤذيه أو أستخدمه ضدك بصورة ما؟! فين يرى أنه لا قيمة له، أنه عاجز عن القيام بأي شيء، ماذا يفعل بحياته سوى التفكير بكل ما مضى حتى قبيل ما حدث لكيرا، ما حدث لها لم يكن سوى مزيدٍ من العتمة في طريق مظلم بالفعل يسير به منذ تلك الإصابة، ليس من السهل الشعور بفقدان ما شكل جزءًا كبيرًا من شخصيتك وأحلامك بل كلها، ما أردته هو إخراجه من تلك الحياة، من تلك الغرفة، وإخراجه لعالم أكبر حيث يمكنه اكتشاف ذاته مجددا» كانت نبرة ميستريو معاتبة، شعرت دورسيرا ببعض الحزن على الرغم من غضبها وتحدثت:

"أتعتقد أنني لا أحاول فعل ذلك؟! لكنه لا يستجيب لي

مطلقا، أتدري لماذا لأنه أحمق مثلك تماما، تعتقد أنك لمعرفتك بشعور فين وتظاهرك بالتعاطف سأصدق أيةً كلمة تخرج من فمك»

تنهد ميستريو مردفا: «لم أدر أبدا لمَ صرنا بهذا الشكل، أهذا لأننا عشنا بأماكن مختلفة لما يقارب الخمسة عشر عاما؟! لا أردي، ما أدريه فحسب أننا كنا دائمي الضحك من قبل، خاصة حينما كنا نصعد جبل المرايا جميعا برفقة رانل»

تغيرت معالم دورسيرا للحيرة، أهو يصدق الآن؟! أرادت تصديق ذلك خاصة لأن تذكرها لتلك الذكريات أشعرها بالسعادة الممزوجة بالألم، لكن بمجرد وصولها لذكرى رانل بوجه باهت غير ناطق، ووجه ميستريو غير المصدوم تلك الظهرية، زالت كل وجوههما الأخرى الضاحكة والذكريات الأخرى السعيدة، ورسخت جملة واحدة بعقلها» إنه كاذب، لا يمكنها الوثوق به" نظر لها ميستريو ليجد نظرة على وجهها تؤكد تماما ما تشعر به، أومأ ميستريو لإدراكه ذلك قائلا:

"لكن إذا كنتِ مصرة على رؤيتي بذلك الشكل، فليكن كذلك" وقف ميستريو وظل بتلك الحال لبضع ثوانٍ كما لو كان يفكر بشيء ما ثم أردف:

"إجبار فين على البقاء لن يبقيه" صار وجهه خاليا من أي تعبير مكملا:

"يظن أنه يريد الرحيل لأنه خذل أخته، لكن مازال لديه أخت أخرى، ربما تلك سيحاول ألا يخذلها إن حرصتِ على ذلك"

لم يتم ميستريو جملته حتى كان بالفعل قد سار مبتعدا ليخرج من الغرفة مغلقا خلفه الحارس الباب، فكرت دورسيرا فيما قاله، على الرغم من كرهها لأن تعترف بذلك إلا أن كلامه منطقي، لكن لماذا يريد مساعدتها على الرغم من أنه هو من أراد رحيل فين برفقته؟! ما الذي يخطط له؟!

***

"أمي هل تظنين أن ما أحضرته سيكفي؟!"

تساءلت ثنسيا بقلق، أومأت دورسيرا لابنتها، كانتا تقفان على أعقاب غرفة فين.

"عزيزتي أتتذكرين ما اتفقنا عليه؟!" فكرت ثنسيا قليلا ثم أومأت بابتسامة واسعة. "أحسنتِ"

قالتها دورسيرا ممررة أناملها في خصلات شعر ابنتها:

"الآن ستنتظرين هنا حتى أمر لك بالدخول"

"هل سأنتظر طويلا؟! أريد أن أرى فين"

دخلت دورسيرا الغرفة متجاهلة الإجابة عن سؤال ابنتها، ثم أغلقت الباب خلفها لترى فين يجلس في مكانه الدائم أمام الشرفة متأملا ما خلفها، ظلت دورسيرا واقفة مكانها متأملة إياه، ليته يتفهم موقفها، ليته يتفهم مقدار حبها له، أرادت احتضانه وإخباره أنها لا تريد شيئا في الحياة سوى احتضانه هو وإخوته للأبد، لكن عوضا عن ذلك تساءلت بلهجتها الحادة:

"ألستَ مغادرا؟! لمَ لا ترتب أغراضك أم أنك كسول حتى عن فعل ذلك؟!"

أدار فين وجهه لوالدته مبتسما ثم استند لعكازه متجها لها.

سأشتاق لكِ يا والدتي وسأشتاق لأوامرك تلك»

بدت ابتسامته وعيونه صادقة، على الرغم من تأثير ما قاله على قلبها إلا أنها اشتعلت غيظا، فإذا كان بالفعل يكترث لأمرها فلماذا يرحل تاركا إياها؟!

"وأنا لن أشتاق لك، فلتذهب للجحيم إن أردت، طالما تلك هي رغبتك"

حافظت دورسيرا على ملامحها جامدة، بينما زالت الابتسامة من على وجه فين، وحلت محلها الصدمة لكنه حاول أن يبدو

عاديا وأومأ لها.

"ثنسيا، ادخلي"

صاحت دورسيرا، بدا الارتباك على ملامح فين، دخلت الصغيرة ثنسيا حاملة صندوقا متوسط الحجم مزخرف بهي المظهر:

"فين، أخي، أنظر ماذا أحضرت لك!"

بدا أن الصندوق ثقيلًا بعض الشيء على ثنسيا لذا سار فين بعكازه نحوها:

"لماذا لم تطلبي من أحد الخدم أن يحمله؟!"

"كي لا يفشي أحدهم المفاجأة لك يا فين"

قالت ثنسيا بحماس وهي تضع الصندوق أرضا، ثم فتحته سريعا مخرجة منه عديدًا من الرسومات والدمى.

"انظر، لقد أحضرت لكِ أفضل ألعابي ورسوماتي، إنني أحبهم كثيرا لكنهم ملكك الآن؛ فأنا أريدك أن تصير سعيدا فحسب" ابتسم فين من براءة أخته:

"أشكركِ ثنسيا ولكن لا بأس، يمكنك استرجاعهم، فأنا لا ألعب بالدمى كما أن تلك الرسومات ستبدو أفضل بغرفتك» توترت ملامح ثنسيا وبدا عليها الحزن:

"هل لا يعجبوك؟! لدي غيرهم يمكنني إحضارهم، أو يمكنني طلب غيرهم أفضل من والدتي أو من المربية، لكن لا ترحل يا فين أرجوك.."

"لن أرحل للأبد يا ثنسيا"

"أخبروني ذلك حين رحلت كيرا، والآن حين أسأل متى سأراها لا يجيبني أحد، أستصير أنت كذلك يا فين؟!» زاد توتر فين:

"يجدر بي القيام ببعض الأشياء يا ثنسيا، لكن سأراك قبيل المغادرة بقليل"

سار فين متجها لخارج الغرفة، ها هو يهرب مجددا، فكرت دورسيرا وهي تراقب الموقف بأكمله، نادته ثنسيا بصوت باكٍ:

"فين، لا تتركني"

توقف فين متخشبا للحظة كأنه تذكر شيئاً ما، ظل بتلك الحالة بضعة ثوانٍ، ثم استدار متجها نحو ثنسيا واحتضنها:

"لن أتركك أبدا يا ثنسيا"

***

[4]

سماء بلا نجوم

شاهقة، شاهقة للغاية، لكنها تبدو في الوقت ذاته قريبة للغاية، كما لو أنه يمكن مد اليد ولمسها فحسب، إنها قطعة من الخيال بألوانها الأرجوانية والخضراء الممتزجة، يسير بينهم ذلك المذنب الهائم، ويحيط بكل ذلك النجوم البراقة لتنير سماء الليل بمظهر لم ترَ أي شيء بجماله من قبل، حتى أعلى جبل المرايا، لم يكن المظهر بتلك الروعة، تخيلت نفسها لوهلة تقف أعلى تلك الألوان وبين تلك النجوم، لا شيء يحيط بها سوى سماء الليل، مدت يدها في محاولة للمس ما تراه، تعلو فمها ابتسامة من أصابته تعويذة سحرية تسببت في إيقاعه في غرام أحدهم أبد الدهر، لكن من وقعت هي بغرامه هو ذاك المظهر اللامع أمام عيونها في تلك اللحظة.

"إني أرى أسدًا"

انقطعت تخيلات كيرا موجهة نظرها لأدريان الجالس بجوارها ممدا قدميه أمامه وينظر للسماء من فوقهم، بينما كانت هي مربعة القدمين، كانا يجلسان أعلى تلك الأرض الصلبة التي لا يعلوها أي شيء سوى السماء الواسعة، إنها كالشرفة الواسعة، توجد بأعلى مكان بالقصر ويتسلل إليها أدريان دوما، بالطبع سيفعل ذلك؛ فالمظهر أعلى تلك الشرفة من أجمل ما

رأته كيرا بحياتها، أبعدت كيرا يدها عن السماء واضعة إياها بجوارها على الأرض، ثم أخذت تحاول البحث بعينها عن ذلك الأسد..

"أين هو؟! لا يمكنني رؤيته"

أردفت كيرا باستياء بعد محاولة بحث لا بأس بها.

"هناك"

أجابها أدريان مشيرا بالسبابة لأحد أجزاء السماء، ضيقت كيرا عينيها محاولة تجميع صورته من النجوم حتى رأته بالفعل، بدا كأسد زائر على وشك الهجوم على فريسته، وبدت ألوان ظاهرة الشفق الخضراء والأرجوانية كنيران تتصاعد منه لتزيد لمظهره مزيدًا من المهابة والعظمة، بدا كالمحاربين القدامى العظماء.

"لقد رأيته، إنه مذهل"

قالت كيرا بعيون مبهورة، أومأ أدريان بسعادة.

"أتعلم أن قديما كان المحاربون العظماء من الشعبين يستطيعون التحول لأسود فتاكة، لم يُرى من قبل أسود في ضخامتها أو شراستها أو وحشيتها، قيل إن القائد كان يتحول

لأسد مرعب يشيب شعر البشر وجلا، ويحول باقي جيشه لأسود لا يستطيعون مخالفة أوامره أبدا، قيل إن بمجرد دخوله لأي مكان، فإن الفرسان يلقون سيوفهم ودروعهم أرضا ويتوسلون إليه كي يتركهم أحياء فحسب».

كان أدريان ينصت باستمتاع ثم أجاب ضاحكا:

"يجدر بنا أن نصير أسودا قائدة يا كيرا ونغزو العالم"

"فكرة لا بأس بها، ولكني سأكون أنا القائدة الأعلى فكلانا يدري أنك تستمر بدوني كثيرا» ضحك أدريان:

"عمَّ تتحدثين؟! لا تمتلكين نصف المهارات القتالية التي أمتلكها"

"لا تظن ذلك، لأنك غششت من قبل لتهزمني في الرماية» تساءلت كيرا بتحدٍّ.

"لا أظن ذلك، إنها الحقيقة التي عليك التعايش معها"

حاول أدريان مقاطعتها بسخط لكنها أعقبت مجددا:

"هيا بنا من هنا؛ فالفجر قارب أن يحل، لنرى كيف حال شعر رئيس الخدم بخصوص مفاجأتنا الصغيرة له؟!"

ضحك أدريان ثم وقف متجها مع كيرا للنزول للقصر، كان مازال ممسكا بوجنته المصابة.

"هل تعلمين أن هذا المذنب مرتبط بالفعل بشكل غريب بالمحاربين القدامى الذين قيل إنهم يستطيعون التحول لأسود، الذين ذكرتيهم من قبل؟!»

"لم أسمع بتلك القصة من قبل يا أدريان"

"إنها ليست قصة، بعضهم يدعوها بالواقعة التاريخية، لكني أراها أسطورة، وهي أنه في آخر وقت ظهر فيه ذلك المذنب، توسل حينها ثاني هجين في التاريخ للملوك القدامى في وادي الأسود؛ كي يظهروا أن حقيقة روحه مختلفة وبالفعل حدث ذلك، يبدو على نحو غريب أن الأمر مرتبط بك كذلك؛ فأنت ثالث هجين في التاريخ»

لم تعقب كيرا؛ فقد حزنت لتذكر هويتها، يبدو أن أدريان لم يقصد تذكرتها، وأراد فقط قول مصادفة غريبة، تساءلت كيرا هل لو استطاعت الذهاب لوادي الأسود والتوسل لن تظل هجينة؟ ولكن، تلك سخافة! فهي لن تتوسل لأحد، سار كلٌّ من كيرا وأدريان بخفة وهدوء محاولين تجنب إيقاظ أي شخص، حتى وقفا تماما أمام غرفة رئيس الخدم، حاولت كيرا التلصص من خلال عقب الباب، لكنها لم تستطع رؤية أي شيء.

"ماذا ترين؟!" تساءل أدريان.

"ششششش، اخفض صوتك، أتريد أن يتم الإمساك بنا؟!" بدت كيرا ضجرة، أخذت تفكر في كيفية إيقاظ رئيس الخدم دون أن يتم الإمساك بهما لكي يريا رد فعله إثر اكتشافه لمفاجأتهما، في النهاية لم تجد حلا سوى مخاطرة أن يتم إمساكهما كما أنهما لن يستطيعا سوى سماعه، نظرت لأدريان نظرة تدل على ما تشعر به، ثم تنهدت وطرقت الباب، لم يجبها رئيس الخدم فطرقت مجددا، سمعت صوت ضجر فحسب، زادت عدد مرات الطرقات وشدتها:

"سيدي، سيدي، سيدي إنها الخامسة صباحا" طرقت مجددا: "سيدي، استيقظ" حاولت تغيير صوتها قدر المستطاع.

لم أخبر أحدًا أن يوقظني، ارحلي الآن» سمعته يصيح.

"لكن سيدي، لقد أخبرني صديقك أن أوقظك مبكرا لأنه لا يستطيع القيام بعمله اليوم، أخبرني أنك ستحل محله اليوم، فأنت أكثر إتقانا لذلك العمل»

"عمَّ تتحدثين أيتها المزعجة؟! عن أي صديق تتكلمين؟!" تسأل رئيس الخدم بانزعاج فأجابته كيرا بصوت رقيع:

"صديقك! صديقك الديك!"

أنهت جملتها محاولة كتم ضحكاتها، كان أدريان هو الآخر على وشك الانفجار، لكنه حاول تمالك ضحكاته.

"يا لك من وقحة! انتظري فقط وسترين ما سأفعله بك"

سمعت كيرا صوتاً يدل على وقوفه، لكن لم تمر ثوانٍ حتى سمعته يصرخ كالنساء طالبا النجدة:

"أنقذوني، أيتها الحقيرة، ماذا وضعتي بغرفتي؟! آآآآ النجدة، سيلتهمونني"

بدأ صوته بإيقاظ الموجودين بذلك الممر، ركض كلٌّ من أدريان وكيرا مبتعدين عن المكان وهما لا يتوقفان عن الضحك، مرت بضع دقائق حتى وصلا أمام البرج المخصص لكيرا، وقفا يلهثان من الإرهاق.

"يا للهول قد بدى سخيفا للغاية، بدى صوته مشابه للديك حقا" أردف أدريان من بين أنفاسه ضاحكا.

"لقد استحق ذلك، ألم يلقبني بألقاب سيئة همسا؛ نظرا لاختلاف لون عيني، لقد حصد ما زرعه، لكن الشكر الأكبر لجاسوسنا الخبير الأمير أدريان الذي علم بخوف رئيس الخدم

الجم من الفئران».

قالت كيرا بنبرة درامية مبدية العرفان لأدريان.

"لا داعي للشكر، لا داعي للشكر"

تظاهر أدريان بأنه يلوح لجموع من الناس تحييه، ثم أكمل بجدية:

"لكنه بالفعل استحق ذلك؛ فقد تسبب بالإمساك بي أكثر من مرة في أثناء محاولتي للتسلل من القصر"

"أحاولت التسلل من القصر من قبل؟!" تساءلت كيرا غير مصدقة، .

"أجل، فقد أردت رؤية تدريبات المبارزة في كافة الأرجاء ليس في القصر فحسب؛ ليس لديك فكرة، يكون لديهم في بعض الأحيان تكتيكات غريبة، أمسك بي رئيس الخدم كثيرا، لكني في النهاية اكتشفت ممرا سريّاً»

"حقا؟!"

"أجل إنه في الطابق الثالث، خلف مؤن الطبخ جدار يمكن إزاحته يؤدي لحفرة صغيرة، تؤدي لممر يقود لخارج القصر، لا

أدري من قام بحفر ذاك الممر، لكن ما أدريه هو أن لا شخص سواي يعرف بأمره حاليا»

"إنه لأمر رائع!"

قالت كيرا مفكرة في أن الحرية التي ينولها أدريان هي حقا مدهشة، فيستطيع الخروج من القصر دون علم أي شخص، كما أنه لديه شرفته الرائعة تلك التي يرى منها أجمل المناظر للسماء، ليت والدتها كانت متساهلة مثل خالها نايلس، ففي قصر العاصمة خلال خمسة عشر عاما، لم تستطع فعل ما فعلته هنا خلال ثلاثة أسابيع منذ مجيئها متخفية برفقة جنود لا تدري لمن ينتمون، لسبب ما تظل متخفية طوال الوقت، غرفتها منفصلة في برج لا يجوراها فيه أي شخص، حتى لا يعلم بتواجدها سوى قلة، ربما هم أدريان وخالها وزوجته سيلين وبعض الخدم فحسب، لا تدري لماذا لا يخبرها السبب أحد، يبدو أنهم أنفسهم لا يدرون السبب.

"أدريان، هل استطعت معرفة ما سبب تواجدي هنا بقصر عاصمة المملكة الغربية بهذا الشكل المتخفي؟»

تساءلت كيرا، بدا على أدريان الحيرة لكنه أجاب:

"حاولت السؤال يا كيرا، لكن لا أصل لإجابة واضحة، لكن ما يبدو هو أن من يعرفون بأمر تواجدك هنا من عائلتنا هم

عمتي دورسيرا ووالدي ووالدتي فحسب، ربما عمتي انستازيا أيضا، لكن لا أظن أن عمي دومين يعلم، ربما لذلك يخفون الأمر كي لا يعلم»

"هل تعني أن مجيئي هنا هو نوع من الاتفاق بين والدتي وخالي نايلس دون علم خالي دومين؟! لكن ما السبب؟!"

"لا أدرى يا كيرا، لقد أخبرتك ما توصلت إليه، يجدر بي الانصراف الآن، فكما تدرين يجدر بي مرافقة والدتي في جولة الغد أو جولة اليوم على ما أظن»

أومأت كيرا مصافحة إياه مردفة بصوت ناعس:

"أشكرك على مغامرات البارحة يا ابن الخال"

"لا مشكلة، بدوتِ تشعرين بالملل حقا"

ابتسمت كيرا ثم تثاءبت متجهة لداخل البرج، بينما أدريان سار في الاتجاه المعاكس، لم يكن بأعلى برج في الوجود، في الواقع بدا ارتفاعه قصيرًا بعض الشيء، لكنه كان معزولًا، لا شك بذلك، ولا يستطيع أي شخص الوصول إليه سوى عبر دخول القصر من بوابته الأساسية والمرور بمئات الحراس.

صعدت كيرا درجات سلمه الملتف على هيئة دوائر على

امتداد جدران البرج، حتى وصلت لنهايته حيث توجد عدة غرف متفرقة لا يسكنها أحد، لكن يتم تنظيفها والعناية بها دوريا، قيل أن هذا البرج كان مفيدا للغاية في السابق عند مجيء الشعبيين لهذه الأرض في البداية، تم بناءه منفصلا منذ بداية وطأتهم لهذا المكان كي يرصدوا مجيء باقي سفنهم عبر البحر، ولم يكن ارتفاعه بالشاهق لحرصهم على أن يتم الانتهاء من إقامته سريعا، لكن الآن لا حاجة له، تم ضمه لباقي القصر عند بنائه، على الرغم من كونه منفصلا في البداية، إلا أنه صار بعد ذلك لا يمكن الوصول له مباشرة إطلاقا دون المرور بأكثر من جزء في القصر، لم يسُتخدم كثيرا منذ أن انتهى الغرض الذي أُنشأ لأجله، ربما لاستقبال بعض الزوار أو ما شابه، بسبب مظهر البحر البديع الذي يظهره، وها هي الآن تسكنه بمفردها تماما، اتجهت كيرا لغرفتها ملقية جسدها على الفراش، لم تعبأ حتى بغلق الباب فهي تعلم أن أحدًا لن يزعجها، كانت غرفتها ليست واسعة كسابقتها في قصر العاصمة لكنها لم تهتم، بفراش ضخم في المنتصف، بضعة مقاعد ضخمة مرصوصة بشكل هندسي يشبه المستطيل غير الكامل بالقرب من نافذة متوسطة الحجم، احتوت الغرفة كذلك على بعض اللوحات الفنية مختلفة الحجم، إحداها لمحارب مغوار يقود جيشه، وأخرى لقوم يقتلون بعضهم بعضا، لكن الغريب أنهم بدوا متشابهين في الملامح، بينما تظهر يد ضخمة من أعلى كل إصبع بها يدخل في رأس أحد هؤلاء القوم، لوحة لشخص يرتدي السواد ولا تبدو ملامحه إطلاقا، لا يبدو سوى أنه يمسك قوسا وسهما، ويقف وسط

ما يشبه الخراب، أخرى لشخص يرتدي ملابس رثة وقبعة واسعة للغاية تخفي وجهه، ويمسك عصا طويلة تشبه الرمح من خلفه أمواج البحر الهائجة، وبالطبع لوحة لكوراخى وثنسيا موحدا الشعبين، طغى على الغرفة اللون الأحمر بشكل مبالغ به؛ فالسجاد أحمر، المفارش حمراء، الستائر حمراء، وبالطبع زهور حمراء تزين النافذة، نظرت لكل ذلك وشعور بالخواء بدأ بالتسلل لأوصالها حيال كل شيء.

***

سكون، سكون فحسب، ثم صوت شيء يرتطم بشيء آخر بقوة استيقظت كيرا مفزوعة، سمعت صوت خطوات منصرفة، ثم صوتًا يهمس بغل:

"هجينة قذرة!"

وقفت كيرا بغير اتزان تحاول تحديد مصدر صوت الارتطام، شعرت بالحقد يغزو قلبها حين أدركت ما حدث، فلم تكن تلك سوى إحدى الخادمات الموكلات بإحضار الطعام، وضعت الطعام على مائدة بقوة ثم انصرفت لاعنة كيرا، يا لها من شمطاء! من تحسب نفسها؟! تستطيع كيرا نفيها إن أرادت، ففي النهاية كيرا أميرة بينما الأخرى خادمة! خادمة عديمة التربية وأيضا جبانة! ألقت إهانتها بينما ترحل هاربة، فقط إن علمت من تكون، فكرت كيرا بغضب، تحركت صوب الطعام

لتأكل ففي النهاية هي جائعة، لكنها وجدت مذاقه بشعًا؛ فقد كان الخبز جافا كالخشب، بينما اللحم بدا أنه مازال نيئاً، شعرت كيرا بمزيد من الغيظ، سحقا لهم جميعا، قامت برمي أوعية الطعام بما فيها بقوة أرضا، سحقا لهم! كانت تثور بداخلها، لكن فجأة تحولت كل تلك الثورة لجبال من الحزن، وقفت أمام المرآة الموجودة بالغرفة، وتأملت وجهها وعينيها مختلفتي اللون، ترددت بعقلها كل الجمل التي سمعتها منذ ذلك اليوم، منذ أن رأت نفسها بذاك المظهر للمرة الأولى:

"أميرة هجينة"

"جالبة العار"

"سليلة إخوة الظل الملعونين"

"جالبة اللعنة"

"جالبة الدمار"

"هجينة قذرة"

"وحش، وحش، وحش"

لماذا؟! لماذا يلقبونها بذلك؟! إنها ليست كذلك، لم تكن

أبدا كذلك، ولم ترد أبدا أن تكون كذلك، إنها تكره إخوة الظل، لطالما كرهتهم ولم ترد شرًّا أبدا لقومها، ربما كانت تتحيز للشعب الأصفر بصورة أكبر، لكن ذلك لشعورها فحسب بأن الشعب الأحمر يشعر بضغينة ما تجاه الشعب الأصفر، همت أن تخبأ عينها الصفراء بخصلات شعرها الأسود، فقد تم أمرها أن تفعل ذلك على الدوام لكنها توقفت لوهلة، وقامت بالعكس مخفية عينها الحمراء تحت خصلات شعرها، لتظهر عينها الصفراء فحسب.

ذكرها مظهرها ذاك بهيئتها السابقة وحياتها السابقة مع والدتها وإخوتها، ذكرها بمشاكساتها مع فين، وضحكات الصغيرة ثنسيا حين كانت تدغدغها، ذكرها بوالدتها التي على الرغم من صرامتها كانت تراها مثلها الأعلى، كانت دورسيرا بالنسبة لكيرا هي الأم والأب، لكن في النهاية تركتها والدتها ترحل فحسب وكذلك أخوها فين، لم يحاولا التمسك بها أو إيجاد حل ما، شعرت كيرا بالحزن، وبأنها تفتقد حياتها السابقة، وتريد استعادتها الآن أكثر من أي شيء آخر، فكرت لوهلة أنها إذا خزقت عينها الحمراء قد تسترجع كل ذلك، ولمَ لا ؟ لن يصيبها الأمر سوى ببعض الألم اللحظي فحسب، لكن ليت الأمر كان بتلك السهولة، أخفت كيرا عينها الصفراء وهي تخرج من غرفتها متجهة صوب المطبخ، لتحصل على بعض الطعام الصالح للأكل، كان الصباح لم يسدل ستاره بعد، مازال ينشر أشعته من خلال نوافذ الممرات، لم يولِها أغلب من مرت بهم اهتمام، يبدو أن أغلبهم لم يدركوا هويتها على أيةً حال،

لكنها لمحت بعض النظرات المشمئزة من بعض الخادمات اللاتي أَشَحْنَ بوجوههن سريعا عنها حينما نظرت تجاههم، دخلت المطبخ سريعا، أكلت ما تراه أمامها، على أقل تقدير هو ليس ببشاعة ما بعُث لها بالغرفة، ليتها تجد بعض السمك فهي تفضله، لم يكن هناك سوى قلة قليلة بالمطبخ يبدو أن أغلبهم اجتمعوا بالاحتفال الذي أقُيم بساحة القصر؛ للترحيب بالأطفال الجدد الذين أبدت المرايا أن أرواحهم تنتمي للمملكة الغربية، حيث يتم إقامة احتفالات استقبال لهم بالقصر قبل ذهابهم لدور الرعاية المختلفة أو عودتهم لعائلتهم، إن كانت عائلتهم توجد بالمملكة نفسها التي أرواح هؤلاء الأطفال تنتمي إليها.

بالطبع ألقت عليهم سيلين والدة أدريان خطبة عن كم هم مرحب بهم، وكل ذلك الكلام المكرر قبل انطلاقها برفقة أدريان في جولتها في الأنحاء المختلفة لعاصمة المملكة الغربية، حيث تقُام تلك الجولة لمدة شهر بعد قانون المرايا، ويخاطب فيها أحد أفراد الأسرة الملكية أو مساعديهم عامة الشعب في كافة المملكتين ليخبروهم بأهمية الوحدة ونبذ العنصرية، وكل ذلك الكلام الممل ويوزعون عليهم بعض المؤن والأغذية، شعرت كيرا بالملل الجم، لم ترد الذهاب لغرفتها بعد؛ فقد علمت أنها لن تفعل شيئا، ستظل بمفردها تعد الساعات حتى رجوع أدريان، لكي يقوما بأي شيء ممتع سوية، إنها حقا ممتنة لوجوده؛ إنه صديقها الوحيد في هذا المكان ذلك الفتى ذو الطول المعتدل، البشرة معتدلة اللون،

كل ما به معتدل، فهو يبدو كصبي عادي للغاية، لا يميزه شيء سوى أنه دوما يرتدي أكماما تخفي كلتا ذراعيه تماما، حتى في أكثر الأوقات حرارة، لكنها تحب قضاء وقتها برفقته، فهو يذكرها بأخيها فين، قبل أن يراها فين هجينة ليس فحسب، لكن أدريان لن يعود الآن إطلاقا، أستظل كل ذلك الوقت في غرفتها فحسب هذا سيكون مملًا، لكن لمَ لا ؟! أضاءت تلك الفكرة ببال كيرا كالمصباح المتوهج، سارت كيرا في أرجاء المطبخ باحثة عن مكان المؤن، لحسن الحظ لم يلاحظها أحد، لم تتردد للحظة بدفع المؤن من أمامها، ثم محاولة إزاحة الجدار من خلفها، ثم إعادته لمكانه بعد دخولها للفتحة المؤدية لها، كانت مظلمة لكنها تؤدي لممر ذي سقف منخفض مضيء بعض الشيء، سارت فيه بهدوء حتى خرجت من الممر، كانت نهايته تؤدي للجزء الخلفي من القصر حيث يوجد البحر، لحسن الحظ لم يوجد حراس بذاك المكان، يبدو أن لا أحد يهتم بذاك المكان كثيرا بسبب عدم توقع مجيء أحد إليه في المقام الأول، حقا لم تهتم كيرا بالأسباب، لم تهتم سوى بالبحر الذي ركضت صوبه رافعة أذيال ثوبها لتضع قدميها به، كان صافيًا للغاية، لكن المذهل هو أنها حينما وضعت قدميها بالماء ظهر ما يشبه اللمعان الأزرق حاوط قدميها ثم انتشر مبتعدا حتى اختفى، اتسعت عيني كيرا بانبهار، أخذت تتحرك لترى ذلك الأمر يتكرر، كان ذلك مدهشا حقا؛ قد رأت البحر من قبل وسبحت به، لكن لم ترَ مثل ذلك من قبل، المملكة الغربية حقا مميزة بجمال في الطبيعة لم تعهده من قبل، أخذت تلهو قاذفة الماء بقدميها، تظاهرت أنها تلاعب الصغيرة

ثنسيا، كان تظاهرًا لكنه أسعدها قليلا، مرت بضع لحظات حتى قررت الجلوس أمام البحر متأملة إياه فحسب، في أثناء جلوسها شعرت بما يحك يدها بعض الشيء، لتجد أنها صدفة، بيضاء اللون ذات شكل قوقعي، تنهدت كيرا ثم أخذت تحادث الصدفة:

"أتدرين؟! لا أعلم كم أبعد عن عائلتي وأنا أجلس هنا، أعتقد أني إذا عبرت هذا البحر شرقا فسأصل للشلال المتساقط من جبل المرايا ثم منه أستطيع الوصول للقصر بالعاصمة، أتصور أن والدتي الآن مستاءة حيال أمر ما، بينما فين يتأمل الكون من نافذته وثنسيا».

ضحكت ضحكة مكتومة ثم أكملت:

"غالبا تفكر بجدية كيف يمكنها أن تحصل على جناحين كالفراشات" سادت ابتسامة وجهها ثم تلاشت بعض الشيء:

"أتعتقدين أنهم يفكرون بي؟! أنهم يفتقدونني؟! ما أدريه جيدا هو أني أفتقدهم طوال الوقت يا صدفة، قالت لنا المربية في إحدى قصص ما قبل النوم من قبل أن فتاة حينما اشتاقت لوالدها البحار أرسلت له رسالة في صدفة، أدرك أن كل هذا ليس سوى هراء ربما تصدقه ثنسيا فحسب لكنني حقا، أرجو أن تخبريهم كم أشتاق إليهم»

قالت كيرا جملتها الأخيرة هامسة ثم وقفت ورميت الصدفة إلى أبعد مسافة استطاعت أن تصل إليها رميتها داخل البحر، أخذت الرياح تطير خصلات شعرها بقوة، سعدت بذلك في البداية حتى أدركت أن ذلك يظهر عينيها الاثنتين، سارت مبتعدة عن المكان بأكمله خاصة حينما لمحت حارسا يقترب من على بعُد، أخذت تتجول في شوارع المدينة مبتسمة، لكنها حرصت في تلك المرة على إخفاء عينها الصفراء بشعرها تماما، كانت تلك الشوارع بديعة تحتوى على أعلام حمراء معلقة في الأرجاء، شوارع مرصوفة وكثيرٌ من الزهور والأعشاب المقلمة والنافورات الجميلة، تتصاعد حول الشرفات الصغيرة أعشاب تحاوطها الزهور الحمراء الساحرة، لم ترَ كيرا المدينة من قبل سوى بالكاد من نافذة عربة عند قدومها للمملكة الغربية فحسب، كانت المدينة مزدحمة، تجار يبيعون بضائعهم المختلفة أقمشة، فواكه، أوعية، نساء يسرن جاذبين أطفالهن الصغار في يدهن، أطفال يلعبون سويا، حتى إنها رأت بعض المشاجرات على وشك الحدوث، لكن الحراس كانوا يخمدونها من قبل اشتعالها، لم تدرِ أتكون الأمور دوما بذلك الصخب في المدينة أو هذا الحي بوجه التحديد أم أن اليوم مميز، أكملت كيرا السير دون وجهة محددة، يكفي تلك الأجواء فحسب إنها بالتأكيد أفضل من الجلوس في الغرفة والشعور بالملل حتى الموت، لمحت طفلين يلعبان ما يشبه المبارزة بسيوف خشبية، فتى وفتاة يبدوان قريبين منها في السن، يبدوان متشابهين للغاية؛ لدى كل منهما شعر برتقالي وعيون حمراء، بدت المبارزة مسلية، لن تكذب كيرا فقد

أرادت مشاركتهما، اتخذت موضعا قريبا بعض الشيء منهما وأخذت تراقبهما من على بعد حتى لمحتها الفتاة فلوحت لها مبتسمة لتلوح لها كيرا بدورها لكن لحق ذلك تردد صوت أبواق قريبة لأذن كيرا لتسمع بعض الموجودين بالطرق يهتفون:

"إنها الخطبة التي ستلقيها الدوقة سيلين بالميدان العام، هيا بنا"

أخذ العديد من الناس يسيرون نحو الميدان بينما سمعت أحدهم يردف هامسا:

"يا لها من خطبة مملة، ولكننا نضطر لتحمل هذا الهراء الدوقة تشرف على توزيع كثيرٍ من مئون الطعام على أهالي هذا الحي بعد الخطبة"

وقفت بين الحشد المتجمع أمام تلك المنصة العالية المزدانة بالزهور والنباتات المتسلقة ذات المنظر البديع، كان الحراس يحاوطون المنصة بينما تقف أعلاها سيلين وأدريان الذي ابتسم بجدية، كان أغلب الحشد من ذوي العيون الحمراء عدا قلة كانوا بعيون صفراء.

"يا شعب المملكة الغربية، أحييكم جميعا، بعد بضعة أيام، سيكون قد مر شهر منذ إخضاع أطفال المملكتين لقانون المرايا، وكما اعتدتم في تلك الأوقات، نذكركم بواجب نبذ

العنصرية تماما ولن يتم التهاون مطلقا مع أي شخص لا يفعل ذلك أو مع أي شخص يخالف أو ينتهك أيّاً من القوانين، فلتعلموا ذلك دوما ولتعلموه لأطفالكم أن العقاب سيكون صارمًا»

أخذت سيلين تخطب بكلماتها تلك، بينما بدا الانزعاج على بعض الواقفين، هذا غريب إن كانت تلك الخطبة بالعاصمة الأم أو بالمملكة الشرقية التي زارتها مرة من قبل لكانت الخطبة ستبدو أكثر ودية من تلك، أكملت سيلين كلماتها، لكن كيرا لم تهتم بسماعها تلك المرة، فقد شعرت بالملل الذي يصيبها غالبا حين تبدي المربية نصائحها باستمرار، انسل إلى سمعها صوت شخص من الواقفين ينادي:

"أيتها الدوقة، أيتها الدوقة سيلين، هل بوسعي التحدث؟" صمت الواقفون منتظرين إجابة سيلين، بينما سمحت له سيلين بالتقدم والإفصاح عما يريد قوله، تساءل الرجل بصوت عالٍ:

"أيتها الدوقة، نحن ننبذ العنصرية بكل أشكالها تجاه أي من الشعبين، بل بالأصح تجاه أي شخص يختلف عنا في المظهر في شعبنا؛ ففي النهاية الشعب ذوي العيون الحمراء والشعب ذوي العيون الصفراء هم شعب واحد»

"بالتأكيد هذا صحيح تماما" أجابته سيلين بينما أكمل الرجل:

"لكن ماذا عن المهجنين أيتها الدوقة، أليس هؤلاء يجب نبذهم بل وإبادتهم تماما؟! إنهم ليسوا سوى أرواح ملوثة تجري بعروقهم دماء إخوة الظل"

"أجل، أنت محق تماما، لكن لماذا تخبرني بذلك؟"

صُدمت كيرا لسماع زوجة خالها تتفوه بذلك أمام جميع الناس.

"أيتها الدوقة، انتشرت الأخبار أن أحد الأطفال أظهرت مرايا الجهة الشرقية أن روحه هجينة ولم يتم إبادته فورا"

كان صوت الرجل حانقا، علت بعض الشهقات وازدادت الهمهمات في الأنحاء، شعرت كيرا بالغيظ يغزو قلبها إثر كل ذلك.

"أنا لم أكن متواجدة عند مرايا الجهة الشرقية حين تم عرض الأطفال، وإن حدث شيء مثل ذلك فالقرار في ذلك الأمر يرجع للملك" "أيتها الدوقة ما يقوله الممسوس حين يلمس الحجر الواقع أمام المرايا أن نهايتنا ستكون على يد أحد يملك دماء إخوة الظل ولكن من نسلنا»

لم تستنح الفرصة لسيلين بالإجابة حتى علت بعض الأصوات:

"المهجنون هم الشياطين!"

"سيدمرون كل ما فعله كوراخى وثنسيا!"

"يجب نحر عنق هؤلاء الوحوش فورا! ألا يكفي المرايا التي لعننا بها إخوة الظل؟!"

وصلت كيرا في ذلك الحين لقمة حنقها، كانت تشتعل، أخذت تخترق الواقفين أمامها بغضب وعجلة، لماذا يقولون ذلك؟! إنهم يلومونها على إثم لم ترتكبه! إنهم يلومونها على ما فعل إخوة الظل! إخوة الظل الذين تكرههم بقدر كره أي شخص آخر من الشعبين لهم، والآن صار بقدر كرهها لأغلب الواقفين في هذا المكان القذر، إن لم تدافع عنها تلك القذرة سيلين، بل وتوافق هؤلاء الواقفين الرأي فهي لا تحتاجها! فهي ستدافع عن نفسها!

"لقد أخبرتكم أن القرار يعود للمد"..

لم تكمل سيلين جملتها حتى صاح صوت عالٍ بغضب:

"المهجنون ليسوا وحوشا!"

ساد الصمت بينما حاول جميعهم النظر لمصدر الصوت،

لحيث وقفت كيرا بالقرب من المنصة، شعرت بالشرار يتطاير منها بينما تنظر لها كل تلك العيون الواسعة:

"ماذا تقولين أيتها الفتاة الحمقاء؟!" أردف أحد الواقفين بتعجب شديد.

"أنا لست حمقاء! بل أنتم الحمقى! تلومون أشخاصًا منكم على إثم ارتكبه أعداؤكم!"

صاحت كيرا بصوت يملؤه الغيظ.

"فلتتأدبي يا فتاة"

أردف الرجل بينما صاحت أخرى:

"لم يتم تعليمها بصورة سليمة، يا فتاة هؤلاء الذين تتحدثين عنهم يحملون دماء الشياطين! إنهم وحوش يستطيعون إبادتنا جميعا! كيف لك أن تقولي إنهم ليسوا كذلك؟!"

"إنهم ليسوا كذلك!" صاحت كيرا مجددا.

"أيتها الفتاة أين أباكِ وأمكِ؟"

تساءلت سيلين، التفتت لها كيرا ناظرة جهتها بسخط، بدت

الصدمة على ملامح سيلين إثر معرفتها لهوية كيرا، حاولت تمالك نفسها ثم نظرت صوب إحدى الحراس آمرة:

"خذها من هنا"

"يا فتاة أنتِ لم تري أحدهم لتعلمي كم هم بشعين، إنهم بحوافر وقرون! إنهم ذو هيئة مخيفة للغاية، لا تستطيع فتاة صغيرة مثلك النظر إليهم حتى!»

أردف أحد الواقفين، كم هم حمقى! أهذا حقا ما يحسبونه؟!

"أهذا ما تظنه؟!"

تساءلت كيرا بصوت عالٍ ثم قامت بإشاحة خصلات شعرها عن عينها الصفراء ليبدو مظهر وجهها كاملا، علت الشهقات وازدادت العيون اتساعا، حتى الحارس الذي كان يتجه صوبها ليأخذها للقصر توقف ولم يتحرك، ابتعد عنها الذين كانوا يقفون بالقرب منها، وبدا الهول بعيونهم.

"أنا هجينة! وأنا لست وحشا! أترون؟! المهجنون ليسوا وحوشا!" حاولت كيرا تبرئة نفسها من اتهاماتهم الزائفة، لكن شخصًا لم يجيبها، لم ترَ سوى وجوهًا خائفة، لمحت بعض الأمهات يخبئن أطفالهن خلف ظهورهن، ابتعدوا جميعًا عنها حتى الحراس نظروا لها بهول ووجل.

"ألا تفهمون؟! أنا لست مختلفة عنك، أنا لدي عينان مختلفتا اللون فحسب»

أردفت كيرا شاعرة بالاضطراب، لماذا ينظرون لها بهذا الشكل؟! بدا الخوف والدهشة على أغلب الواقفين، لكن سرعان ما تحولت وجوه بعضهم للغضب، وتطاير الشرر من أعينهم، بدت الأجواء مريبة بالنسبة لكيرا لكنها ليست نادمة، ليست نادمة عن الدفاع عن نفسها.

قاطعت أفكار كيرا صيحة أحدهم يعدو نحوها شاهرا سكيناً وهو يصرخ:

"أيتها الوحش"

لم تجد كيرا حتى الوقت لاستيعاب ما يحدث، فقد كانت بالفعل قد دُفعت أرضا من قبل الرجل وصارت سكينه تعلو عنقها محاولة اختراقه، ثم اخترقت مقدمة سهم جبهته في لمح البصر، كاد ذلك يسُقطه أعلاها ويتسبب في اختراق مقدمة السهم البارزة من جبهته لجبهتها هي الأخرى، لكنها حاولت دفع رأسه جاحظة العينين عنها بضراوة مسقطة إياه أرضا بهلع، نظرت جهة الحراس الذين كانوا يقفون بالقرب منها منذ قليل، لتجدهم يحيطون بسيلين وأدريان حاميين إياهم، بينما ساد الهلع بين صفوف الواقفين، وصرخ بعضهم بينما هرع بعض آخر ليهرب من هذا المكان، رأت أدريان يتجه صوبها

ويزيح جسد الرجل الميت من أعلاها ثم يساعدها على الوقوف، وقفت كيرا ببطء محاولة رؤية من رمى بذلك السهم ليخترق رأس الرجل الذي حاول قتلها منذ ثوانٍ وسط كل تلك الفوضى، لتلمح مجموعة أخرى من الحراس غير المحيطين بسيلين يقفون بعيدا، أحدهم يحمل قوسا وسهاما، أحاط هؤلاء بامرأة لم تلمحها كيرا جيدا، لكن حين أمعنت النظر خطرت كلمة واحدة ببالها وهي "أمي؟!" فقد بدت تلك المرأة مشابهة لوالدتها، لكن هذا غير صحيح فتلك المرأة قصيرة، لديها شعر أسود طويل مموج، ترتدي فستانا فاضحا بعض الشيء، نظرت لها تلك المرأة بسخرية، ثم همست بشيء لأحد الحراس وانصرفت محاطة بحراسها، فجأة شعرت كيرا بمن يجذب ذراعها بقوة، لتجد أنه أحد الحراس، قامت بدفعه باستياء، ثم نظرت ووجدت سيلين صارت واقفة أمامها:

"أترين هذا المظهر؟!" أردفت سيلين بتجهم مشيرة للفوضى الحادثة، ثم أشارت للرجل الذي حاول قتل كيرا منذ ثوانٍ:

"أترين ذلك الشخص الميت؟"

"لقد حاول قتلي!"

صاحت كيرا لكن سيلين أكملت بلهجتها السابقة نفسها:

"كل ذلك بسببك، دماء ذلك الرجل، الفوضى الأكبر الذي

ستلي كل هذا، كله بسببك!»

علا وجه سيلين نظرة ازدراء خاتمة حديثها:

"أنت بالفعل وحش!"

نظرت لها كيرا بصدمة شاعرة بألم يعتمر صدرها، سارت سيلين مبتعدة يحيط بها بعض الحراس، ثم تبعها أدريان وكيرا يحيط بهم باقي الحراس، لطالما كانت سيلين لطيفة نحو كيرا، حتى حينما قالت ما قالته من قبل، جزء بداخل كيرا صدق أنها فعلت ذلك لإخراس الواقفين مؤقتا فحسب لكنها كانت تعني حقا ما قالته.

***

قررت كيرا أن أبان انتقالها من الغرفة بالبرج المعزول لمكان أخر تحت وصاية خالتها انستازيا هذه المرة فقد قررت إلقاء التحية على الشخص الوحيد غير اللوحات الذي حسبته صديقها بهذا المكان المقفر وهو أدريان، لم تسِر طويلا حتى وصلت لساحة التدريب حيث يوجد أدريان، كانت تشبه كثيرا تلك التي بقصر العاصمة لكن ككل شيء آخر في المملكة الغربية سادتها لمسة جمال أبدتها أكثر حياة، هل حقا لوجود آبار الحياة بكثرة في المملكة الغربية هذا التأثير على مظهر الأماكن؟! على عكس المملكة الشرقية التي سمعت أنها تبدو

قاحلة بصورة كبيرة نظرا لندرة آبار الحياة بها، وبالفعل رأت ذلك بصورة قليلة عند زيارتها لعاصمة المملكة الشرقية من قبل، لمحت كيرا أدريان يتدرب على المبارزة في أحد الأرجاء برفقة فتى آخر يبدو من هيئته أنه ابن لأحد النبلاء، بدا أن أدريان لديه مهارات رائعة حقا في القتال، لم يلمحها الفتيان، اقتربت كيرا منهما محاولة عدم مقاطعتهما، لكنها توقفت حين انسل لسمعها صوتهما يتحدثان:

"حقا عائلتكم بأكملها الآن في وضع سيء للغاية بسبب الهجينة تلك، أخشى أنها إن ظهرت مجددا فقد تعم فوضى حقيقة" كان ذلك صوت الفتى الآخر، أجابه أدريان:

"فوضى أكثر من تلك التي حدثت اليوم السابق، هناك رجل مات أمام أعيننا وأعين جميع الناس كما أنه حاول قتل ابنة عمتي" "سمعت أن من قتله كان أحد حراس عمتك الأخرى انستازيا"

"لا أحد يتصدى لعمتي انستازيا هنا أبدا، لكن والدتي استطاع تجعل حراسها يخمدون بواقي الفوضى التي حلت، إن لم تطُفئ تلك الشرارة لكانت أدت لنيران لا يمكن التحكم بها"

"هذا صحيح، لكن كل ذلك كان في البداية بسبب الهجينة تلك، إن لم تفعل ما فعلته لكان البارحة يوم جميل يحتفل فيه

الناس فحسب"

شعرت كيرا أنها على وشك أن تخنق عنق هذا الفتى في أيةً لحظة، أكمل الفتى:

"لكن حقا يا أدريان أكنت تعلم بوجود تلك الهجينة في القصر كل ذلك الوقت وتقضي الوقت معها كذلك؟! أدريان إنها هجينة تحمل دماء الأوغاد الذين تسببوا في لعنة شعبنا للأبد" لم يجب أدريان.

"أدريان لا تخبرني أنك تصادق هجينة حقا!"

"كلا إننا لسنا بأصدقاء، لقد كنت أسايرها فحسب لشعوري بالشفقة حيالها لكنها، لا تعني شيئا بالنسبة لي»

"لكن"..

أكمل الفتى الحديث، لكن عند هذا الحد لم تنصت كيرا حقا، شعرت بدموع تتجمع في مقلتي عينيها وبألم يجتاحها، لكنها أغمضت عينيها مانعة دموعها من النزول، لقد كانت فحسب تتحدث عنه أنه صديقها، لقد كانت، لم تفهم كيرا لماذا شعرت بثقل شديد يجتاح قلبها، لكن عند ذلك الحد أوقفت تلك الأفكار فاتحة عينيها لتنظر جهة أدريان بألم شديد، أرادت أن تشعر بالمقت والكره تجاهه، لكنها شعرت بالألم فحسب، كلا

إنها تكرهه! تكرهه بشدة! إنه ليس صديقها، لم يكن كذلك ولن يكون أبدا، إنها لن تحزن بسبب شخص كهذا بل ستلقنه درسا! درسا جيدا! يعلمه عواقب الشعور بالشفقة حيالها مجددا! أخذت كيرا تقسم بذلك وهي تسير مبتعدة.

***

لم تكن غرفتها الجديدة مختلفة للغاية، فقط لم تعد ترى البحر، غير ذلك لم تهتم بشيء حقا بها، كل ما علمته أنها في الجهة الغربية السفلية من القصر، عكس الغرفة التي مكثت بها من قبل، والتي كانت بالجهة الشرقية، لم تهتم لتعلم أي شيء حقا، تحدثت للوحات فقط بعض الشيء خلال تلك الأيام، فقد أمرت بنقلهم لغرفتها الجديدة برفقتها، وعزلت نفسها بالكامل بهذا المكان الجديد، التي لم تدر لكم من الوقت ستمكث به حتى تذهب لغيره، شعرت بكم حزن شديد يجتاحها، ولم تدر حقا ما السبب، كلما تردد ببالها هي كلمات أدريان التي سمعتها منذ عدة أيام، وغيرها من الكلمات، لكن كلمات أدريان كانت هي التي لا يتوقف صداها برأس كيرا. لكن اليوم لم تعد تحتمل تلك العزلة وذاك الملل، أرادت أن تخرج وتحادث شخصا ما، أي شخص، حاولت أن تذكر نفسها بأن اللوحات دوما موجودة إذا أرادت الثرثرة، لكنها على الرغم من ذلك تسللت لخارج غرفتها، فقد أرادت رؤية شيء جديد غير تلك الجدران المكررة، كانت الممرات جميعها مظلمة لا يضيئها سوى الشموع أو الشعلات، هذا طبيعي

نظرا لوجودها الآن بالجزء السفلي من القصر، حيث لا توجد حتى نوافذ لرؤية العالم الخارجي، سارت كثيرا لكنها لم ترَ سوى غرف وأبواب مغلقة وممرات ممتدة، كادت أن تمل لولا سماعها ذلك الصوت يصدر من أحد الأبواب نصف المغلقة، كان صوتاً لصليل سيف أو سيوف على ما يبدو، سارت كيرا سريعا صوب ذاك الباب وقد أصابتها بعض الحماسة، ثم حاولت اختلاس النظر دون أن يلمحها أحد، بدا أن تلك الغرفة هي غرفة تدريب للمبارزة أو ما شابه؛ فقد احتوت على بعض الدروع ودمى المبارزة، وخناجر كثيرة مختلفة رُصت فوق طاولة خشبية عريضة ودائرة تصويب، كانت مظلمة لا يضيئها سوى بعض الشعل كأغلب ما رأته في هذا الجزء من القصر حتى الآن، في منتصف الغرفة رأت شخصين يتبارزان، أحدهما شاب رشيق يرتدي درعا خفيفا ويمسك سيفاً معتدل الحجم، بدت حركاته سريعة ومحترفة، بينما الشخص الآخر كان يولي كيرا ظهره، بدا أقصر من الشاب الرشيق، يرتدي هو الآخر درعًا خفيفا أسود اللون يربط شعره خلف رأسه، كان يقاتل بخنجرين بهيين المظهر يقارب طول أحدهما السيف، لكن الآخر طوله عادي، لم يكن بخفة ورشاقة الشاب، لذا توقعت كيرا أن يخسر المبارزة حين انقض الشاب بضربة سريعة صوبه، لكن ذلك الشخص صدها بالخنجرين ثم ركل الشاب الرشيق، لكن ما تلى ذلك أصاب كيرا بالحيرة الجمة؛ فقد حاول الشاب الرشيق الهجوم مجددا، لكنه أخذ يرمش كثيرا كما لو كان لا يستطيع الرؤية جيدا، ثم بدأ تحريك رأسه سريعا كأنه يبحث عن منافسه، ما المشكلة إن خصمك يقف أمامك دون حراك،

لماذا لا تسقطه فحسب؟! فكرت كيرا باستنكار، فجأة انقض ذلك الشخص بشراسة صوب الشاب الرشيق، تفادى الشاب الضربة، ولكن بدا عليه صعوبة الرؤية حتى أن إحدى الضربات أصابت ذراعه، ثم ركل الشخص درع الشاب بقوة مسقطا إياه أرضا، لكن الشاب بحركاته السريعة استطاع لف نفسه سريعا مبتعدا عن خصمه، ثم وقف على قدميه مجددا معاودا الهجوم، وبدا أن نظره صار سليما، حدثت بعض المناوشات، انتهت بابتعاد الشخص ذو الدرع الأسود قليلا؛ فقد تفوق عليه الشاب الرشيق، وكان على وشك أن يتم هزيمته، لكن في أثناء هجوم الشاب الرشيق تكرر تشتته وصعوبة الرؤية مجددا، وأخذ يلتف يدور برأسه باحثا عن الشخص ذو الدرع الأسود، إنه أمامك مباشرة! أرادت أن تصرخ له كيرا، في تلك المرة بدا الشخص ذو الدرع الأسود كالفهد في هجومه، ضربات سريعة للغاية وشراسة غير عادية، والشاب الرشيق بكل سرعته وحركاته غير الاعتيادية لم يستطع صد كل ذلك تلك المرة، لم تلمح كيرا حتى سرعة بعض ضربات الشخص ذو الدرع الأسود، حتى كان الشاب الرشيق قد سقط سيفه أرضا، بل وسقط هو الآخر دون عودة تلك المرة، وقف الشاب مرتنحا قليلا يحاول الحفاظ على اتزانه بعد إعلانه لهزيمته مردفا:

"لقد صرت أسرع، أنا منبهر"

"وما الذي يفترض أن تبهرني أنت به؟"

أجابه صوت أنثوي مما أثار تعجب كيرا، فطوال تلك المبارزة لم تلمح أبدا وجه الشخص ذو الدرع الأسود، ولم يخطر ببالها أبدا أن هناك امرأة تحارب بذلك الشكل، خاصة امرأة بصوت كهذا.

"وماذا تودين مني فعله لأبهركِ؟" تساءل الشاب وهو يبتسم.

"إن أخبرتك فلن يتم إبهاري"

أجابته تلك السيدة بصوت بدا أنه يتحدى الشاب بشكل ما، أو ربما بدا أنها أرادت أن تغازل الشاب، لم تدرِ كيرا فقد تحدث هذان الشخصان بطريقة أشعرتها بالتوتر وعدم الراحة، كاد الشاب يقترب من السيدة لولا أن عينيه سقطت صوب الباب ولمح كيرا، اتسعت عينا كيرا لأنه تم اكتشافها، ثم أخفت رأسها خلف الباب، مرت بضع ثوانٍ حتى أردفت السيدة بصوتها المعتاد الذي بدا لطيف على نحو ما:

"أظهر أو أظهري نفسك فنحن لن نلتهمك"

تنهدت كيرا ثم سارت لداخل الغرفة متوقعة ردود الأفعال المختلفة حين يعلمون من تكون، لكنها لتثبت لنفسها ولهم أنها لا تكترث سارت جهتهم، حتى وقفت أمامهم مباشرة، وفي عينيها نظرة عدم اكتراث، لكنها حين اقتربت كانت قد حددت

بالفعل هوية السيدة، ربما لأن وجهها يبدو كنسخة حمراء الأعين من وجه والدتها دورسيرا:

"كيرا سررت برؤيتك، جدر بنا التعارف مبكرا"

أردفت خالتها انستازيا بابتسامة واثقة، ثم أعقبها الشاب الرشيق بابتسامة هو الآخر:

"سمو الأميرة كيرا، إنه لشرف لي أن أقابلك"

ثم انحنى مقبلا يدها، كان ذلك غريب وغير متوقع؛ على الرغم من أنها اعتادت تعامل جميع الناس معها بشكل مشابه في العاصمة الأم، لكنها منذ قدومها للمملكة الغربية أو بمعنى أصح منذ إظهار المرايا أن روحها هجينة، لم يعاملها أي شخص بترحاب، دوما مقتوها بشكل أو بآخر، لكن يبدو أن خالتها وذاك الشاب لديهم عقل سليم ويفهمون جيدا، ليسوا كفارغي الرأس الآخرين.

"اسمحي لي بتقديم نفسي أيتها الأميرة المبجلة، أنا الفارس نيكول من جبال الساحل أحد معاوني خالتك أميرتنا العظيمة انستازيا" أردف نيكول بأدب وهو ينحني مجددا.

"بل هو يدي اليمنى لذا اطمئني تماما يا كيرا يمكننا الثقة به" أردفت انستازيا مبتسمة.

"إنه لشرف لي يا أميرتي انستازيا أن تعتبريني يدك اليمنى، وشرف لي يا أميرتي كيرا أن تثقي بي" أجاب نيكول فأومأت كيرا بسعادة.

"لابد أن أميراتي يودان الحديث دون مقاطعة، اعذراني"

أنهى نيكول حديثه طالبا الإذن بالرحيل، فسمحت له انستازيا، ثم انحنى مجددا لكل من كيرا وخالتها انستازيا مقبلا يد كل منهما على حدة، ثم انصرف بخطوات رشيقة.

"سيري برفقتي يا كيرا"

أردفت انستازيا وهي تسير خارجة من الغرفة، فسارت كيرا لجوارها.

"هل يمكنني أن أسأل حيال أمر ما؟"

تساءلت كيرا، فأومأت انستازيا مبتسمة.

"الطريقة التي كنت تقاتلين بها إنها غريبة ومدهشة حقا، فالفارس نيكول كان كثيرا يتصرف كما لو أنه لا يراك على الرغم من أنك كنتِ تقفين أمامه تماما!"

قهقهت انستازيا ثم أجابت: «الشعبان الأحمر والأصفر

يكرهان إخوة الظل، الشعبان يكرهان الحالمين، الشعبان يكرهان جماعة الزهرة الدامية»

لم تفهم كيرا ما علاقة ذلك بسؤالها، ولم تدر لماذا لا يتوجب عليهم عدم كره من ذكرتهم انستازيا للتو، فإخوة الظل هم ألد أعداء الشعبين والحالمين ينتمون لإخوة الظل، بينما جماعة الزهرة الدامية هم قتلة مأجورون محترفون للغاية، يجعلون ضحيتهم ترى زهرة ملطخة بالدماء قبل أن يقتلوها. انتظرت كيرا أن تكمل خالتها إجابتها لكن انستازيا لم تقل شيئا، فتساءلت كيرا: ما علاقة ذلك بسؤالي؟!» قهقهت انستازيا مجددا ثم أردفت:

"يا عزيزتي كيرا ما أعنيه، هو أنهم يمقتون ما يمقتونه فحسب، يخافون فحسب، لا يحاولون التعمق فيما أمامهم، لا يحاولون تجربة ما يخشونه، الشعبان مملان للغاية".

تساءلت كيرا أهي غبية كي لا تفهم الإجابة أم أن كلام انستازيا هو الذي يبدو غير مفهوم؟ نظرت لانستازيا بتساؤل فبدا على انستازيا الملل وأكملت: «أسلوب قتالي هو أسلوب قتال إخوة الظل قديما الذي يتبعه جماعة الزهرة الدامية حاليا، ألم يكن ذلك واضح في كلامي من قبل؟»

بدت انستازيا جدية ثم ضحكت قائلة:

"ما رأيك هل أستطيع أن أبدو غير مفهومة كخالك ميستريو؟" ضحكت كيرا وقد استوعبت أن خالتها تحاول العبث فحسب، صحبة خالتها انستازيا ممتعة بعض الشيء لن تكذب.

"كيف تجدين الحياة في القصر هنا؟"

تساءلت انستازيا، لم تطل كيرا التفكير ثم أجابت السؤال:

"بغيضة"..

ضحكت انستازيا قائلة:

"إنني منبهرة يا كيرا، فأغلب الناس لا يفصحون حقا عما يشعرون"

"أنا لست أغلب الناس"

"يبدو ذلك، مع الأسف أن سيلين لم تر ذلك"

"إنها حقيرة!"

أردفت كيرا بغضب ثم تداركت ما قالته لتوها عن زوجة خالها، فنظرت لانستازيا لترى بوادر الدهشة على وجهها،

لكنها لم ترد الاعتذار فأكملت حديثها:

"أنا لن أعتذر إنها بالفعل كذلك"

"لكن كيرا يجدر بك الاعتذار، فهي ليست حقيرة إنها عاهرة!" قالت انستازيا وهيِ تنظر لكيرا مبتسمة، تعجبت كيرا لألفاظ خالتها تلك، لكن سرعان ما ظهر شبح ابتسامة على وجهها:

"هل يسمح هنا بقول مثل هذا الكلام؟!"

"كلا"

نظرت كيرا لانستازيا غير مستوعبة تناقض إجابتها مع أفعالها.

"هل هناك ما أحتاج شرحه يا كيرا؟ أنا الأميرة انستازيا، أفعل ما يحلو لي، يجدر بكِ فعل ذلك أنت الأخرى"

"ماذا عن القواعد؟!"

"أنت تحت وصايتي الآن يا كيرا، ستقضين هنا ما يقارب الخمسة عشر عاما، أريدنا أن نصير أصدقاء لذا فقاعدتك الأولى هي 'لا قواعد لك'"

نظرت كيرا لانستازيا بذهول غير مصدقة ما تسمعه:

"حقا؟!"

"بالطبع، فالأصدقاء لا يفرضون قواعد على بعضهم أليس كذلك؟!

وأنا أريدنا أن نصير أصدقاء بحق، فهل نحن كذلك؟»

"بالطبع"

ضيقت انستازيا عيناها وهزت رأسها مستنكرة:

ليس بعد، فعلينا أولا أن نعرف بعضنا، وحين أتأكد أننا صرنا أصدقاء بحق، سأريك غرفتي المميزة»

"غرفتك المميزة؟! ما تلك؟"

"إنها مميزة ورائعة مثلك تماما"

على الرغم من عدم فهم كيرا تماما لما تعنيه خالتها بتلك الغرفة، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من الابتسام لمديح خالتها، فهي الأولى حقا التي لا تعاملها بمقت وكره منذ وطئها هذا المكان، ظنت أن أدريان هو الأول، لكن أتضح أنه

ليس سوى خائن منافق، شعرت كيرا بالسعادة وهي تمشي في تلك الممرات المضيئة ببضعة شعلات إلى جوار خالتها انستازيا، شعرت أن خالتها تلك مميزة بشكل ما، من الغريب أن والدتها دورسيرا لم تتحدث عن انستازيا كثيرا، وأنها سمعت أن جدها الملك يمقت انستازيا بشدة لسبب ما، حتى أنه لا يعترف بها ابنة له في بعض الأحيان، تساءلت كيرا عن أسباب كل ذلك، لكن فجأة خطر تساؤل مختلف للغاية ببالها:

"خالتي انستازيا؟ هل يمكنك تعليمي القتال؟"

***

[5]
أزرق

سطعت الشمس بأقصى ما لديها تلك الظهيرة، لم تدخر الطيور كذلك أي مجهود، فكان صوتها عاليا للغاية وهي تزدحم فوق تلك الأشجار ذات الأوراق الكثيفة والزهور الملونة المحيطة بتلك الدار الكبيرة، دخل ذلك الجندي دار القضاء مخترقا بعض الواقفين، لم يأخذ كثيرًا من الوقت حتى وصل لتلك القاعة الضخمة، يوجد بها بعض الحراس والناس، جلس جوزيف على مقعد عالٍ بعض الشيء، يصغي لما يقوله رجلان يتجادلان على مشكلة ما أمامه، ذو شعر أسود يصل حتى أسفل وجنتيه، عيناه حمراوان واسعتان كحيلتان، عريض الفك ذو لحية معتدلة الطول، ذو جسد قوي وملامح بدا إرهاق الزمان منها، جلس القاضي على كرسي يجاور الأمير، يبدي آراءه خفية للأمير من حين لآخر، دوما أصر الأمير على جلوس القاضي بمحاذاته وليس أدنى منه؛ لأن هذا هو مكان القاضي في الأساس وليس مكانه هو، فوجود الحاكم لا يقلل ذلك من قدر القاضي أبدا.

"سمو الأمير جوزيف، هذا الرجل سرق نبات الشعير الخاص بي، ولا ينفك عن إخباري أنه لم يقصد، لكن بماذا سيفيد ذلك ونباتي الآن لا وجود له؟!"

أردف بها أحد الرجلين الواقفين أمام جوزيف، ليرد الآخر:

"يا سمو الأمير، ذلك التاجر لا يستمع فحسب، للمرة الخامسة أخبره بأن بقرتي هي من التهمت نبات الشعير، وحينما حاولت منعها كان الآوان قد فات بالفعل!"

"بسبب بقرتك أو بدونها نباتي لم يعد موجودا! سمو الأمير هذا النبات هو مصدر قوتي! فماذا سأفعل الآن؟! هل لن أجد قوت يومي لأن أبلهَ ما ترك بقرته لتأكل نباتي؟!"

"أنا لست أبلهَ أيها التاجر الأعمى! من يضع نباته في مكان كهذا معرض لتأكله أيةً ماشية وفي النهاية تشتكيني في المحكمة؟!"

"من تدعوه بالأعمى أيها الفلاح القذر؟!"

هم الرجلان بالتعارك لولا تدخل الحراس، تحدث القاضي بأنه يجدر بهما التزام القواعد، وإلا سيتم طردهما أو سجنهما، لم يكن مثل ذاك العراك بغريب في (ليس الكبرى) أو في أي مكان بالمملكة الغربية، فهنا الشعب أقل كلمة تستفزه للقتال فحسب، إنه شيء يجرى بدمائهم، للأسف، لكن على الرغم من ذلك، عليهما أن يدركا أن هذا تصرف سيكون له عواقب، فكر جوزيف، عم الصمت قليلا ثم تحدث كل من الرجلين:

"كامل أعذاري لك يا سمو الأمير جوزيف"

"أنا آسف حقا يا سمو الأمير"

"سمو الأمير، اقترح إعطاء البقرة لتاجر الشعير كتعويض عما فقده"

همس بها القاضي لجوزيف، كان اقتراح القاضي سهلا وسريعا ومنطقيّاً، لكن جوزيف أراد أن يتأكد أولا من أمر ما قبل أن يقرر الأخذ بنصيحة القاضي أم لا.

"ماذا تملك بخلاف تلك البقرة لكسب قوت يومك؟" وجه جوزيف تساؤله لمالك البقرة.

"ليس لدي سواها، أنا أقسم يا سمو الأمير، ولا أستطيع دفع ثمن الشعير في الوقت الحالي»

كما توقع جوزيف فهذا الفلاح سيرثي حاله تماما دون تلك البقرة، فكر جوزيف قليلا ثم أردف:

"تناول البقرة لذلك الشعير كان خطأ غير مقصود، لكن هذا لا يعني أن العدل لن يتم"

نظر جوزيف لمالك البقرة وأردف أمرا:

"ستقتطع جزءًا كل أسبوع من حليب البقرة وتعطيه لتاجر الشعير؛ حتى توفي له ثمن كل الشعير الذي التهمته البقرة، ويجب ألا تزيد مدة سداد الدين عن الشهر!"

"أمرك يا سمو الأمير".

أردف بها مالك البقرة.

"وسيتم حبسكما يومان عقاب على تصرفكما السابق" أشار جوزيف لأحد الحراس الذي اصطحب الرجلين مبتعدا.

"ادخل التالي!" أمر جوزيف الحارس.

"لم يعد هناك المزيد من المنازعات اليوم يا سمو الأمير" أومأ جوزيف بتفهم.

"اترك لك مكانك أيها القاضي"

أردف جوزيف للقاضي.

"نسعد دوما بقدومك يا سمو الأمير"

ربت جوزيف على كتف القاضي وأردف بنبرة أخف:

"لم أستطع إعطاء البقرة للتاجر، إنها كل ما لدى مالكها".

"سمو الأمير لم أشكك في قرارتك أبدا"

أومأ جوزيف مبتسما، ثم سار ليخرج من دار القضاء يتبعه حراسه، لحق به سريعا أحد الحراس، الحارس نفسه الذي دخل القاعة في أثناء قضاء جوزيف في مشكلة التاجر ومالك البقرة:

"سمو الأمير، لدي أخبار هامة للغاية بخصوص ذلك الشخص الذي طلبت العثور عليه"

أردف الحارس بصوت منخفض، شعر جوزيف باللهيب يعلو قلبه حتى يعرف الأخبار الجديدة، لكنه عليه الوثوق ألا أحد آخر يستمع للحديث:

"انتظر حتى نخرج من هنا"

"أمرك يا سمو الأمير"

"هل الزهور جاهزة؟"

وجه جوزيف تساؤله لأحد الحراس الآخرين:

"أجل، سموك، وقد تم وضعها في حقيبة فرسك ككل يوم"

خرج من الدار مبتعدا حتى يصل لفرسه، ثم تحرك هو جنوده ممتطين أفراسهم:

"ماذا إذن؟"

وجه جوزيف تساؤله للحارس بعد ابتعادهم بعض الشيء، فعليه أن يعلم ما توصلوا إليه بخصوص ذاك الشخص:

"سموك، لقد اقترب موعد مجيئه للغاية، ربما بحد أقصى غدا!" توقف جوزيف بفرسه غير مصدق لمدى اقترابه من مقابلة ذاك الشخص، فقد ظل شهورًا يبحث عنه، أعقب ذلك توقف حراسه بأفراسهم أيضا غير مدركين لما أصاب جوزيف، توجه جوزيف للحارس الذي أبلغه بالخبر ثم أردف:

"أريد إبلاغي فورا بمجرد وصوله لهنا!"

"أمر سموك، لكن سموك"..

تردد الحارس وبدا عليه التوتر، نظر له جوزيف مستفسرا:

"ما الأمر؟"

"سموك مازال هناك فرصة بعدم جلبه؛ فسموك تعلم ما يقُال حيال السحر والسحرة"

اقترح الحارس بقلق، إنه يتفهم مصدر قلق ذلك الحارس، لكنه قطع كل ذلك الدرب لن يتوقف الآن:

"نفذ الأوامر فحسب" تنهد الحارس ثم أومأ:

"أمر سموك"

"لا تقلق لن يصيبك مكروه، اذهب الآن وتابع المستجدات" أمر جوزيف الحارس الذي أومأ مجددا ثم انصرف بفرسه سريعا بينما اتجه جوزيف وباقي حراسه لأكثر الأماكن بشاعة وألما بالنسبة له، ولكنه لا يستطيع التوقف عن الذهاب إليه مطلقا، ليس حتى يتأكد أن لا شخص آخر سيذهب مجددا لذاك المكان، استغرق الذهاب لذاك المكان ما يقارب النصف يوم باستخدام الفرس، فقد وقع ذلك المستشفى على أطراف عاصمة (ليس الكبرى) ليس أي مستشفى، فهو خاص بمصابي المرض الأزرق فحسب، يلجأ إليها كثير من المصابين بذاك المرض في المملكتين، على الرغم من عدم إيجاد علاج للمرض، إلا أن الحكماء والعلماء بذلك المستشفى استطاعوا التوصل لطرق لإطالة عمر المصاب وتقليل ألمه، كرس جوزيف العشر سنوات الماضية من حياته في محاولات مكثفة لإيجاد علاج لذاك المرض، استدعى علماء من كافة أنحاء الأرض، أشرف على صناعة وتجربة عشرات اللقاحات، أنفق كثيرًا من أموال (ليس الكبرى) في سبيل ذلك، لكن بلا طائل، لكنه لن ييأس، ولن يتخاذل حتى آخر رمق له حتى

يصل لعلاج لذلك المرض، سار جوزيف لداخل المستشفى وأمر حراسه بانتظاره بالخارج، بدى كئيباً، لكن هذا ليس بغريب عليه فقد اعتاد كل ذلك، في بعض الأحيان يتمنى لو أنه يصاب بالمرض نفسه وينتهي كل شيء بالنسبة له، لكن كلا، لا يستطيع التفكير في الموت الآن، لا يستطيع التفكير بالموت حتى يجد علاجًا، مر جوزيف بالعنابر المختلفة حيث تحوي الحالات المختلفة للمصابين بالمرض تدرجا من الهين فالأشد، رأى الذين ازرقّ كثيرٌ من أجزاء جسدهم، الذين يكادون يختنقون من فرط صعوبة التنفس، الذين يتقيؤون الدماء، والذين تخرج الدماء من كل أجزاء جسدهم، والذين تورمت أجزاء من جسدهم واسودت، بل وعطبت وتآكلت تلك الأجزاء وصار مظهرها وملمسها أشبه بالطين، كان أغلب المصابين يُوضعون في غرف معزولة، فأي عدوى أخرى بأي مرض آخر حتى لو كانت بسيطة تصعِّب حالتهم بصورة أكبر، وتسمح للمرض الأزرق بالقضاء عليهم بصورة أسرع، كل هؤلاء الناس يأتون إلى هنا من كافة الأنحاء ليظلوا معزولين بغرفة، ويقللوا من آلامهم وتأجيل موتهم فحسب، يقطعون كل تلك المسافات لفعل ذلك عالمين في النهاية أن لا علاج فعلي للمرض، لم يجرب جوزيف ألم المرض، لكنه بالطبع قرأ عن كمٍّ بشاعته، ما لم يفهمه جوزيف أبدا هو لماذا يكون سبب بعضهم هو تأجيل موته، لماذا بكل ذاك الألم والمعاناة التي يشعر بها المصاب قد يريد الإمداد في عمره؟! سؤال ربما لن يعلم إجابته أبدا، توجه جوزيف مباشرة حيث يباشر العلماء تجاربهم وأبحاثهم، كانوا منهمكين بالفعل فيما يفعلوه حين وصل.

"تأخرت ظهور الأعراض قليلا، أليس كذلك؟! ربما يجدر بنا تكرار المحاولة"

أردف أحد العلماء الواقفين وهو يتأمل بشدة فأرًا محبوسًا في صندوق أمامه، أجابه معاونه:

"سيدي إنها المرة المائة والأربعون التي نكرر بها المحاولة نفسها"

"لا تجادلني، هناك تقدم إذن سنستمر بالمحاولة مع إضافة بعض التغييرات، قم بالمطلوب»

تنهد المعاون ثم أومأ وسار مبتعدا، وقف جوزيف إلى جانب ذلك العالم الملقب بمينا، زفر العالم بغضب قائلا:

"ألم أخبرك أن تقوم بالمطلوب؟!"

نظر العالم جهة جوزيف بغضب، لكن نظرته سرعان ما تغيرت للدهشة ثم للتوتر:

"أأأأأ.. سمو الأمير، أعتذر لم أدرك أنه أنت"

ابتسم جوزيف مجاملة ثم ربت على كتف العالم ليعلمه أنه لا بأس، تساءل جوزيف:

"كيف تسير الأمور أيها العالم مينا؟ سمعتك تقول للتو أن هناك تقدم"

تأمل العالم الفأر مجددا بنهم، كما لو أنه صحن يتلهف لتناوله ثم أجاب:

"أجل يا سمو الأمير، آخر لقاح قمنا بعمله".

صفق العالم مينا بسعادة، بدت تصرفاته طفولية بعض الشيء لرجل يقارب الخمسة والستين من عمره، لكنه لم يتخاذل أبدا عن عمله لذلك أعجب جوزيف به وبعمله كثيرا، كان العالم مينا في الأصل من شبه جزيرة لونا، لكنه مقتها وأمضى أغلب حياته في المملكة الغربية لأن على حد قوله، شبه الجزيرة شبه مثالية وهذا يثير ملله للغاية، أكمل مينا حديثه:

"أترى هذا الفأر الجميل يا سمو الأمير، يا للهول كم هو بديع! لقد أخر اللقاح الأخير بعد التعديلات، لقد أخرت ظهور المرض لمدة ما يقرب من الستة عشر شهرا"

قهقه العالم مينا مكملا:

"ستة عشر شهرا يا سمو الأمير، هل تصدق؟ وحتى.. حتى

عند بدء ظهور الأعراض، ظهرت ببطء عن المعتاااد، آآآه يا لروعتك يا عزيزي الصغير، يا لروعتك!»

أخذ العالم يتغنى بكلماته الأخيرة وهو ينظر للفأر بوله، بينما ارتجف الفأر قليلا:

"سمو الأمير جوزيف، علمت أنك ستأتي اليوم".

أردف شخص ما من خلف جوزيف، استدار جوزيف جهته ليجده أحد الحكماء المسئولين عن العنابر التي يتواجد بها أكثر الحالات تأخرا للمرض:

"مرحبا بك أيها الحكيم"

أردف جوزيف وأعقب العالم مينا بسعادة غامرة:

"تعال، تعال وشاركنا ما وصلنا إليه"

"أشكرك أيها العالم مينا، ولكني أود محادثة الأمير جوزيف في أمر هام"

"حسنا إذن، سأقضي وقتي برفقة جرذي العزيز» أردف مينا مقهقها بصورة غريبة.

"ما الأمر الهام أيها الحكيم؟"

تساءل جوزيف ليجيبه الحكيم ببعض الأسى:

"سمو الأمير أدرك جيدا ما سياستك حيال القتل الرحيم للحالات المتأخرة للمرض، لكن».."

توقع جوزيف إلى أين سيتجه ذلك الحوار، تنهد الحكيم ثم أكمل:

"أعتقد أن هناك مصاباً يحتاج لذلك الحل"

على الرغم من عدم فهم جوزيف بسر تشبث هؤلاء المصابين بالحياة، إلا أنه لسبب ما حاول دوما تأجيل حل القتل الرحيم للحالات التي تحتاج بالفعل لذلك، لسبب قام جوزيف بمحاولة إقناع هؤلاء المصابين الذين استسلموا بالفعل أو أرادوا مفارقة على الاستمرار، أخذ دوما يخبرهم كم قد اقترب لإيجاد علاج محاولا إعطائهم نوع من الأمل، لم يدرِ لماذا يفعل ذلك! لم يدرِ لماذا كانت كلماته كلها عكس ما يشعر به تماما! لماذا قالها إذن وهو يعلم أنهم في النهاية سيموتون كغيرهم! سيموتون وقد عاشوا يأملون أن التاريخ سيكتب أنهم أول من تم معالجتهم! لماذا يفعل ذلك؟! ربما هو يريدهم أن يموتوا كأرواح سعيدة يوجد بها بصيص من الأمل، وليس كأجساد خاوية من الحياة والسعادة، خاوية من أي شيء يدعو لانتظار غد أفضل أو ربما

لأنه أناني فزيادة عدد المرضى الأحياء وليس الأموات يساعده على إيجاد علاج بشكل أفضل وأسرع، ابتسم جوزيف بسخرية عند تفكيره بتلك الكلمة، أردف جوزيف بجدية:

"سأتحدث معه"

"كما تأمر يا سمو الأمير، لكن أتسمح لي أن أبدي نصيحتي؟"

"فلتفعل ذلك"

"بعض الأرواح تحتاج للرحيل فحسب يا سمو الأمير، يكون ذلك هو الأمل الوحيد الذي تنتظر الغد لأجله»

ربما كان هذا هو أكثر شيء منطقي سمعه اليوم، هل تتحدث عني أيها الحكيم وأنت لا تدري إطلاقا؟! تساءل جوزيف ثم أومأ قائلا:

"أحترم رأيك أيها الحكيم، لكني مازالت سأتحدث معه، فلتدلني على غرفته"

"كما تأمر يا سمو الأمير"

رافق الحكيم جوزيف حتى وصلا لغرفة مغلقة، دخل كلٌّ من

جوزيف والحكيم للغرفة، على الرغم من الضوء النافذ من الشرفة، إلا أنها بدت كئيبة، لم يدرك جوزيف أذاك بسبب الغرفة فعلا أم بسبب الأجواء المحيطة به، أم أن تلك ليست سوى هلاوس جوزيف وحده؟ رأى في منتصف الغرفة مقعدًا خاوياً وفِراشًا ممددا أعلاه شخص يرتدي ملابس ثقيلة ويعلوه غطاء ثقيل، طبيعي الشعور بالبرد الشديد هو من أعراض الحالات المتأخرة للمرض، استند ذلك الشخص على الحائط بعض الشيء، لم ينظر لهم، بل ظل ينظر للحائط بنظرة خاوية، أردف الحكيم

"رومان، لقد أتى الأمير خصيصا لرؤيتك ويود الحديث معك" لم يجب الرجل، ظل فحسب كما هو، تنهد الحكيم ثم تحدث مجددا:

"رومان"

"تفضل، س م و الأم ير»

تحدث الرجل الملقب برومان بصوت محشرج ثقيل للغاية، أومأ جوزيف للحكيم كي ينصرف فسار الحكيم لخارج الغرفة، اتجه جوزيف نحو المقعد وجعله مواجها للفراش ثم جلس أعلاه، حينها فحسب نظر رومان جهته، بدا الآن كم كانت ترتعش أطرافه، بدا وجهه الذي ازرقت جبهته بينما سقط جزء من وجنته اليسرى والجزء المتبقي أصابه التعفن، حتى وصل

للعين اليسرى وأصابها، عينه الأخرى جاحظة تعلوها غشاوة بيضاء، كان رومان شاحباً للغاية ذو جسد هزيل، وبدا بعض اللون الأزرق بيده اليسرى كذلك، بينما اليمنى أصابها التعفن والأجزاء السليمة بها اسودَّ لونها، تساقط شعر الرجل ولم تعد سوى خصلات متناثرة بعشوائية.

"هل يعتنون بك جيدا يا رومان؟ هل تود تغيير هذه الغرفة الكئيبة؟" تساءل جوزيف باسما، هز رومان رأسه نافيا.

"أ ر يـ د الـ مـ و ت سـ مـ و ك»

أجاب الرجل بالصوت السابق نفسه، ربت جوزيف على كتف الرجل برفق ثم فكر بكل ما يستطيع قوله لبث الأمل في هذا الرجل، غد سيكون أكثر إشراقا، أوشكنا على إيجاد علاج، لكن عمَّ يتحدث؟! فلينظر لمظهر ذاك الرجل، عن أي أمل أو غد سيتحدث، لقد مرت عشر سنوات ومازال المصابون يصلون لحالة الرجل الممدد أمامه الآن، لم يدر جوزيف بماذا يجيب؟! أراد إعطاء الرجل خلاصا سريعا من كل هذا، لكنه لا يستطيع قتل المصابين فحسب، ذلك سيعرض (ليس الكبرى) لوباء فعلي، ذلك لن يؤدي للتوصل أبدا لعلاج. فجأة شعر جوزيف بيد الرجل المرتعشة تمسك بيديه بوهن ثم تحدث الرجل:

"أد ر ك، سـ مـ وك أ أن هنا ك أمل وأنك ستـ جـ د علاجا»
تنهد جوزيف وابتسم بأسى ثم أردف:

"هذا صحيح يا رومان لكن ليس عليك قول ذلك إن لم تكن تصدقه"

"كلا كلا سم و ك، أ أنا ف ع لا صد قت ذل ك وما زلت أصد ق لكني أر يد الم وت»

استشعر جوزيف صدق الرجل، لكن لماذا إذن يطلب هذا الطلب الآن؟! تساءل جوزيف بحيرة:

"إذن لماذا تريد الموت؟"

"ل لقد كا نت لي ز و جة لم ت تغب عني يو ما واحدا م نذ مرض ي من ذ ثلا ث سنوات كا نت دو ما تحا دثني وتبع ث فيّ الأم ل على الرغم من عدم تصد يقي لأي من هذا الحد يث حي نها»

ازدادت رعشة الرجل وأخذ يصدر أصواتاً تدل على شعوره بالبرد، ثم أكمل، حزن جوزيف لمظهر الرجل لكنه يخشى أن حالته لا تسمح بزيادة الأغطية أو الملابس، فذلك قد يؤدي لعدم قدرة الرجل على الحراك بسبب فرط هزالته، أكمل الرجل:

"ظننت أن ني سأمو ت ل كن استمرر ت بالحياة على غي ر المألوف حز نت لها لأنه ا ترا ني أمو ت أمامها لكني س

سعدت بأنني أشار كها أيا مي الأخيرة كا نت تزورني وتجل س حيث تجل س سموك الآن لكن ت وقفت من ذ أسبو عين ووصلني"..

لمح جوزيف دموع الرجل تسقط أسفل وجنتيه:

"خ خبر وفا تها لق د كا نت محققة هنا ك أمل بالنسبة لي ففي النهاية تو فت هي بينما استمر رت أنا بالحيا ة وكا نت هي من تشا ركني أيا مها الأخي رة ولست أنا من أشار كها أيا مي الأ خيرة لك ن رغ م تأكد ي من حد يثها إلا أني لم أع د أري د الحياة كما أ ردته ا من قبل حين كان ت حية»

حاول الرجل مسح دموعه ثم ختم حديثه بنبرة بدت متوسلة

"أرجو ك أرجو ك يا سمو الأمي ر فقط دعن ى أم ت فلم لم يعد لي أي شيء في هذ ه الحيا ة"

شعر جوزيف بالأسى يجتاح كيانه، وقف من مقعده ثم أجاب الرجل:

"حسنا يا رومان، لك ما تريد"

للمرة الأولى رأى جوزيف ما يشبه الابتسامة على وجه الرجل الذي قال بامتنان: «شك را»

أمضى جوزيف بضعة ساعات أخرى في ذلك المستشفى يشرف على ما توصل إليه الحكماء والعلماء، يلقى نظرة على مصابين آخرين غير رومان، ويأمر بتنفيذ القتل الرحيم لرومان، خرج جوزيف من المستشفى وأمر حراسه بانتظاره في البقعة نفسها، بينما اتجه هو راكبا فرسه للمقابر المخصصة لدفن من ماتوا إثر المرض الأزرق، كانت تبعد عن المستشفى بما يقارب الساعتين ركضا بالفرس، ظلت كلمات رومان تتردد بعقل جوزيف في أثناء رحلته لتلك المقابر، وصل أخيرا إليها وقد أصابه بعض الإجهاد، لكن ذلك غير مهم، كان عدد القبور لا يحُصى، ذلك يتسبب في عدم إمكانية دفن الموتى في بعض الأحيان، والحاجة لحرق جثثهم عوضا عن ذلك، سار جوزيف حتى أحد القبور وثنى جزعه وركبتيه ليصير في طول القبر نفسه ثم تحدث بصوت هادئ:

"لم أخلف وعدي حتى الآن، لا تقلق، لن أتوقف، ولن يغمض لي جفن حتى أجد علاج لذلك المرض الذي أخذك منا، ولا تقلق حيال والدتك، إنها على ما يرام، وأنا بخير، أنا فحسب».

تنهد جوزيف ثم أكمل: «أنا فقط أفتقدك كثيرا، أتمنى فحسب أن أرى ابتسامتك مجددا، وأن أسمع صوتك تناديني، وأن أحتضنك، هل تدرك ما اليوم؟!»

ضحك جوزيف قليلا ثم أجاب على سؤاله:

"إنه عيد مولدك، لو كنت هنا الآن لأتممت العشرين عاما يا بني"

***

كان يومًا مرهقا حقا لجوزيف، لكنه كان مشابها لأغلب الأيام؛ فلا جديد حيال كونه مرهقا ولا جديد حيال التوصل لعلاج فعليٍّ للمرض، المزيد من اللقاحات التي تؤخر ظهور الأعراض فحسب، لا يلوم العلماء أو ربما يفعل ذلك وربما هو يلوم نفسه فحسب، لا يدري، كل ما يدريه هو أن عليه الوصول لعلاج بأي ثمن، كان الوقت متأخرًا حينما دخل قصره، لم يدقق أبدا في تفاصيل هذا المكان، عرف اتجاهه فحسب دون أن يكترث لشيء آخر، لكنه دوما تذكر حب ابنه للنقوش المزينة للقصر، فقد ذكر أنها مميزة ليست كباقي أنحاء المملكتين اللتين تزين أغلب الأبنية بهما باللون الأحمر أو الأصفر أو بكليهما، بينما القصر هنا يزُينً بنقوش حمراء وزرقاء ممتزجتين سويا، تلك كانت أحد التفاصيل القليلة التي تجذب انتباه جوزيف بالقصر. كانت الإضاءة خافتة في الممرات، أراد جوزيف إتمام مهمته اليومية سريعا ثم الذهاب للغرفة التي يحتفظ فيها بكل ما يخص المرض وقراءة ما يستطيع قراءته ككل ليلة محاولا تناسي أي شيء آخر، فتح الباب بهدوء ودخل دون إصدار صوت، فقد توقع ما رآه بالفعل، فقد كانت نائمة على الفراش بادياً عليها الإرهاق، ويبدو أنها أضاءت شمعتين أعلى طاولة صغيرة بجوار الفراش فهي تكره الظلام، غطاؤها

نثر بعيدا يبدو أنها أبعدته بغير قصد في أثناء نومها، نثُر شعرها الكستنائي حول وجهها ذي اللون الباهت بغير انتظام، اتجه جوزيف نحوها بهدوء ووضع على الطاولة المجاورة لها الزهور الزرقاء التي اقتطفها صباحا، ثم عدل الغطاء عليها، بدت ساكنة للغاية، بدت جميلة، لكنه لم يطل تأمل وجهها فقد أخرج شمعة من أحد الأدراج وأضاءها، ثم سار مبتعدا بتلك الشمعة نحو الغرفة المنشودة، دخل لتلك الغرفة ثم أخذ يضيء أكبر قدر من الشموع ليساعده على الرؤية، حَوَتِ الغرفة عدة مكتبات مرصوصة بالكتب، ومكتب كبير تعلوه عدة أوراق ويوجد أمامه مقعد معتدل الحجم، كانت تلك غرفة ابنه المفضلة، أحب دوما المجيء إليها وقراءة ما يتعلق بالأمراض المختلفة؛ فقد أراد أن يشب ويصير حكيمًا، اتجه جوزيف نحو إحدى المكتبات ثم أخرج منها كتاباً يتناول أعراض المرض الأزرق، وجلس على المقعد مزيحا الأوراق من أمامه، ليضع الكتاب ويبدأ بتصفحه سريعا مكررا ما يقرأه من الكلام قبل أن تقع عليه عيناه كما لو أنه قد حفظه بالفعل.

'في البداية، يصاب الوجه بالشحوب، فقدان وزن، صداع، تقيؤ، تشوش رؤية، يشكو المريض من إصابة أحد أجزاء جسمه أو أكثر من جزء باللون الأزرق›

'تزداد الأعراض حتى تصل لرعشة، حمى، صعوبة في التنفس، يشكو المريض من أن تقيؤه يصير ملوث اً بكمٍّ لا بأس به من الدماء، وكذلك يشكو من تورم أجزاء الجسم ذات

اللون الأزرق، وتصيبه البرودة بشكل مبالغ به›

‹يصير المصاب في حالة متأخرة عندما تتحول أجزاء جسم المريض التي أصابها اللون الأزرق والتورم للون الأسود، ويزداد ذلك متحولاً لعفونة تؤدي بالتدريج لتساقط تلك الأجزاء حرفيا عن الجسد، يعاني المريض في هذه المرحلة من آلام مبرحة، يتغير صوته ويصير أثقل، كما أنه يتحدث ويتنفس بصعوبة، يصيب جسد المريض هُزال شديد وجحوظ العينين فيصير أشبه بالجثة، ويبدأ الدم بالخروج من أي مخرج في جسده ونهاية المريض في هذه المرحلة تكون الموت الحتمي الناتج عن كل الأعراض السابقة›

‹شابهت بعض أعراض المرض أعراض أمراض أخرى، لكنها بدت أشبه بخليط من أعراض عديدٍ من الأمراض التي لم يبدِ استخدام علاجها أيةً نتيجة في علاج المرض الأزرق، تم التوصل لبعض المسكنات للآلام الناتجة عن المرض، لكن علاجًا فعليّاً لانتهاء المرض من جذوره لم يتم التوصل إليه›

أخذ يقرأ حتى غاب عن الوعي.

"جوزيف، جوزيف»

أفاق جوزيف ليجد جودي تقف أمام المكتب، وتبدو عليها ملامح القلق، جودي ذات الشعر الكستنائي والبشرة البيضاء

الباهتة، والعيون الزرقاء التي ورثها ابنهم المتوفي عنها.

"جوزيف، يجدر بك أن تخلد للنوم، إنها ساعة متأخرة"

"لا بأس يا جودي، أنا على ما يرام"

أردف جوزيف وهو يشعر بثقل عينيه الشديد، اقتربت منه جودي ووقفت أمامه مباشرة ثم تحدثت بنبرة حزينة:

"جوزيف من فضلك، يكفيك مكوثاً في هذه الغرفة، تبدو متعبًا للغاية، اخلد للنوم فحسب، من فضلك»

لم يرد جوزيف الرحيل، لكنه بالفعل كان متعبا للغاية، وأراد الحصول على قسط من الراحة، وقف ثم سار لجوار جودي وهما يخرجان من الغرفة، تساءل جوزيف:

"هل أتى إليكِ الحكيم؟"

"أجل وأخبرني أنه سيحتاج المجيء بضعة مرات أخرى كي يتأكد مما أصابني، لا أدري لماذا، فقد أصاب جسدي بعض البرودة فحسب"

أومأ جوزيف، كان قد بعث حكيمًا لمعرفة ما بال زوجته، فقد أصابها بعض التقيؤ المستمر، أصرت على كون جسدها قد

أصابه البرودة فحسب، لكن جوزيف أراد الاطمئنان، فإشرافه الدائم على المصابين بالأمراض المختلفة وقراءته كثيرًا عن تلك الأمراض أصابه بالقلق حيال أي عرض مرضي يشهده أمامه، لم يسيرا سوى بضعة خطوات حتى سمع صوت أقدام متسارعٍ جهتهم، ثم وجد حارسًا يتجه نحوه، الحارس الذي أوكله جوزيف بإخباره فورا عند وصول ذلك الشخص الذي سمع كثيرًا حياله، نظر له جوزيف مستفسرا عن سبب مجيئه الآن:

"سمو الأمير جوزيف، أعتذر للغاية عن إزعاجك في هذا الوقت، لكن من كنت تنتظر وصوله قد وصل بالفعل سموك"

علت وجه جوزيف ملامح عدم التصديق، فقد ظل ما يقارب السنتين يبحث عن ذلك الشخص.

"بالتأكيد كان يمكن تأجيل ذلك للصباح فسمو الأمير متعب للغاية" وجهت جودي حديثها للحارس بنبرة حانقة، توتر الحارس ثم أجاب "أ.. أعتذر يا سمو الأميرة، لكن سمو الأمير أوصاني بـ" ..

"قدني حيث يوجد"

قاطعهما جوزيف أمرا الحارس.

"أمر سموك"

"جوزيف، يجدر بك الراحة، انظر لوجهك، إنك مرهق للغاية" وجهت جودي حديثها لجوزيف بنبرة قلقة، ربت جوزيف على يدها مجيبا بهدوء:

"لا بأس يا جودي، أنا على ما يرام"

"لا تخبرني سوى بذلك، جوزيف أنت لست على ما يرام، من فضلك".

"اخلدي أنتِ للنوم، سأعود سريعا، لا تقلقي حيالي"

حاولت جودي جذب ساعده برفق، لكنه سار مبتعدا قبل أن تفعل ذلك، فهو يعلم أنها ستزيد من اعتراضها حيال رحيله، إنها لا تدرك أهمية كل ذلك، لا تدرك أهمية إيجاد علاج، فقدت الأمل في إيجاده منذ وفاة ابنهم، ومنذ ذلك الحين وهي تعترض علامَ يفعله جوزيف معللة ذلك بأنه يحتاج أن ينام قليلا، أن يأخذ قسطًا من الراحة، أن يتوقف عن إجهاد نفسه، لماذا هي قلقة دوما حياله؟ لا يدري، فهو بالفعل سينام ويرتاح كثيرا حين يموت. لم يستغرق جوزيف كثيرًا من الوقت حتى وصل لحيث أراد، حيث يوجد من يتلهف جوزيف لمقابلته، حيث يوجد ذلك الشخص، نزل عديدًا من الدرجات، الظلام يحف المكان من جميع الجهات لولا تلك الشعلة التي يحملها

الحارس لكانوا قد تعثروا في تلك الدرجات بالفعل، وربما فقدوا حياتهم جراء ذلك؛ حيث يحف الدرجات من الجهتين حافة تؤدي للسقوط فورا لنهاية دامية؛ فالارتفاع شاهق كما أن الظلام يدمسها تماما.

"سمو الأمير، ربما من الأفضل أن أحضره لك عوضا عن نزولك للزنزانات المخفية".

"كلا، أريد أن يكون أمره سريّاً بقدر الإمكان"

وصل الحارس وجوزيف لأرضية صلبة مستوية، أخيرا بعد عديدٍ من الدرجات غير الآمنة، سارا في بضعة طرق متفرعة حتى وصلا لتلك الزنزانة المنشودة.

"لماذا لا تضيء الشعلة بجانب الزنزانة؟" تساءل جوزيف بغضب،

"سموك أخبرتني لتوك أنك تريد السرية التامة".

"لا دخل للسرية التامة بعدم رؤيته أي شيء، فهو بالفعل في مكان منعزل للغاية، يستحيل إيجاده، أضئ الشعلة بجانبه فورا واحرص على أن تظل كذلك"

"أمر، سموك!"

انصاع الحارس لأمر جوزيف وأضاء الشعلة، ثم وضعها على الحامل الخاص بها بجوار الزنزانة، طوال ذلك الوقت لم يرَ جوزيف أيةً حركة لم يسمع حتى كلمةً أو صوتاً، لم يوجد سوى أصوات أنفاس خفيفة للغاية، حتى ذلك شك في أنه قد سمعه حقا، واشتم رائحة سيئة تنم عن الافتقار للنظافة، أخذ جوزيف الشعلة الأخرى من الحارس واقترب بها من الزنزانة، ليجد رجلًا يبدو عليه الهزال يجلس مستندا للحائط، لم يكن واضحا للغاية؛ فما زال الظلام يحيط بأغلب هيئته على الرغم من ضوء الشعلة، لكن جوزيف استطاع أن يلمح لحيته النامية وشعره الطويل الذي يغطي كتفيه، عيناه مغمضتان كما لو أنه نائم يحلم، حاول جوزيف أن يرى ملامحه بشكل أوضح لكنه لم يوفق؛ فهيئة الرجل وجلسته تلك لم تساعداه على ذلك، ولكن جوزيف لشدة الغرابة شعر بالألفة تجاهه، كما لو كان ذلك الرجل يذكره بأيام ما سعيدة مضت منذ دهور.

"أنت، استيقظ!"

تحدث جوزيف، فتح الرجل عينيه موجها إياهما نحو جوزيف، تساءل جوزيف:

"هل لك اسم يمكنني أن أدعوك به؟"

"يمكنك أن تدعوني بالسجين"

أجاب الرجل بصوت هادئ للغاية، شعر جوزيف ببعض الحيرة من إجابة الرجل وهدوء صوته، ثم لماذا السجين، يذكر حينما سمع عنه للمرة الأولى من أحد العلماء لديه، حينما تحدث عن ذلك السجين الغريب الذي استطاع شفاء بعضٍ بطرق مذهلة، كما لو كان معجزة على الأرض، لم يضع جوزيف الأمر في باله بصورة كبيرة في البداية، لكن مع مرور الوقت وعدم التوصل لعلاج فعلي، صار يريد التشبث بأي أمل يجده، اتهم بعضٌ ذلك الرجل بالسحر والدجل، فقد دارت الشائعات حول السجين بأنه يستخدم السحر الأسود؛ لذلك فقد صار سجيناً أو هذا ما قيل لجوزيف، لكن جوزيف لم يهتم وعزم على إيجاده وبالفعل استطاع جنوده فعل ذلك لكن بصعوبة، فلم يكن إيجاد سجين كهذا في القارة المجمدة بالأمر الهين، عوضا عن ذلك الموافقة على إرساله لـ(ليس الكبرى) بناء على طلب الأمير جوزيف، لم يؤمن جوزيف حقا بالسحر والشعوذة، لكن بعد كل تلك السنوات، لم يبدُ أن المنطق مجدٍ للغاية، فهذا المرض مستتب الجذور بشكل غير طبيعي، كأنه روح ملعونة ترفض الرحيل بأي بشكل يذُكر، تساءل جوزيف:

"لماذا السجين؟ لماذا ليس الحكيم؟ الساحر؟"

"إنها الحالة الوحيدة التي ستراني عليها"

أجاب السجين بهدوئه السابق نفسه، أصابت الإجابة جوزيف بمزيد من الحيرة، فمَ الذي يعنيه ذاك الرجل بهذا؟!

"ماذا تعني؟"

"احتمالات كثيرة، احتمالات لا تنتهي لما أعنيه، لكن الهام الآن هو ما الذي تريده مني أيها الأمير؟ ما الذي قد يريده أمير ذو صيت وبلاد تحت إمرته من رجل أصابه الهزال والعفن مثلي؟!»

وقف السجين وتساءل، بينما هو يقترب من باب الزنزانة، لمح جوزيف ملامحه بصورة أكبر الآن، فاحت منه رائحة سيئة حقا، ولم يبدُ حينها هزيلا لذاك الحد، كان يرتدي سروالًا ورداءً يصل حتى منتصف ذراعيه، بدا شعره طويلًا حقا، ذو لون أسود يخفي أذنيه، وكذلك لحيته بدت أطول، لديه عيون رمادية غريبة الشكل قليلا، تحدث جوزيف:

"لابد أن شخصًا يتحاكى جميع الناس عن قدراته عن إيجاد علاج للأمراض مثلك قد سمع بمرض يسمى بالمرض الأزرق"

"ما علاقة ذلك بما تريده أيها الأمير؟"

"ما أريده هو علاج لذلك المرض!"

أجاب جوزيف بنبرة حازمة، هز السجين رأسه ثم تحدث:

"هذا ما تحسب أنك تريده، لكنه ليس كذلك"

شعر جوزيف بالتعجب والغيظ من ذلك الرجل، أيحاول المماطلة فحسب أم شيئاً آخر؟!

"لن تدري ما أريده أكثر مني يا هذا!" أجاب جوزيف ببعض الغضب، تحدث السجين:

"سأكون كريما معك أيها الأمير، سأعطيك شيئين نصيحة وأمنية وبمقدار تحقق أمنيتك ستدرك كم كانت نصيحتي هامة، ثم سأرحل من حياتك، لكن يجب أن تكون أمنيتك شيئا تريده حقا»

يبدو أنه بالفعل دجال كما يطلقون عليه، فما هذا الهراء؟! تساءل جوزيف لكنه قرر إكمال هذه المسرحية السخيفة ومعرفة نهايتها، أجاب جوزيف:

"أريد علاجًا لإنهاء المرض الأزرق تماما!" ابتسم السجين للمرة الأولى قليلا ثم قال:

"مازالتَ لا تبوح بما تريده حقا أيها الأمير." سكت السجين قليلا ثم أكمل:

"قد كان فتى صالحًا حقا، شعر أسود، عيون زرقاء تشبه عيون والدته، ذو ذكاء حاد، لم يرد سوى الإصلاح والمعرفة،

مبتسم دوما، يهدي والدته زهرة زرقاء كل يوم حتى مع اقتراب نهاية الدرب، لم ينسَها أبدا، وعلى الرغم من اختفاء النضارة والحياة تدريجيا ظلت الابتسامة."

تخشب جوزيف لما سمعه لتوه، وشعر أن عينه ستخونه وتسقط ما تجمع بها، ولكنه تمالك نفسه وأخذ نفسا عميقا بهدوء مغلقا عينيه، كيف لذلك الرجل أن يعلم بشأن ابنه، أيعقل أن أحد حراس جوزيف تحدث أمامه أم أنه يعلم حقا بأمور السحر؟ بدأ مسار أفكار وتساؤلات جوزيف يتغير حيال ما يقوله ذاك الرجل، أيعني بذاك الكلام أن جوزيف لا يريد حقا إيجاد علاج، بل يريد أن يكون ابنه برفقته أو حتى أن يرى ابنه مجددا، ولو لوهلة، لوهلة قصيرة فحسب، كم يتمنى سماعه ورؤيته! يتمنى ذلك أكثر من أي شيء آخر، همَّ جوزيف بنسيان كل شيء! همَّ بالتفوه بما يريده حقا! وهو يتخيل لقاءه بطفله مجددا، لكنه لا يدرك كيف توقف، توقف وهو يفكر في أن ما أراده ابنه أهم مما يريده هو، وما أراده ابنه هو علاج المرض الأزرق، صمت جوزيف لوهلة ثم أردف:

"لقد أخبرتك بما أريده بالفعل، لكنني أدرك جيدا أنك تريد شيئا في المقابل لتساعدني على إيجاد علاج للمرض الأزرق، يمكنني إعطاءك أي شيء تطلبه"

عم الصمت لفترة حتى أجاب السجين:

"كلا لا يمكنك"

بدا الاستياء على الحارس وهم بالاقتراب من السجين:

"فلتتحدث مع سموه بنبرة أفضل!"

أوقفه جوزيف سريعا وأمره بالابتعاد لبعض الوقت ثم أردف:

"سمِّ ما تريده فحسب، وسأحرص على أن تحصل عليه»

"إن كنت قد أعدت طفلك للحياة لحسبت ذلك، لكنك لا تستطيع إعادة الموتى يا سمو الأمير، إذن فلا يمكنك إعطائي ما أريد».

ربما قد فقد شخصًا عزيزًا وشعر باليائس بسبب ذلك كالمريض الذي قابله صباحا، فكر جوزيف قائلا:

"إنك محق لا يمكنني إعادة الموتى، لكن يمكنني منع موت آلاف آخرين؛ بمساعدتك يمكننا القضاء على المرض الأزرق! بمساعدتك لن يضطر كثيرون لفقدان أحبائهم والمعاناة من ذلك الألم أبد الدهر!"

"ما أدراك أن عدم موتهم هو الصواب؟!"

تساءل السجين، بينما شعر جوزيف بأن هذا السجين غير مفهوم حقا، ما الذي يعنيه؟

"ما تقوله يختلف مع طلبك السابق!"

"وما أدراك يا سمو الأمير أن ما أريده هو الصواب؟!"

هذا ليس وقتاً للألغاز، فكر جوزيف! ما مغزاه مما يفعل الآن؟ لابد أن هناك شيئا ما يريد الوصول له من وراء كل تلك الأسئلة!

"فسر ما تعنيه، إلامَ تريد الوصول بالتحديد؟!"

"ليس كل شيء كما يبدو أيها الأمير، ترى الأمر بصورة، ويراه غيرك بأخرى، ولكن ما الحقيقة؟»

"ربما أقتنع بالحقيقة التي تراها أنت، لمَ لا تطلعني عليها؟» حاول جوزيف مجاراته عله يدرك ما ذلك الرجل يعنيه، "الحقيقة أنه لا يوجد ما يدعى بالحقيقة، فهي ليست سوى صورة رسمتها مخيلة كل شخص بشكل مختلف، وفي النهاية هي ليست سوى وهم، سراب»..

اللعنة! يصعب فهم هذا الرجل حقا، حاول جوزيف مسايرته، لكنه يزيد الأمر صعوبة فحسب.

"ربما، لكن ما الحقيقة حيال شخص يستطيع معالجة أطفال وإعادة السعادة والأمل لوالديهم، إبقاء أمهات على قيد الحياة لكي لا يكبر أطفالهن وهم لم يشعروا بحنان الأم أبدا، إنقاذ أبٍ كي لا يصعب حال أسرته من بعده، أخ، أخت، صديق، زوجة.. وغيرهم ليس عليهم أن يموتوا، وذلك الشخص يرفض فحسب، لأنه يرى أن عدم إنقاذهم هو الصواب، أخبرني ما حقيقة هذا الشخص في مخيلتي أو في مخيلة أي شخص آخر؟!»

تحكم جوزيف بغضبه الذي كان على وشك الاشتعال من ذلك السجين الذي لا يوضح أي شيء بحديثه، عمَّ الصمت مجددا، تساءل جوزيف شاعرا ببعض السخرية:

"إن كنت ترى أن علاج المرض الأزرق ليس ما أتمناه حقا، فما نصيحتك التي بمقدار تحقق أمنيتي سأدرك أهميتها؟! ابتسم السجين للمرة الثانية مردفا:

"ركز على ما تملك أيها الأمير، وليس على ما فقدت، فالموت يشغل البشر بما فقدوا حتى يسرق ما تبقى لهم، تلك هي نصيحتي لك".

***

'ففي النهاية تو فت هي بينما استمر رت أنا بالحيا ة وكا نت هي من تشا ركني أيام ها الأخي رة ولست أنا من أشار كها أيا

مي الأخيرة".

لم يتوقف صدى تلك الجملة عن الرنين بعقله وصدى جملة أخرى، جملة أشعرته بثقل جمٍّ يجتاح قلبه، لم يحسب أبدا أن بعد وفاة ابنه سيؤثر به أي خبر، لكن تلك الجملة كانت أشبه بالصاعقة لكيانه:

"سمو الأمير، أنا آسف، لقد تأكدت، وبهذه الورقة الأعراض التي تشكو سموها منها، أخشى أن سمو الأميرة جودي قد أصُيبت بالمرض الأزرق". دارت بخلد جوزيف تلك الذكرى وهو ينظر للمرة الخمسين للأعراض المكتوبة بالورقة التي يحملها بين يديه في أثناء جلوسه خلف مكتبه، أغمض عينيه وهو يشعر بصدره يشتعل غضبا، لم يشعر بنفسه وهو يكوم الورقة بين يديه الثائرتين، ثم بعزم ما لديه يصدمهما بالمكتب وهو يسب ويلعن دون صوت، تنهد شاعرا بقلبه يحترق وبقواه تخور، اللعنة لا يمكن أن يحدث ذلك، فتح عينيه ليجد أمامه آخر شخص يتوقعه أو بالأحرى لا يريد أن يتوقعه، يقف أمام مكتب جوزيف ناظرا له ولما فعله جوزيف منذ ثوان، منذ متى يقف هنا؟ ولماذا أتى؟ فكر جوزيف بسخط متذكرا صورة الفتاة الباكية بحُرقة ثم تساءل بصوت هادئ:

"لمَ أنت هنا؟ حسبت أني أخبرتك أني لا أريد رؤيتك مجددا"

"هذه أرضي كما هي أرضك، يمكنني أن آتي وقتما أريد"

حقا لا يريد جوزيف إطالة ذلك الحديث.

"إنها أرضك يمكنك المجيء إليها، ولكن لا مكان لك بجواري، لن أكرر حديثي لا أريد رؤيتك مجددا"

"هل تحسب أني أتيت لهنا لأخبرك أني أتوق لمغفرتك أو أريد أن أصير بجوارك؟!"

"لا أريد سماع المزيد يا "بودير"..

حاول جوزيف إنهاء المحادثة لكن «بودير» قاطعه:

"لقد أتيت لتحذيرك! تحذيرك من جنودك، من المحيطين بك، هناك كثيرٌ من الجواسيس يحيطونك وهناك من يتربصون بك ظنا منهم أنك ستطالب بالحكم إذا أصاب عمي مكروهًا، جئت بنفسي من العاصمة الأم لفعل ذلك فقد علمت أن أي خطاب سأبعثه على الأغلب لن تتكبد عناء قراءته، وربما يعرف بفحواه أحد الجواسيس الذين أخبرتك عنهم، ولعلمي أنك لم تعد تهتم لأي شيء سوى لعلاج المرض الأزرق وبسبب ذلك لا تدري حقا ماهية المحيطين بك!»

بدا القلق على ملامح «بودير»، وقف جوزيف واستدار لينظر من النافذة.

"جوزيف، دعني أحِطك بجنودي، إنهم ذو ولاء عالٍ ولن يقوموا بخيانتك أبدا"

سحقا له ولجنوده، بالطبع سيكونون ذوي ولاء عالٍ؛ ف»بودير» يجندهم منذ الطفولة، تحدث جوزيف بهدوء وهو لا ينظر لأخيه:

""بودير" لا أريد جنودك، أريدك أن ترحل"

لكن «بودير» لم يجِبه، توقع جوزيف أن يهم أخوه بالرحيل، لكنه لم يسمع كذلك صوت خطواته وهي تبتعد، استدار جوزيف ليجد أخوه يمسك بالورقة المكومة على المكتب وينظر لما كُتب فيها بعيون واسعة، كيف يجرؤ؟!

"جوزيف، أما كُتب هنا صحيح؟! أجودي مصابة بالمرض الأزرق؟!»

شعر جوزيف بالغضب يغزوه وبنبرة صوته تعلو:

"لا دخل لك بذلك أو بأي شيء يخصني؛ لقد أخبرتك أن ترحل وهذه المرة تذكر أني لا أريد رؤيتك مجددا!"

احتدت ملامح «بودير» وهو يرمي الورقة على المكتب، هم بالرحيل لولا استئذان حارس بالدخول سريعا تعلو وجهه نظرة

هلع، أردف الحارس بصدمة:

"سمو الأمير، لقد توفي الملك!"

***

[6]

درب قاحل

أبي، أبي يحملني ويركض بي وسط الورداتِ.

أبي، أبي يغني لي ويسألني من هي فتاتي.

أبي، أبي رحل الآن ولم يعد منه سوى رفاتِ.

أبي، أبي رحل وهو يكرر: أحبك يا فتاتي.

أغنية جميلة هي لكنها حزينة، فكرت ليليس وهي تنظر لتلك الفتاة الصغيرة التي تغنيها، يبدو أن الفتاة أصغر من أن تدرك معنى تلك الأغنية؛ فقد كانت تقفز في دوائر بين صديقاتها ضاحكة كما لو أنها أغنية عن العيد، على الرغم من ذلك، لم تشعر ليليس فعليا بالحزن لسماع الأغنية؛ فكيف تحزن لفقدان ما لم تملك هي، لم تعرف ما الأب، سمعت عنه فحسب، كل تلك الأغاني عن الآباء والإخوة والأسرة لا تفهمها حقا، فقط ما يدور منها حول الأمهات وعطفهن وحبهن الجمِّ لأطفالهن، والدتها كانت الشخص الوحيد الذي أحبته حقا في حياتها أو بمعنى أصح، الشخص الوحيد الذي أحبها في حياتها، فكرت في ذلك ووجدت نفسها لا شعوريا تضع الكتاب الذي أمامها جانبا، ثم تخرج مرآة والدتها من حقيبتها وتقلبها بين أناملها

مبتسمة بحزن، ثم تعيدها مرة أخرى للحقيبة، وتعاود الإمساك بالكتاب، ذكرها الكتاب بالمعلم ران، وشعرت أنه هو أيضا مهم للغاية بالنسبة لها بالطبع ليس كوالدتها، لكنها تحبه حقا من كل قلبها؛ فقد انتشلها من حياتها السابقة كما أنه لطيف دوما، في بعض الأحيان كانت تشعر أنه بمثابة الأب الروحي لها، لكن ترى هل تعني له مقدار ذرة مما يعني هو لها؟ فكرت لوهلة لا يهم حقا! ألا يكفي أنها جزء من حياته؟! حتى لو كانت جزءًا ضئيلًا للغاية، ولكن ذلك كافٍ للغاية بالنسبة لها، فربما هي حتى لا تستحق ذلك، ودت ليليس حقا أن تسعده بأيةً طريقة، تمنت لو استطاعت جلب مقر الحالمين إليه؛ فهي تشعر أن شغفه حيال ذلك الأمر يزداد كل يوم عن الآخر، تمنت على أقل تقدير جعله يستطيع تأجير غرف أفضل خلال الرحلة، حيث إنها سمعته يتذمر من قبل حيال الغرف التي تكفي أمواله لتأجيرها. سمعت ليليس صوت شجار على وشك الحدوث، لكن الحراس سريعا ما أخمدوه قبل أن يبدأ، لا تدرِ لماذا الناس في المملكة الغربية سريعي الغضب والشجار بهذا الشكل، تكاد تقسم أن لولا إتمام الحراس لمهمتهم بشكل جيد في الحرص على عدم حدوث مشاجرات، لانقلبت المملكة الغربية لساحة قتال بلا توقف حتى يموت كل من بها، على الرغم من كل هذا إلا أن المملكة الغربية تعتبر علميا من أكثر بقاع الأرض خصوبة وحياة، أمر غريب أن سكانها بهذا الشكل المناقض تماما لها، ابعدت ليليس نظرها عن الكتاب الذي تحمله وأخذت تتأمل جمال عاصمة (ليس الكبرى) لم يعكر صفو هذا الجمال سوى الأعلام السوداء التي وجدتها منتشرة

في المدينة عند وصولهم؛ للتعبير عن الحزن لموت الملك، لكن ذلك مازال غير كافٍ لإخفاء جمال المدينة، فقد كانت من أجمل المدن التي رأتها ليليس بأزهارها الحمراء المنتشرة حتى في أضيق أركانها، لمحت هنا كذلك شيئا لم ترَه في هذه البلاد وعهدته في شبه جزيرة لونا فحسب، وهو وجود بساتين بأكملها تتكون من الزهور الزرقاء فحسب، كانت عاصمة (ليس الكبرى) ذات طرق واسعة، وبيوت تتسم بالبساطة، وأغلبها متشابه ولكن تختلف في أحجامها، لم يتسنَّ لها سوى رؤية جزء ضئيل للغاية من المدينة، فهي كبيرة حقا، إذا كانت (ليس الكبرى) تشغل حوالي منتصف المملكة الشرقية، وتلك هي عاصمتها فحسب، فما إذن حجم (ليس الكبرى) بأكملها؟ يحكمها أبناء أخ الملك الراحل: الأمير جوزيف وأخيه الأصغر الأمير «بودير»، سوى أن ما اكتشفته عند وصولها للمدينة هو أن الأمير جوزيف هو حقا من يحكم ويهتم بما يخص شعب (ليس الكبرى) وما يخص السياسات، بينما الأمير «بودير» هو المسؤول عن الجيش هنا، حيث إن (ليس الكبرى) لها جيشها الخاص، لكن يبدو أن الأخين، أو بمعنى أصح الأمير جوزيف لديه اهتمامات مختلفة عن أغلب الموجودين بهذه الأرض، فليس الكبرى مشهورة بأن بها أكبر مستشفى لرعاية المصابين بالمرض الأزرق، كذلك سمعت أن ذاك الأمير يستعين بحكماء وعلماء من مختلف الأماكن لإيجاد علاج للمرض الأزرق، وبالفعل استطاع هؤلاء العلماء الوصول لبعض اللقاحات التي تؤخر الأعراض، أو تداوي الآلام قليلا، لكن علاجا فعليّاً للمرض، لم يستطيعوا التوصل لذلك، وهذا بعد ما يقارب

عشرة أعوام من البحث والتجارب المستمرة، لا تذكر ليليس أن ما قرأته في التاريخ يبدي أن باستثناء القليلين لم يهتم أحد حقا لعلاج ذلك المرض؛ فقد تيقنوا أنه نتج بسبب مخالفة قانون المرايا عند ظهورها للمرة الأولى، فهو غير قابل للعلاج، حيث إن بعد ظهور المرايا للمرة الأولى رفض الشعبين الانصياع لأوامرها والتخلي عن أطفالهم، وتسبب ذلك في انتشار المرض الأزرق دون أن ينبع من سبب مادي معروف، ظهر فحسب ومنذ ذلك الحين، وهو في منظور الشعبين مشابه للعنة المرايا، شيء غير قابل للزوال، على الرغم من احترام ليليس لإصرار ذلك الأمير إلا أنها أخذت تتخيل ما قد يتسبب به وجود عدد كبير من الموتى في مكان واحد، فذلك قد يتسبب بوباء آخر، يبدو أن الأمير اتخذ احتياطات ضد ذلك، بوضع المقابر بعيدا وكذلك المستشفى، وربما حتى حرق الجثث أحيانا إن ازدادت بصورة غير عادية عن المعدل الطبيعي وغيرها من الأمور، لكن يبدو حقا أنه الوحيد الذي يكترث بالمرض أو بعلاجه أو بعدم تفشي وباء آخر بسبب وفياته، فماذا قد يحدث إن لم تعد زمام الأمور بيد ذلك الأمير في هذا المكان؟! غرقت ليليس في أفكارها كالعادة ونسيت الموجودات من حولها حتى اخترق أذنها صوت لطيف مبحوح بعض الشيء:

"إذن ما رأيك؟"

نظرت باتجاه الصوت لتجد فتى في طولها نفسه وتبدو عليه النحافة، ذو شعر قرمزي متوسط الطول ومبعثر للغاية، وعيون

باللون نفسه ووجه وسيم، يرتدي ملابس مرقعة بعض الشيء ويبتسم لها ابتسامة واسعة تظُهر أن أحد أسنانه الأمامية مكسورة، كان يجلس بجانبها الآن، ويبدو أنه ينتظر إجابة ما، حيال ماذا؟ لا تدري، حركت ليليس رأسها بغير فهم وتساءلت عمَّ يريده ذاك الفتى، أغرضه مشابه لغرض الفتى ثعبان البحر وسيظل يتغزل في جمالها كي يحاول الوصول لهدف قذر؟

"سيدتي، إنها صفقة مربحة للغاية، لم أعرضها على أي شخص من قبل ولكنك سعيدة الحظ»

زاد عدم فهم ليليس وأردفت ببلاهة:

"صفقة؟!"

نظر الفتى حوله سريعا كما لو أنه يخشى أن شخصا ما يراقبه، ثم خلع حذائه في لمح البصر ليخرج منه شيئا، اشتمت ليليس رائحة منعت نفسها بالكاد من التقيؤ من فرط بشاعتها، أمسك الفتى بشيء أخرجه من حذائه، ارتدى حذائه مجددا ثم نظر لها مردفا:

"معذرة على الرائحة يا سيدتي، فأنا لا أغسل قدمي سوى مرة في العام"

أرادات ليليس المعلم أن يحضر حقا في هذه اللحظة لينتشلها

من هذا الموقف، فبدون قدومه لا تستطيع المغادرة؛ فقد أمرها أن تلزم تلك البقعة ريثما يقوم ببعض الأشياء ويعود كي يستكملا رحلتهما بنهاية اليوم، وها هي تنتظره منذ بعض الوقت برفقة حارسين من الحراس الذين أرسلتهم الأميرة دورسيرا برفقتها، لكن الحارسين ملا من الانتظار ودخلا لحانة مجاورة لحين عودة المعلم التي لم تحن حتى الآن، لم تعترض ليليس على أي من هذا حتى بداخل ذهنها، علمت أن تأخر المعلم بالتأكيد له أسبابه المقنعة، وليس لها أي حق بسؤاله حتى عن تلك الأسباب؛ لكنها أرادت أن يحضر الآن ليتركها ذلك الفتى لشأنها فحسب. رأت الفتى ينظر حوله سريعا مجددا ثم كشف عما يوجد بقبضته، كانت قلادة ذهبية بهية الهيئة، تزينها جوهرة خضراء اللون، أعطاها لليليس لتتفحصها، كانت جميلة بلا شك.

"بعشرين عملة فقط، لن تجدي أبدا قلادة كهذه بهذا السعر، وانظري كذلك إنها تليق بلون عيناك، لا نرى ألوان عيون كهذه هنا، الأميرة جودي هي فحسب من تمتلك عيون مختلفة عنا، أأنت من شبه الجزيرة مثلها؟" تساءل الفتى.

"أجل، لكن أجدادي كانوا ينتمون لهذه القارة"

"حقا؟ أنا كذلك، قيل لي أن أحد أجدادي كان من شبه الجزيرة»

أردف بها الفتى مبتسما، بدا بشوشًا لكن ليليس لم ترد إطالة الحديث:

"لا يمكنني شراءها؛ فأنا لا أملك ذلك المبلغ"

أردفت ليليس شاعرة ببعض الحزن، فقد أعجبتها القلادة حقا، كانت ستعجب المعلم بلا شك لكنها مع الأسف لا تستطيع تحمل سعرها:

"حسنا، كم يمكنك الدفع؟"

نظرت ليليس للأموال الموجودة في حقيبتها ‹إحدى عشرة عملة› منها خمسة فقط ملك لها، أردفت بخيبة أمل:

"خمس عملات"

"هذا أقل بكثير من سعرها، أتعلمين إذا استطعت دفع ثلاثة عشر فالقلادة ملك لك"

فكرت ليليس بعض الشيء، تلك أموال المعلم فهل لها الحق حتى في التفكير في استعمالها؟!

"أتعلمين إذا بعت تلك لأي من محلات الجواهر، فقد يصل سعرها لثلاثون عملة، كنت لأفعل ذلك لكنني لا أملك الوقت»

فكرت ليليس إذا اشترتها الآن، ثم قامت ببيعها سيكون الفائض كبيرا، وهذا سُيمكن المعلم من تأجير غرف أفضل في أثناء الرحلة، وهذا سيسعده بالتأكيد سيسعده، تنهدت ثم أخرجت الأموال من حقيبتها:

"هذا كل ما أملك" ضيق الفتى فمه ثم أردف:

"حسنا، لا بأس، صفقة مقبولة"

أعطاها الفتى القلادة وأخذ الأموال وهو يمد يده لمصافحتها:

"سررت بالتعامل معك، أدعى آياز"

"أنا ليليس"

صافحته ليليس مبتسمة، بينما كان الفتى على وشك الانصراف سمعت ليليس ذلك الصوت المنادي باسمها، نظرت لتجده المعلم يرافقه الحارسان الآخران من حراس الأميرة دورسيرا غير الموجودين في الحانة، حيث إن الأميرة بعثت برفقتهم أربعة حراس، كان يسير إلى جانبهم حارس آخر يبدو أنه من حراس المدينة، أشارت ليليس للمعلم بسعادة، لكنها لمحت نظرة غريبة من حارس المدينة باتجاهها، وسمعت صوت الفتى آياز بجانبها يردف بتوتر:

"اللعنة"

هرع الفتى من جانبها مسقطا حقيبتها دون عمد.

"أنت يا فتي توقف مكانك حالا"

سمعت ليليس حارس المدينة يصرخ بقوة، حينها فقط وجدت الفتى يركض بأسرع ما لديه مبتعدا، ركض الحارس سريعا خلف الفتى وقبل أن تدري كان كلاهما قد اختفيا بعيدا، شعرت ليليس بالحيرة مجددا، فماذا قد يكون فعله فتى بتلك الحالة ليتم مطاردته بتلك الحدة؟!

"ليليس، هل أنت بخير؟"

تساءل المعلم وهو يقف بجوارها، أومأت ليليس له ثم همت برفع الحقيبة لتجد كل محتوياتها قد فرُغت أرضا، قامت ليليس بتجميعها سريعا، لكنها توقفت فجأة شاعرة بقلبها يتوقف، وبأطرافها تتجمد وهي تنظر لتلك الأجزاء الصغيرة المكسورة منتظمة إلى جانب بعضها بعضًا لتريها وجهها عدة مرات، وجهها وهي تنظر لمرآة والدتها المهشمة.

***

أجمل ما بتلك المدينة ضحكاتها سواء ليلا أو نهارا،

والسعادة التي تبدو محيطة بها بطريقة غريبة حتى مع وجود هالة المرض الأزرق، سارت ليليس ليلا وسط كل تلك الضحكات والابتسامات، وهي تشعر أن كل ذلك ما هو إلا لوحة مرسومة تنظر لها نظرة عابرة ومع الأسف، لا تشعُرها بأي شيء، تلقي نظرة أو اثنتين في أثناء سيرها على هؤلاء الأطفال الذين يقفزون بمرح أو هذين العاشقين اللذين يهيمان ببعضهما بعضا حبا ثم تعيد نظرها للأرض مجددا، أرادت الإسراع بإتمام ما خرجت من أجله دون إخبار أحد، لكن على الرغم من ذلك، أرادت نسيان كل شيء والسير دون وجهة فحسب، لم تدرِ لماذا شعرت بأن قلبها يعتصر حزنا لفقدان تلك المرآة، كانت تذكرها بوالدتها، لكن والدتها رحلت منذ زمن، ربما أوهمت نفسها فحسب أن جزءًا من والدتها مازال برفقتها لحوزتها تلك المرآة، لم تستحقها، لم تستحق إبقائها إن لم تستطع الحفاظ عليها، أخيرا وصلت لذاك المتجر ‹متجر الحُلي› همت بالدخول لكنها نظرت للطرق حولها نظرة خاطفة ورأتها، رأت والدتها، بشعرها الأحمر المموج الطويل، وابتسامتها الحنونة، ترتدي فستاناً أرجوانيّ اللون بسيطًا للغاية، لكنه ساحر بأكمامه الطويلة والزركشة الموجودة في نهايته، كانت تلاعب طفلتها الصغيرة الملقبة بليليس، يبدو أن تلك الطفلة على وشك إتمام عامها السادس، بين كل الضحكات التي رأتها ليليس، لكنها لم تشعر بها، كانت تلك هي السعادة الوحيدة التي أدركتها، رأت الابنة ووالدتها يسيران باتجاهها ويبتسمان لها، ثم مرا من جانبها مكملتا طريقهما، استدارت ليليس ناظرة لهما تبتعدان، رأتهما بملامحهما الحقيقية وشعرهما الأسود

وعيونهما الحمراء، رأت أمًّا وطفلتها تسيران سعيدتين وليس مرآة لذكريتها.

تنهدت ليليس واستدارت عائدة لمدخل المتجر، جلس هناك رجل يبدو في أعوامه الثمانين ذا شعر ولحية بيضاء، بعيون حمراء وبشرة مجعدة تحتلها بعض البثور البنية بفعل كبر السن، كان معتدل الطول، لكن ظهره أصابه بعض الانحناء، بدين بعض الشيء يرتدي ملابس منمقة، رأت كذلك بالمتجر فتى في العشرين يكتب شيئا ما على أوراق أمامه، ملامحه تشبه ملامح الرجل الكبير كثيرا، استشفت ليليس أن ذلك الفتى قد يكون ابن أو حفيد الرجل الكبير.

"كيف يمكنني خدمتك؟"

تساءل الشاب العشريني ناظرا لليليس فأخرجت القلادة الذهبية من حقيبتها واضعة إياها أمامه:

"من فضلك، أود بيعها" تفحصها الرجل قليلا ثم أردف:

إن هذه خردة مطلية بلون ذهبي ليس إلا»..

صُدمت ليليس:

"ماذا؟!"

شرع الفتى في شرح الأمر لها لكنها لا تسمع شيئا على الإطلاق، فقد غرقت في أفكارها المرتعبة، ما معنى أن الحُلي خردة؟! ما معنى أنهم لا يستطيعون شراءها؟! معناه أمر واحد فقط، وهو أنها لم تفقد الشيء المتبقي لها من والدتها فحسب، بل ربما فقدت للأبد الأمل في أن تظل بجوار المعلم مساعدة له ولا تعود لحياتها السابقة.

"كما أخبرك، إنها لا قيمة لها، زينة لبضعة أيام ثم تبلى ويذهب لونها»

ظلت ليليس صامتة فحسب ثم أجابت وهي تنظر أرضا بعيون خاوية وصوت هامس:

"حسنا، أشكرك للغاية"

ثم اتجهت لخارج المتجر عائدة لأدراجها مفكرة في كم فعل خاطئ ارتكبته حتى الآن، بينما شعرت بالدموع تتجمع في مقلتيها، تخطى الوقت المسموح بتواجد المسافرين فيه ليلا على سطح السفينة عند سفرهما، كونها كادت تتسبب للمعلم بمشكلات بسبب ما كان سيفعله الفتى الثعبان لها، التأخر على المعلم، إشعار المعلم بأنه ذو قدر قليل أمام الحراس لأنها مساعدته، إضاعة أحد الرداءين اللذين أهداها إياهما المعلم والتسبب في بلاء الآخر، فكرت بذلك وهي تنظر لأكمام ردائها الأرجواني، والآن، أضاعت الأموال التي تركها المعلم

بحوزتها وخرجت دون إذنه، لماذا هي بذلك الغباء؟ إنها حقا تكره نفسها، ربما هي بالفعل تستحق حياة رديئة، ربما لم تستحق أن تكون مساعدة المعلم أبدا. لم تدرِ متى وصلت للمكان الذي استأجر المعلم فيه غرفاً لهم، لم تهتم في الواقع، صعدت السلم ببطء ووقفت أمام باب غرفة المعلم، تنهدت مستجمعة قواها ثم طرقت على الباب، لم يمر وقت طويل حتى فتح العالم ران الباب، كان حافي القدمين يرتدي رداءه المعتاد، لكنه بدى غير مهندم، يبدو أنه كان مستغرقاً في القراءة أو الكتابة، لا تدري، نظر لها بغير فهم، كانت عينا ليليس موجهتان للأرض لم تجرؤ أن ترفعهما لوجهه، ثم قالت بالصوت الهامس نفسه:

"أعتذر أيها المعلم ران"..

***

اختفت المساحات الخضراء، الأشخاص الضاحكون، الابتسامات المشعة، الأعلام السوداء الشجارات المستمرة، النهر، الأزهار الزرقاء، لم يعد هناك وجود لذاك اللون، حتى في السماء الزرقاء أعلاهم، حتى الصبية المخادعين ذوي الشعر القرمزي والصوت المبحوح اللطيف اختفوا، لم يعد هناك وجود سوى لذاك الدرب القاحل الذي ساروا فيه، تحملهم إحدى العربات التي تجرها الأحصنة، استأجرها المعلم حتى يصلوا لوجهتهم بصورة أقل تكلفة من خطة رحلة السفر

الأساسية، قرر ذلك بعد مصارحة ليليس بما فعلته، في الواقع هو لم ينبس ببنت شفة لها منذ تلك المصارحة، قد علمت بقراره من أحد الحراس الذي أوضح لها أنهم سيعبرون الدرب القاحل، ومنه سيصلون لمدينة (لوستيا) التي تعتبر الأقرب لمقر الحالمين سابقا، عوضا عن خطتهم السابقة في السفر من عاصمة (ليس الكبرى) لقرية (سند) في أقصى الجنوب ثم منها لمقر الحالمين، كانت الرحلتان ستوصلانهم لوجهتهم بالسرعة نفسها تقريبا، لكن الدرب القاحل ثم مدينة لوستيا كان بلا شك أقل تكلفة، لكن أكثر خطورة بعض الشيء، نظرا للحكايات التي سُردت عن ذلك الطريق، أقل ما يقال عنه هو أنه اسم على مسمى؛ فهو ضبابي بالفعل حتى في وضح النهار، لا تدري ليليس كيف، كيف هذا ممكن حتى؟! لكنه كذلك، قرأت أنه الطريق الذي عبره إخوة الظل بعد تدمر أعدادهم تماما وخسارتهم، بدأ ذلك بعد خسارتهم الأولى في غابة الظل، حيث أقام إخوة الظل هدنة مع الشعبين، وحدث ذلك بزواج ابنة كبير إخوة الظل الملقبة بأندريا من ملك وقائد الشعب الأحمر حينها الملقب بروخو، اتخذ الملك روخو حينها من الجزء الغربي من القارة أراضٍ له ولشعبه وجنوده وكذلك لحلفائه الجدد إخوة الظل، بينما أعطى أراضي الجزء الشرقي لابن صديقه القائد أمار، القائد الذي قتُل في حرب الدمار والأشباح التي كان موقعها غابة الظل.

سارت الأمور على ما يرام لبضعة سنوات، حتى حاول شعب إخوة الظل بتوجيهٍ من أندريا إيقاع الضغينة بين الشعبين

بمكائد لا تنتهي، وكانت تلك هي الشرارة التي أدت لحرب الشعبين ضد بعضهما بعضا لمئات السنين، وكذلك كانت هي بداية النهاية الحتمية لإخوة الظل وإبادتهم عن بكرة أبيهم، حيث إن الأمور سارت على ما يرام بالنسبة لإخوة الظل حتى اللحظة التي ماتت فيها أندريا التي كانت حينها جدة الملك ذي العيون الحمراء، بعد موتها استطاعت ملكة الشعب الأصفر حينها الملقبة بكوري بخداع الملك ذو العيون الحمراء وإغوائه، بل وقلب شعبه ضده وضد حلفائه من إخوة الظل، في النهاية تم اغتيال ذلك الملك من قبل شعبه، كما تم قتل أعداد كبيرة من حلفائه من إخوة الظل وفي ذلك الحين لم تكن أعدادهم كبيرة، فقد أبُاد كثير منهم بالفعل في حرب الدمار والأشباح، مما جعل أعدادهم محدودة، وصاروا فئة مستضعفة ومنبوذة ومهددة بالقتل دوما، لذلك هربوا لأقصى الجنوب بقيادة كبيرهم حينها (دوكتوس) وأخيه (ديابلوس) سالكين هذا الدرب، يقال أنهم لعنوا هذا الطريق بكيفية ما لمنع الشعب الأحمر من اللحاق بهم وقتل المتبقي منهم، بينما يقول بعضٌ أنهم أحرقوا الطريق من خلفهم كي يبعدوا الأعداء عن وجهتهم، آخرون يجزمون أنهم دفنوا أمواتهم على امتداد ذلك الطريق، مما أدى لموت الطريق ذاته وموت أيةً حياة موجودة به، كلها أقاويل لم يتضح أبدا أيها الأصح بافتراض أن إحداها صحيحة وليست جميعها ادعاءات وأكاذيب، لم ترَ ليليس نبتة واحدة على مدار سيرهم، امتلأت الأرض بالرماد لا تعلم إذا كان ذلك بفعل حريق تم بالفعل في هذا الطريق أم أن هذا الرماد ليس سوى أوراق الأشجار التي فقدت نضارتها وذبلت وصارت

خشنة، ثم تحولت بفعل مئات الأعوام لرماد يغطي الأرض، الأشجار المتواجدة على طول الطريق جميعها سوداء ميتة، لكنها بطريقة ما متشابكة من أعلاها لتخفي وجود الشمس بقدر استطاعتها.

بدا الأمر بتلك البساطة، لكن ليليس تكاد تجزم أن شيئا ما خاطئاً في هذا المكان، لم يكن الطريق واسعا، لذا حاولت ليليس أن تبقي رأسها للسماء التي لم ترَ منها سوى نهايات الأشجار المتشابكة، قليل من السماء، وبعضا من الغربان، لم تحاول النظر لجانبي الطريق خاصة في الليل؛ فقد هُيئ لها أكثر من مرة أنها ترى خيالات سوداء لأشخاص يقفون على بعُد ويراقبونها، أحيانا تشعر كأنها تسمع أصوات أشخاص يهمسون وأطفال يبكون، ربما هي تهيؤات فحسب، لكنها تفزعها للغاية، لم تستطع أن تنام حينها بالطبع، ولكن كانت تغمض عينيها بشدة وتأمل أن يصلوا آمنين، في بعض الأحيان تسمع ضحكات الحراس ساخرين منها، ولكن ذلك لم يزل الرعب بداخلها، حتى أنها حينما تشعر ليلا أنها حقا تريد أن تقضي حاجتها تتكوم حول نفسها منتظرة قدوم الصباح أولا، مؤقتا هي لا تعيش في ذلك الرعب، ولكن ذلك لن يطول؛ فقد قررت الشمس أنها ستغادر قريبا وتتركهم وحيدين برفقة خيالاتهم، الخطر الحقيقي لم يكمن في الخيالات بل في الذئاب التي تسكن تلال الجنوب القريبة من ذلك الطريق، ما سمعته من الحراس أن تلك الذئاب قضت على المسافرين عبر الدرب القاحل أكثر من مرة، لم يزدها ذلك الخبر سوى

رعبا، خاصة لسماعها صوت عواء في بعض الليالي، حقا لم ترد أي شيء سوى الخلاص من ذلك الطريق، فكم من الليالي ستحميهم فيها النيران على جانبي الطريق من الذئاب، أو ربما من تلك الخيالات السوداء؟! تساءلت ليليس ولم تحرك عينيها، بل ظلت ناظرة للسماء ولبواقي الشمس، تريد التشبث بها ومنعها من الرحيل، أرادت التحدث للمعلم ولكنها علمت أنه لن يجيبها، بل ولن يوجه بصره إليها حتى؛ بسبب ما فعلته، وله كل الحق في ذلك خاصة أنها تشعر أنه صار مهووسا للغاية بحضارة الحالمين والوصول لأنقاض مقرهم، بل تشعر في بعض الأحيان أنه قد يفعل أي شيء للذهاب لذلك المكان ومعرفة كل ما يخص الحالمين، كان يجلس في مؤخرة العربة يقرأ كتابا ما، يجلس أمامه حارس، بينما تجلس هي بالقرب من المقدمة، وليس بمسافة بعيدة عنها يوجد حارس آخر جالس، يجر العربة حصان يركبه مالك العربة، لديه شارب خفيف ويرتدي ملابس متوسطة الحال، يسير بجانب العربة من الجهة التي تجلس بها ليليس الحارسان الآخران يمتطي كل منهما حصان.

"لم أرَ شخصًا أبله مثله! عن أي حالمين يتحدث؟! ويريد الذهاب لمقرهم؟ أيريد أن تصيبنا لعنة ما؟! هذه ليست سوى مضيعة للوقت والجهد؛ فإما سنعود من هناك خائبي الأيدي وإما ستصيبنا لعنة ما!"

سمعت ليليس أحد الحارسين اللذين يمتطيا حصانين يتفوه

بذلك بصوت خافت، كان قصيرًا بعض الشيء لكنه قوي البنية.

"إنها الأوامر؛ لا نستطيع مخالفتها"

أجابه الآخر الذي بدا أكثر قوة من الآخر؛ حيث إن عضلاته كانت ظاهرة للغاية:

"أتدري ما الأفضل من ذلك كله؟ أن تلك الأوامر مخالفة لأوامر الأمير دومين أم عساي أن أقول الملك دومين، تعلم أن الملك توفي، أتظن أننا سنتلقى وسامًا عند عودتنا؟!"

أردف الحارس القصير بسخرية، ليجيبه الآخر:

"إننا تحت إمرة الأميرة دورسيرا بعد وفاة زوجها الذي كنا تحت إمرته من قبل"

"هذا كله غباء، إننا نعامل كالعبيد ونساق لأسوء الأماكن ومن أجل ماذا؟! عالم أحمق ومساعدته الغبية التي أكاد أجزم أن لها يد ما في تغيير مسار رحلتنا المشؤومة هذه!»

حزنت ليليس لحديثه، لكنه محق تماما؛ فهي السبب في كل ذلك، أكمل الحارس كلامه:

"أقسم لك ستصيبنا لعنة ما، السحر، السحر يا رجل هو السبب في وجود المرايا، ومن أعظم من الحالمين في السحر؟ إخوة الظل هم من أوجدوا المرايا ومن من إخوة الظل لديه السحر لفعل ذلك؟!"

"الحالمين"..

"أجل، لا يهمني إن قيل إنهم كانوا خيرين أم لا، لقد اختفوا في الوقت نفسه هم وإخوة الظل، ألا يبدوا ذلك مريباً؟ والآن نتوجه إليهم بأقدامنا، والأسوأ من ذلك من خلال الدرب القاحل! يا لجرأة هذا الأحمق المدعى ران، عليه اللعنة!"

"يحسب نفسه أحدهم" قالها القوي ضاحكا باستهزاء:

"حقا؟!"

"أجل، يحسب نفسه من نسلهم، الأحمق ظن لرؤيته بعض الأحلام وتحققها أنه صار أحدهم، يحسب أن دماء جد جده الذي وُلد بهذه الأرض تجعله هو المختار الذي سيسترجع قوى الحالمين" قهقه القصير بشدة:

"كيف لك بمعرفة كل هذا؟"

"سمعته يتحدث مع أحد العلماء في عاصمة (ليس

الكبرى)"

"إذن سيسترجع قوى الحالمين لأي غرض؟"

تساءل القصير وبدا أنه بدأ ينساق في موجة الاستهزاء.

"تعلم، كي يجد وسيلة لإحلال السلام، حل مشكلة المرايا، وإيجاد إجابة لحلمه المستمر، شيء ما عن نيران، أسود، أرواح، شخص يرتدي السواد، وفتاة بعينين مختلفة الألوان، تعلم لأن هناك أميرة هجينة الآن صار جميع الناس يحلم بالفتيات ذوي العيون مختلفة الألوان طوال الوقت".

ضحك القصير قائلا:

"أعتقد أن الشيء الوحيد الذي يحاول إيجاد إجابة له هو لماذا لا تقبل به أيةً امرأة"

قهقه الحارسان بصوت عالٍ سمعه كل الموجودين.

لم يمر كثيرٌ من الوقت حتى حل الليل، وقاموا بالتخييم على أحد جانبي الطريق، الهدوء التام هو تماما ما شعرت به ليليس، وهي جالسة بالقرب من النار التي جلس بجوارها أيضا المعلم والحارسان اللذان كانا يركبان العربة من قبل، بينما الأخران وقفا بالقرب من حصانيهما وأخذا يتهامسان، مالك العربة وقف

بالقرب من عربته يضبط شيئا بها، أرادت ليليس التحدث للمعلم والاعتذار له مجددا، لكنها شعرت أنه سيقوم بإحراجها ولن يقبل اعتذارها، تكومت حول نفسها مقربة ركبتيها من صدرها، ثم نظرت للأرض متنهدة، لم يفت كثيرٌ من الوقت حتى ابتعد عنهم أحد الحارسين متجها للخلاء ليقضي حاجته، سمعت ليليس صوت عواء الذئاب، شعرت بأن الصوت قريب مما أشعرها بالذعر الذي بدت آثاره جلية على وجهها، حاول الحارس الذي مازال بجوار النار طمأنتها، ثم طلب منها الذهاب لإخبار مالك العربة أن يقترب من النار ليكون في مأمن، بينما ذهب الحارس نفسه للحارسين الآخرين الواقفين بالقرب من الحصانين، لا تدري ليليس لما كان على مالك العربة أو الحارسان الوقوف بعيدا عن اللهب، نظرت ليليس للعالم منتظرة منه الإذن فلم تجده ينظر لها من الأساس.

"اذهبِي يا فتاة!"

قال الحارس بصوت عالٍ بعض الشيء، فسارت ليليس شاعرة بالحرج، مشت بضعة خطوات، لكنها اشتمت رائحة غريبة في الهواء وشعرت بشيء علق بحذائها، ابعدت قدمها وانحنت قليلا لتمعن النظر فيما وجدته على الأرض، لم تسعفها الرؤية لابتعادها عن النار بعض الشيء، لكن أتلك زهرة؟! زهرة في هذا المكان؟! شعرت بالتعجب حقا رافعة الزهرة لبصرها أكثر، إنها بالفعل زهرة صفراء أو بنية ربما، لم تستطع الرؤية بوضوح، لكن لطخها شيء ما، شيء لزج بعض

الشيء، قبل أن تستطع رؤيته جيدا، سمعت صوت الحارس يصيح:

"كلا، لا تفعلا ذلك!"

شعرت ليليس بالفزع لسماع ذلك الصياح، نظرت باتجاه الصوت، لكنها لم تر شيئا، لم تر سوى العالم جهة النار يذهب لمصدر الصوت، ويشير لها أن تكمل طريقها حتى مالك العربة، تلك هي أول مرة يتواصل معها بأيةً طريقة منذ مصارحتها له بهدرها المال، أكملت طريقها وشعرت بخطواتها تتسارع وكذلك دقات قلبها، رأت مالك العربة يجلس مستندا لشجرة ما، لم تر عربته أو حصانه، أين ذهبا؟ ولماذا يجلس في الخلاء بذلك الشكل؟! هناك خطب ما، أخذت تناديه بصوت ليس بالصخب ولا بالمنخفض:

"سيدي، سيدي!"

بدأ شعور الهلع ينتابها مجددا، ولكنها أكملت طريقها مقتربة من الرجل بوجل:

"سيدي، أأنت نائم؟"

اقتربت بيدها المرتعشة منه ثم ربتت على كتفه:

"سيد"..

لم تكمل كلمتها حتى وجدت الرجل يسقط أرضا، كانت الإضاءة خافتة للغاية، لكن ذلك لم يمنعها من رؤية عينيه الجاحظتين وعنقه الممزق، لم تمتلك حتى الوقت لتفزع، لم تستوعب حتى الموقف بعد، فلم تقم سوى بالشهقة والاستدارة لتجد عند استدارتها ذلك الذئب الضخم يقف أمامها مباشرة ناظرا لها، شعرت أنها تجمدت بموضعها، لم تشعر بأطرافها بل لم تشعر بذاتها، فجأة تحول الجو وأصبح في غاية البرودة من حولها، ولم يكن هناك شيء دافئ سوى دموعها الصامتة المتساقطة من فرط الهول من عينيها المفتوحتين، بالكاد شعرت حتى بتلك الدموع، شعرت أنها ستفقد توازنها، وأنه لم يعد هناك حولها هواء تتنفسه، مهما ازدادت سرعة أنفاسها لم تبدُ كافية على الإطلاق.

"لا تتحركي واركضي بعيدا حين أخبرك"

سمعت صوتاً يهمس بذلك، لم تدرِ أهي تتخيل أم أن هذا حقيقي؟! شعرت ببعض الدوار وتشوش الرؤية من أمامها، زمجر الذئب، عاد الهلع لأطرافها، وكاد جسدها ينتفض من فرط الرعشة، كشر الذئب عن أنيابه وهم بالهجوم عليها حين صرخ الصوت الذي سمعته من قبل:

"اركضي!"

لم تشعر بذاتها سوى وهي هائمة على وجهها تركض بهلع وتلهث بقوة، لا تدري لأين، لا تدري من كان هذا، أكان ملاكًا ما؟ ذئباً آخر؟ أحد الحراس؟ لا تدري، سمعت صياح وصراخ أحدهم، زادها ذلك فزعا وأخذت تبكي بشكل هيستيري وتزيد من قوة ركضها، نظرت حولها فرأت خيالات سوداء لا تبدو من معالمها سوى أنها تبدو كالأشخاص، سمعت أصوات أشخاص تبكي، أشخاص تضحك، أغمضت عينيها وازدادت حدة هلعها وبكائها حتى صارت تصرخ كالمجنونة.

"أسموني ثعبان البحر أيتها الحقيرة لأنني أجد الفتيات أمثالك".

"هذا أقل بكثير من سعرها، أتعلمين إذا استطعت دفع ثلاثة عشر فالقلادة ملك لك"

"ألتفّ حولهن حينما لا يطعن وأسحب الحياة منهن، والآن حان دورِكِ"

رنت كل تلك الجمل بحدة في رأس ليليس:

"الآن حان دورك"

"الآن حان دورك"

"إنها يتيمة بلا أصل، أتظنني سأترك أي شخص يدخل القصر؟!"

"مرحبا بك أيها العالم وبـ.. بمساعدتك"

"مهما حدث، مهما رأيتِ لا تفتحي فمك، لا تتحركي، ابقي مختبئة فحسب"

"حان دورك"

"الآن حان دورك"

شعرت ليليس بمن يمسكها ويكمم فمها.

"توقفي عن الصراخ ستجذبين الذئاب"

نظرت ليليس بخوف جهة الصوت، لتجده العالم ران يمسك شعلة ويزيح يده من على فمها، أخذت ليليس تتنفس سريعا، وبدا عليها عدم الاتزان،

"أيها العالم، لا أشعر أني بخير" قالت ليليس بصوت أقرب للهمس.

"هذا طبيعي؛ فهناك رائحة غريبة بالجو، النار انطفأت،

لم يعد هناك ما يبعد الذئاب، والحارسان انطلقا بحصانيهما عائدين لـ(ليس الكبرى) أرادوا سرقة العربة والحصان المتبقي وتركنا للموت هنا فحسب، ولكنهما فرا عند رؤية الذئاب»

لم تستوعب ليليس أغلب ما قيل؛ فكل هذا كثير، أكثر من أن يتم استيعابه فور سماعه، أكمل العالم:

"هيا بنا، فالحارس ينتظرنا لنرحل من هنا"

أمسك بها المعلم ليساعدها على السير، رفعت ليليس يدها لتسمك بجبهتها فوجدت دماء على يدها لا تدري ما مصدرها.

"هل أنتِ مصابة؟"

"كلا"

شعرت بثقل رأسها وبأنها لا تدري بمَ تتفوه أو بمَ تفعل، تسير فحسب لحيث يوجهها المعلم، ابتسمت ببلاهة مردفة:

"لقد وجدت زهرة صفراء، جميلة حقا"

"عمَّ تتحدثين؟!"

"لماذا قد توجد زهرة صفراء بأرض جرداء كهذه؟!"

"أنتِ تهذين، لست مرتاحا لتلك الرائحة بالجو، يبدو أنها السبب في ذلك" شعرت أن صوت المعلم صار أغلظ.

"يراودك حلم ما، احكه لي، من فضلك احكه لي أيها العالم ران"

"ها أنتِ"

نظرت ليليس لمصدر الصوت، فوجدت الحارس الذي كان يجلس بالقرب من النار من قبل وبجواره شخص ما:

"إني أراه، إنه بجوارك"

إنها لا تدري ما الذي تقوله حتى، خُيل لها فحسب أنها رأت شخصًا ما.

"ضعها فوق العربة، أسرع"

أردف المعلم بتوتر، حمل الحارس ليليس ووضعها في العربة

"أم أنه زوجي؟"

تساءلت ليليس بنبرة خجولة، نظر الحارس لران متعجبا وهو يسأله:

"ما بالها؟"

"شيء ما في رائحة الجو يؤدي للهذيان، بدأت أشعر ببعض الدوار، لنذهب من هنا فحسب"

نظرت ليليس باتجاه المعلم والحارس فوجدت الخيالات السوداء قد عادت مجددا، ولكن تلك المرة أحدها أخذ يقترب ويقترب، حتى رأته في صورة شخص حقيقي، ولكن الظلال أحاطت به، رأته يرفع خنجرًا ويهم أن يطعن به المعلم ران، انتابها الذعر مجددا وأرادت فعل أي شيء لمنعه، لم يكن بوسعها في ذلك الحين سوى رفع إصبعها والإشارة به نحوه بأسرع ما استطاعت، لمح الحارس إشارتها لينظر سريعا لجهة المعلم ثم يدفعه بسرعة جانبا ويبارز ذلك الشخص.

"امتطي الفرس"

صاح به الحارس، انصاع ران سريعا لأمره، رأت ليليس أشياء غريبة للغاية، أو ربما هي تهذي حقا، لا تدري، فقد رأت الحارس كما لو كان لا يرى الرجل الذي تحيطه الظلال على الرغم من أنه كان يقف أمام الحارس بلا حراك، وتكرر ذلك في كل مرة كاد فيها الحارس الظفر بذلك الشخص أو إصابته، لم يستغرق الأمر سوى قليلٍ من الوقت حتى أصاب ذلك الشخص الحارس في قدمه ليشل حركته، حين رأى العالم ذلك، حاول

حث الحصان على التحرك، لكن بدا أن هناك مشكلة ما في العربة، يبدو أن الذئاب لم تكن السبب الوحيد لجعل الحارسين الهاربين يرحلان دون العربة،

"انزلي يا ليليس، انزلي حالا من العربة"

لم تفهم ليليس جيدا، ولكن صياح العالم أشعرها أن الأمر حقا جدي، نزلت من العربة بخطوات مبعثرة ناظرة جهة الحارس لتجد ذلك الشخص يطعنه في صدره.

"فكي اللجام حالا، إذا تركت الفرس فسيهرب!" رمى لها ران سكيناً، أمسكتها ناظرة إليها بغير فهم.

"اقطعي اللجام فورا!"

صاح ران بقوة، فزعت ليليس من صياحه مما أدى لانصياعها وقطعها للجام سريعا، نظرت جهة الشخص الذي طعن الحارس، فوجدته يسير جهتها، نظرت للمعلم لتجد يده ممتدة لها وعلى وجهه نظرة هلع، لوهلة لم تدر من هو ومن الآخر، شعرت بالموجودات تلتف من حولها وبالآخر مازال يقترب، حتى يكاد يصير واقفا أمامها، تمعنت فيه، كانت عيونه زرقاء جميلة حقا، لكن لماذا يشهر خنجرا تجاهها؟ لماذا يفعل ذلك وعيونه بديعة الجمال بهذا الشكل؟! انتشلها من تساؤلاتها المتضاربة ألم في معصمها، لتجد الرجل أعلى الفرس يجذبها

بقوة، لم تدر ماذا حدث، أهو قد حملها لتمطي الفرس أم هي فعلت ذلك بنفسها، وجدت نفسها صارت أعلى الفرس فحسب، بينما يزمجر من كان يشد معصمها منذ قليل، وتظهر عليه علامات الألم ثم انطلق بالفرس سريعا، نظرت ليليس للشخص الآخر من خلفهم فوجدته يختفي تماما في الظلال، ورأت الخيالات السوداء مرة أخيرة قبل أن تغلق عينيها ويصبح كل شيء مظلمًا.

***

[7]
عصفوران

حلق هذان العصفوران فرحين ببداية سطوع الشمس مغردين ببهجة، لكنهما سرعان ما بادرا بالهروب من ذلك المكان، عقب رؤيتهما لذلك الجيش العظيم أسفلهما، كان أكبر من أن يُوصف، يتخلله الرماة والفرسان والكلاب المدربة، لم يستطع فين تمييز راياته، ولكنه كان فردا منه بل من أهم أفراده، يقف بمقدمته ممتطياً فرسه ومرتديا درعه بأكمله، أمسك سيفه بإحكام ونظر لجانبه فوجد «بودير» ممتطياً فرسه هو الآخر، نظر له «بودير» بثقة كما لو أنه يخبره أن النصر سيكون اليوم حليفهم، شعر فين بالثقة ثم نظر أمامه على بعُد ليرى جيش العدو، لم يدر من هم، ربما إخوة الظل، فأغلبهم يرتدي درعا أسود اللون، مجرد تفكيره أنهم ربما يكونون إخوة الظل، أشعره بالكره الشديد تجاههم، لم يدرِ بنفسه وهو يركض بفرسه ويقترب منهم للغاية، أخذ يلوح بسيفه جهة كل فارس يراه يرتدي درعا أسود، لم يدرِ كم قتل من الفرسان، نظر حوله فوجد المعركة مشتعلة بين الجنود ذوي الدروع السوداء وجنود جيشه، رأى وحشًا أعورَ يشبه الأسد في الأفق يجري بقوة جهته، استعد فين ليتصدى له، لكن الوحش سرعان ما انعطف لجهة أخرى بعيدة عنه ثم اختفى، لم ينتبه فين لهيئة الوحش، فقد انشغل عقله بالانتصار في المعركة، أكمل فين القتال ليغمس سيفه بصدر آخر جندي يراه يجري صوبه، تنفس بقوة

ورأى جنوده من حوله يحتفلون بالنصر، شعر بالسعادة وأخذ يدور بعينيه باحثا عن «بودير» ليشاركه سعادته لكنه لم يجده، فجأة اختفى الجنود من حوله واختفى كل شيء، لم ير سوى أرضا قاحلة ممتلئة بجثث ودماء الموتى.

"كيف الحال أيها القوى؟"

نظر فين لمصدر الصوت ليجد رادو بجواره ينظر إليه ويربت على كتفه، لم يفهم فين أين هو وما الذي يحدث.

"ألم تسمع صديقنا الحارس هنا؟"

نظر فين جهة الحارس ليجد أن الحارس يخبره أنه دوره، نظر فين أمامه فرأى المرايا المشؤومة مجددا بضخامتها التي تشُعر المرء أنها ستبتلعه، انتابته المشاعر السابقة نفسها من توتر وخوف، نظر خلفه ليجد الأشخاص نفسهم بالنظرات نفسها وردود الأفعال، أدار وجهه ليرى «بودير»، لكنه لم يجده، بل ما حدث هو أنه وجد نفسه صار أمام المرايا تماما، متى حدث ذلك؟! فهو لم يسر حتى خطوة واحدة تجاهها! كاد فين أن يلمس المرآة، لكنه لمح شيئا غريبًا للغاية فقد رأى فجأة في الأفق داخل المرآة شخصًا ملتفاً بالأسود لا يظهر منه أي شيء سوى أنه يرتدي ملابس سوداء، ويغطي رأسه بغطاء أسود، لم تظهر سوى عينيه وباقي وجهه لفُ حوله قطعة قماش سوداء، رأى فين ذلك الشخص يجري تجاهه بأقصى سرعة،

ثم يقف بمسافة قريبة منه بعض الشيء، ويشهر قوسا ثم يوجه سهما بوجهه! صُعق فين، من هذا؟! ولماذا يفعل ذلك؟! حاول فين الجري مبتعدا ولكنه سقط، لكن لماذا؟! نظر حوله فلم يجد أحدا، ووجد عكازه مرمياً بمسافة ليست بقريبة منه، حاول الزحف لكنه لم يستطع، لوهلة شعر أن جميع أطرافه شُلت، لم يستطع سوى تحريك رأسه جهة المرآة، ليجد ذلك الشخص يطلق سهمه بسرعة جنونية، لم يدرِ ماذا يفعل!

أغلق عينيه فحسب، لم تمر ثانية حتى سمع صوت سقطة، فتح فين عينيه ليجد أخته كيرا ساقطة أمامه ينتصف السهم صدرها، أمسك بها سريعا وهو غير مصدق لما يراه، شعر بعقله سينفجر من كم الرعب والذعر، ظل يفكر في شيء واحد فقط: لماذا هي؟ ليته لم يركض، ليته لم يتمنَّ ألا يكون هو، ليته كان هو! لم يدرِ ماذا يفعل، لم ينطق، ظل ينظر لها فحسب، وهو ممسك بها شاهرا فاهه غير مصدق لما حدث، افعل شيئاً فين!

ساعدها! ساعد أختك! نظر حوله فلم يجد أي شيء أو أي شخص، فجأة فتحت كيرا عينيها على مصراعيهما، وكانت إحداهما حمراء والأخرى صفراء، أخذتا تقطران شيئا غريبا يشبه الدم، ولكنه أسود اللون، بدا مظهرها مرعبا ثم تفوهت كيرا بحدة:

"فين، أحقا ستتركني".

ثم أكملت وهي تصرخ بصوت يجمد الدم بالعروق:

"لأموت؟!"

فتح فين عينيه بقوة، ليجد نفسه في غرفته ذات الزركشة غير المنطقية، شعر فين بحبيبات عرقه أعلى جبهته، مسحها ثم أمسك بعكازه واتجه نحو النافذة ليفتحها، ساحة المبارزة كما هي تماما، بعض الفرسان يتدربون في بعض الأركان، الحداد يطرق أعلى أحد السيوف وإلى جواره كلبه سكودو يهز ذيله وينبح في سعادة، تنفس فين الصُعداء، بدا ذلك الكابوس حقيقيا للغاية، يبدو أنه أطال في نومه اليوم؛ فهو لم يستطع اللحاق بمنظر الشروق، قام فين بتبديل ملابسه، بينما توالت الأفكار بعقله سريعا، كيف هي أحوال كيرا؟ كم يتمنى أن تجيب على رسائل والدتهم، حينها سيتشجع بعض الشيء ويرسل لها هو الآخر، لكنه يشعر أنه خذلها وأنها لن تسامحه، فكيف ستسامحه وقد لجأت له ولم ينجدها؟! حاول تغيير تساؤلاته حتى لا يراوده الإحباط الشديد ككل صباح منذ يوم المرايا المشؤوم، متى سيصل «بودير» وجوزيف للعاصمة؟ لِكَم من الأيام الإضافية سيمكث خاله ميستريو وبيلا في العاصمة الأم؟ لماذا لم يرَ الشخص الملتف بالأسود مرة أخرى منذ يوم المرايا؟ بالتأكيد لم يكن سوى هلاوس بسبب توتره ذلك اليوم. لم يدرِ متى خرج من غرفته ليسير مبتعدا عن هذا الجزء من القصر، لكن ما فصله عن أفكاره كان ذلك الصوت الصادر من غرفة كيرا، تمعن في الصوت، فربما قد أخطأ

السمع فحسب، لكنه بالفعل سمعه مجددا يصدر من غرفتها، صوت أقرب لشيء ما يسقط أرضا، اقترب من الباب بحيرة ثم طرق، لم يجبه أحد، فتح الباب ببطء فوجد جميع الملابس بالخزانة ساقطة أرضا وشيء ما ساكن أسفلهم:

"هل من أحد هنا؟!" تساءل فين بتعجب.

"كلا!"

أجابه ذلك الصوت الحاد، ضيق فين عينيه تجاه الجسد الساكن أسفل الملابس ثم سأل بضحكة خافتة:

"ثنسيا، أهذه أنت؟!"

عم الصمت قليلا ثم أجاب الصوت:

"كلا!"

"ثنسيا، ماذا تفعلين هنا؟ لمَ أنت متكومة أسفل الملابس بهذا الشكل؟!"

قال وهو يسير باتجاه الجسد الموجود أسفل الملابس، ثم يخُرج ثنسيا من أسفل تلك الفوضى، كانت ترتدي فستاناً بدون أكمام، أسود اللون تتخلله خيوط ذهبية، انصاعت ثنسيا لأخيها

وسارت بجواره ممسكة بيده حتى جلسا أعلى الفراش.

"حسنا إذن، ماذا كنت تفعلين؟!"

دارت ثنسيا بعينها في الأرجاء متجنبة الإجابة عن السؤال. ناداها فين مجددا مربتا على رأسها.

"حسنا، حسنا، كنت أبحث في خزانة كيرا عن فستان يناسبني"

"لماذا؟ ملابس كيرا ستكبرك حجما، كما أنك لديك المئات من الفساتين، وإذا مللت منها تخبرين المربية فحسب وتحصلين على ما تبغينه فورا!"

"الأمر ليس كذلك، أنا فقط.. أريدها أن تعود".

قالت ثنسيا بحزن، احتضن فين أخته وصمت قليلا ثم أردف:

"وأنا كذلك".

ابتعدت ثنسيا لتسأله:

"هل هي بخير يا فين؟"

"هي كذلك؛ فهي تجيب على رسائلك وتخبرك بهذا، أليس كذلك؟"

"أجل"

ابتسمت ثنسيا ابتسامة عريضة ثم أصابها بعض القلق وأكملت:

"أخشى فقط أن ترحل للسماء قبل أن أراها مجددا، كما رحل جدي، إني حقا أشتاق له، فين لماذا جميعهم يرحلون؟!"

نظرت ثنسيا بعيون واسعة تجاه فين منتظرة إجابته، أراد فين تغيير مجرى الحوار وتجنب الإجابة:

"أأأأ.. إذن، جئت هنا فقط لأخذ أحد فساتين كيرا؟"

همت ثنسيا أن تجيب لكنها صمتت وغطت فمها بكلتا يديها ناظرة لأخيها بترقب، هز فين رأسه ضاحكا:

"لا تقلقي، لن أخبر والدتنا"

أبعدت ثنسيا يدها عن فمها وهي تضحك، ثم قالت بنبرة خجولة ومنتصرة في الوقت ذاته:

"لم أنمْ في غرفتي بل نمت هنا، لم تدرِ المربية بذلك، وقد شاهدت الشروق من هنا كذلك!"

"حقا؟!"

تساءل فين متظاهرا بالانبهار..

"أجل يا فين، وكذلك رأيت شخصًا يرتدي السواد ويمارس الرماية في الساحة"

"..."

***

لا أثر له، لا أثر له في أي مكان، كم مر من الزمن حتى الآن وهو ينتظر ظهوره، حل الليل ثم الفجر ثم الصباح، وهو مازال أمام نافذته ينتظر ليرى الشخص الملتف بالسواد، ويحاول فعليا معرفة هويته هذه المرة، لكن دون طائل، لماذا لا يظهر ذلك الأحمق فحسب؟! شعر فين بثقل جفونه وتشوش الرؤية أمامه، كلا، سيظل مستيقظًا، شعر بجفونه تحاربه كي تسقط، كلا سيحاول أن يظل مستيقظًا. فجأة أفاق فين على صوت طرق على باب غرفته، نظر أمامه ليجد الشمس تقترب من المغيب، يبدو أن محاولاته البائسة للبقاء مستيقظا فشلت بجدارة، جذب فين عكازه متجها نحو الباب، ثم فتحه سريعا

ليجد أمامه خاله ميستريو وبيلا تبتسم ابتسامتها الساحرة، كلاهما ارتدى الأسود، ولفتّ بيلا شعرها على هيئة جديلة واحدة كبيرة بعض الشيء كعادتها.

"فين، أتسمح لنا بالدخول؟"

استأذن خاله ميستريو بنبرته الهادئة المعتادة.

"بالطبع، تفضلا"

دخل ميستريو وبيلا الغرفة، جلست بيلا على أحد المقاعد المطرزة بينما ظل ميستريو واقفا، ميستريو ذو الشعر البني والعيون الثابتة، حجمه صغير بعض الشيء مقارنة بباقي إخوته، كذلك شكله يوحي بأنه أصغر من أعوامه الثماني والثلاثين، لكن الشعيرات البيضاء التي تخللت مقدمة رأسه توحي بعكس ذلك، هادئ دوما ومهذب للغاية، في بعض الأحيان يشعر فين بأن خاله ميستريو سيظل محتفظا بهدوئه وأدبه حتى إذا حلت نهاية الكون، وكان الناس في أشد هلعهم، ابتسامة باردة دوما تلوح على وجهه، فهي مجاملة لمن أمامه ليس إلا، تصفه والدته دورسيرا دوما بالمتناقض، لكن فين لم يفهم أبدا ما سبب ذلك.

"هل صرت أفضل الآن؟" تساءل ميستريو.

"عمَّ تتحدث يا خال؟"

"بخصوص ذهاب أختك للمملكة الغربية"

"أجل، أنا على ما يرام" أومأ فين.

"هذا يسعدني، سنرحل أنا وبيلا وسول لعاصمة المملكة الشرقية بعد يومين؛ فقد أمددنا وقت بقائنا هنا فحسب، لأجل جنازة والدي، وأكرر عرضي مجددا، سنسعد حقا إن أتيت برفقتنا»

نظر فين لبيلا فوجدها تبتسم ابتسامة واسعة منتظرة رده، حك فين مؤخرة عنقه شاعرا بالحرج؛ فقد عرض عليه خاله الذهاب مرتين، إحداهما قام بالموافقة عليها بالفعل ثم اعتذر والآن سيرفض، لن ينكر؛ فجزء منه يريد الذهاب والحصول على فرصة رؤية بيلا طوال الوقت، لكنه لا يستطيع ترك ثنسيا، فقد فقدت كثيرين بالفعل، ودون حتى سابق إنذار، لا يستطيع إضافة نفسه لقائمة جده وكيرا، على الرغم من غضبه حيال عدم تصدي والدته لرحيل كيرا، لكنها بالفعل لا يمكنها فعل شيء بخصوص ذلك على الرغم من كونها أميرة، وعلى الرغم من كونها شخصية جادة وصارمة، لكن حينما يتعلق الأمر بالمرايا العظيمة، فلا أحد يمكنه ردع أوامر تلك المرايا اللعينة، لذلك فهو لا يستطيع تركها هي الأخرى خاصة بعد موت والدها لتوه، لا يستطيع فحسب..

"تعلم يا خالي، أنا حقا أريد المجيء، أردت دوما العيش لبعض الوقت في المملكة الشرقية، وأن تتسنى لي فرصة رؤيتكم طوال الوقت، لكن" ..

قلص فين وجهه شاعرا بالإحراج، بينما ظلت نظرة ميستريو كما هي ولم يبدِ أي اندهاش أو ضجر، وظل مستمعا لفين حتى النهاية دون مقاطعته إطلاقا.

"لا أستطيع الذهاب الآن وترك أختي ووالدتي، تعلم، خاصة بعد موت جدي"

أومأ ميستريو بتفهم.

"أنا أتفهم، لديك مسئوليات"

"أجل"

لم يعلق ميستريو، بينما حك فين مؤخرة عنقه مجددا شاعرا بعدم الارتياح، أراد حقا أن يزيح الصمت الجاثم في أرجاء الغرفة، نظر جهة النافذة ورأى عصفورين يحلقان في الهواء، شعر كأنه قد رآهما من قبل، ووجد نفسه تلقائيا يفكر فيما يشعران به وهما حرَّان تماما، خطر بباله أن يفكر بصوت عالٍ كي تنقشع غيمة الصمت.

"الطيور، كم هي محظوظة! لا قيود! لا مسئوليات! حرة فحسب".

شعر فين بالسخافة، ربما كان من الأفضل أن يحتفظ بأفكاره لنفسه دون محاولة أن يظُهر ذاته بمظهر المتأمل، فهو لم يشعر سوى أنه بدى أبلهَ، ظلت بيلا صامتة ولم تعلق، بينما اتجه ميستريو للنافذة وظل ينظر من خلالها، كانت الشمس بدأت تودعهم بالفعل، ولاح لون الغروب في الأفق.

"الطيور، بإمكانك دوما النظر إليها والتفكير بما تشعر به وهي تستطيع الذهاب إلى حيثما تود، تعتقد أنها حرة، لكنك إن تمعنت جيدا ستجد أنها ليست حرة إطلاقا، بل إنها في خطر محدق طوال الوقت من أن يتم اصطيادها أو الفتك بها، تحمل يوميا فوق أجنحتها همومًا لا تحُصى لتعثر لأطفالها على طعام يسد أجوافهم، إنها تطير كل يوم لمصرعها ولا يمكنها التوقف أبدا، الطيور لم تكن ولن تكون أبدا حرة".

صمت ميستريو قليلا ثم أكمل:

"لكن دعنا نعتقد أن الطيور حرة، فالحقيقة دوما مؤلمة".

شعر فين بأن كلام ميستريو منطقي للغاية، ففين لم يفكر في البداية سوى بصورة بدت له الآن سطحية للغاية بعد سماع ذلك الكلام.

"أرجو أن نراك قبل رحيلنا".

أردف ميستريو ليجيبه فين بابتسامة عريضة:

"بالطبع يا خالي"

"حان وقت الانصراف"

قالها ميستريو ناظرا لبيلا بنظرته الثابتة نفسها.

"سأظل أنا برفقة فين لبعض الوقت يا والدي، إن كنت لا تمانع.." شعر فين بنبضات قلبه تزداد فرحا لما قالته بيلا، أومأ ميستريو بتفهم ثم انصرف دون إضافة حرف، جلس فين على الكرسي المواجه لبيلا تعلو وجهه ابتسامة عريضة، لم يدرِ عما يتحدث، أراد أن يظل ناظرا لوجهها فحسب. حك مؤخرة عنقه تلقائيا للمرة المليون، وشعر أن ذلك الأمر صار سخيفا بالفعل، حاول أن يتجاذب أطراف الحديث برفقتها:

"إذن، أأأ.. سترحلون بعد يومين؟"

"أجل، سأشتاق لكم جميعا حقا، وبالأخص لك".

شعر فين بقلبه يكاد يقفز من الدهشة والفرحة، اتسعت عيناه بعض الشيء وتساءل بارتباك بينما الابتسامة الواسعة مازالت

تعلو وجهه:

"حقا؟!"

ضحكت بيلا برقة، فكر فين بأنها لا يمكن أن تكون حقيقية؛ فهي ملاك سائر على الأرض.

"بالطبع!"

شعر لوهلة أن الحُمرة قد أصابت وجنتيه، وأنه يبدو أبلهَ الآن بابتسامته التي ستتجاوز أذنيه عما قريب.

"إذن، ماذا كنت تفعل قبل مجيئنا يا فين؟ تنظر لساحة المبارزة مجددا؟"

"أأأ.. لقد كنت.. انتظر حدوث شيء ما"

"أتود أن تطلعني على ذلك الشيء؟!"

"إنه غير مهم حقا"..

"حسنا إذن، لكن ألا ترى أن النظر من تلك النافذة باستمرار ممل بعض الشيء؟"

"إنه ليس مملًا، إنه فحسب.."

لم يجد فين كلمة تناسب ما يشعر به، أو ربما لم يرد أن يرى بعينيها تلك النظرة، نظرة الشفقة التي يعرفها جيدا إن أوحى فحسب أن ذلك المنظر من النافذة هو الرابط الوحيد له بما مضى.

"أحب فعله"..

"فين، يمكنك القيام بأشياء أخرى أكثر متعة"

هل هي جدية؟! ما الذي بوسع شخص بحالته تلك فعله؟! توقفي فحسب يا بيلا، من فضلك.

"حقا، مثل ماذا؟!"

"ألم تفكر من قبل في مطالعة الكتب؟"

"أعتقد أني أراها هي المملة بعض الشيء"..

"صرت معجبة بها مؤخرا"

"حقا؟!"

"أجل، آخر ما قمت بقراءته هي قصة موجو المستكشف، تعرفه أليس كذلك؟"

"إنه أول مكتشف لآبار الحياة"

"بالفعل، لكن قصته ملهمة حقا، أترغب في سماعها؟"

إن كان ذلك سيطيل الحديث، فبالطبع يرغب في ذلك، أومأ فين، شرعت بيلا بالحكي:

"وُلد موجو طفلا ثريا، والده كان من أكبر التجار في نصف قارة..."

أخذت بيلا تستطرد باستفاضة حيال قصة ذلك الطفل الذي كان يوما ثريا حتى فقد كل ذلك وبعدما انغلقت كل السبل بوجهه اكتشف آبار الحياه ليصير من أعظم من ذكرهم التاريخ

اختتمت بيلا حديثها بضحكتها الساحرة وأكملت:

"كما ترى، لقد صرت حقا أعشق القراءة" نظر فين نحوها كأنه أدرك أنه عاد لعالمه الواقعي.

"إن كانت القراءة لا تتضمن سوى قصص كتلك، إذن فهي بالفعل ممتعة"

"إنها كذلك صدقني، مشكلتي هي في الكتب الخاصة بالمرايا العظيمة، صرت شغوفٌ لأعرف مزيدًا عنها وعن تاريخها، لكنها تتضمن فصولًا خاصة بالقتال والمبارزة، وأنا لا أفهم جيدا في تلك الأشياء".

ابتسمت بيلا بخجل ثم أكملت:

"تصورت فقط أنك يمكن أن تجد وقتا وتطالع تلك الكتب، وتوضح لي ما لا أفهمه؛ فأنا أعلم أنك ذكي ومدرك تماما تلك الأمور"

شعر فين بالحماس لفعل ذلك، فربما يمكن أن يعود لعالمه السابق دون النظر والتحسر، بل يمكن أن يفعل ذلك من خلال المعرفة والتخيل، ما زاد حماسه للأمر أن بيلا البديعة تطلب مساعدته، وهذا سيعطيه الفرصة لكتابة كثيرٍ من الخطابات لها، وتلقي كذلك عديدًا من الخطابات منها.

"أتدري يا فين لقد خطر في بالي للتو أن القراءة عن المرايا ستساعدنا لمعرفة ما يمكن فعله لمساعدة كيرا، وأعلم الكتاب المناسب لذلك"..

فكر فين في أنها محقة، هو عاجز حاليا عن مساعدة أخته، لكنه غير عاجز عن معرفة ما تسبب في جعل أخته هجينة غير ترَّهات أن روحها ملوثة، والوصول لسبب المشكلة هو بداية

للوصول للحل، كما أنه لا يستطيع أن يحيا باقي عمره بهذا الشكل جالس دون فعل أي شيء لمساعدة عائلته.

"أنتِ محقة، محقة تماما، بيلا، أحتاج لذلك الكتاب"

"لا تقلق يا فين؛ سأدلك على مكانه في المكتبة قبل رحيلي برفقة والدي وأخي".

ابتسم فين وشعر ببوادر الأمل تتراقص أمامه.

"فين، هناك شيء، لا أدري إن كان يجدر بي قوله أم لا" نظر لها فين بعدم فهم:

"عمَّ تتحدثين، بيلا؟! أخبريني بالأمر" عقدت بيلا يداها وتحدثت بقلق:

"لا أدري إن كنت مخطئة أم لا"..

خفضت صوتها.

"لكنني لا أثق بساريو مساعد عمتي دورسيرا"

"ماذا فعل؟"

همت بيلا بالوقوف مردفة:

"كلا، هذا لا يمكن، أنا تسرعت بإخبارك، بالتأكيد هناك خطأ ما، وقد ظننت به السوء فحسب"..

"بيلا، اجلسي وأخبريني بما حدث"..

قال فين ممسكا بذراعها بلطف، جلست بيلا وبدا عليها الشعور بالذنب.

"فين، أنا آسفة حقا، لكن يجب أن تعلم ذلك، ساريو.. لقد رأيته أكثر من مرة يرسل خطابات برفقة حراس للمملكة الغربية، ربما أنا أسيء الظن به، ربما هي لعائلته فحسب؛ فأنت تعلم أنه وُلد أحمر العينين، لكن المرايا أظهرت أن حقيقة روحه تنتمي للمملكة الشرقية، أنا فقط شعرت بأنه يجدر بي إخبارك؛ فأنا أعلم كم تثق به عمتي دورسيرا"..

هز فين رأسه باستنكار:

"لم أثق به قط، علمت دوما أن ثقة والدتي به هو أمر خاطئ، سأعلمها على الفور!"

"لا يمكنك فعل ذلك، سينكر فحسب وستعتقد أنك تفعل ذلك لأنك تكرهه ليس إلا، وكما أخبرتك قد تكون تلك

الخطابات لأسرته"..

"ليست لأسرته أنا واثق!"

"استمع لي يا فين، لا يمكنك مواجهتها أو مواجهته دون دليل قاطع"

***

سارت بخفتها المعهودة وضفيرتها الكبيرة المنمقة وابتسامتها الخلابة، إنك تؤلم نفسك بحبها يا فين ليس إلا، ذلك هو ما خطر ببال فين وهو يرى بيلا تسير تجاه غرفة ذلك النحيل ذو العضلات الأحمق، شعر فين بالسأم لمجرد التفكير فيه، على الرغم من بعُد المسافة إلا أن فين استطاع السماع بصورة جيدة، طرقت بيلا الباب برقة، لم تَفتْ سوى بضعة ثوان حتى فتح ذلك الأحمق الباب مندهشا لرؤية بيلا:

"سمو الأميرة بيلا! بمَ يمكنني أن أخدمك؟! لمَ لمْ تبلغي أي شخص أن يناديني فحسب عوضا عن للمجيء لهنا بنفسك؟!»

"لا بأس يا ساريو، والدي يريد التحدث معك، وقد كانت كلماته لي واضحة: رافقي ساريو إليَّ" ظل ساريو متحيرا بعض الشيء:

"بالطبع يا سمو الأميرة"

أغلق ساريو الباب على عجلة ثم رافق بيلا مبتعدا عن الغرفة، كره فين حقا أن تقوم هي بإلهائه، لكنها أصرت على فعل ذلك مؤكدة أن تلك هي الخطة الأفضل؛ فطلب فين المساعدة من أي شخص آخر قد يؤدي لفشل الخطة تماما، حيث سيقوم بإيصال معلومة حول ما يدور، إما لساريو أو لوالدته دورسيرا، قبلَ فين تلك الطريقة في النهاية على مضض، تأكد من ابتعاد بيلا والأحمق الملقب بساريو عن المكان، سار فين جهة الغرفة وتأكد من عدم رؤية أحد له ثم دخل سريعا، غرفة عادية جدا هي، فراش، خزانة، مكتب، يا لحظ ذلك الأحمق فغرفته ليست مزركشة، لم يهتم فين بباقي الأشياء في الغرفة، واتجه للمكتب سريعا، أضيئت أعلاه شمعتين، يبدو أن ساريو لم يجد الوقت الكافي فتركهما مضاءتين، كان يوجد أعلى المكتب كذلك بعض الأوراق وريشة مبللة بالحبر، ساريو حتما كان يكتب شيئا ما قبل رحيله، فغير ذلك لمَ الريشة مبللة بالحبر الذي لم يجف بعد بتلك الغزارة؟ فكر فين، همَّ بالبحث في الأوراق الموجودة أمامه، لكن، كلا، ربما يرى فين أن ساريو أحمقا لكنه في الحقيقة ليس كذلك، لن يترك خطاباً ربما يدل على خيانته لأميرته على مكتبه فحسب، سيرميه في أحد أدراج المكتب، كلا، لن يترك فرصة ليجده أحد، لكن ساريو توتر ولم يتوقع قدوم بيلا، دار فين حول المكتب فلم يجد شيئا، حاول الانحناء لكن لم تسعفه قدمه المبتورة على فعل ذلك، لكن بعد بعض الجهد استطاع

الانحناء بمقدار لا بأس به، نظر أسفل المكتب ليجد تلك الورقة المكومة المرمية عند نهاية المكتب جهة الجدار، ابتسم فين شاعرا بالنصر، مد يده مخرجا الورقة ببعض الصعوبة من أسفل المكتب، جلس فين على الكرسي المواجه للمكتب ثم قرأ المكتوب بالورقة، لتتبدل ابتسامة النصر على وجهه لنظرة صدمة مصحوبة بالحيرة، كوَّم فين الورقة مجددا ورماها في مكانها السابق نفسه، ثم خرج سريعا من الغرفة غير مصدقٍ ما قرأه، ساريو يدري مخططات والدة فين أكثر من أي شخص، أيمكن حقا أن يكون ما كُتب بذلك الخطاب حقيقي؟! أيمكن أن تفعل والدته ذلك حقا؟!

***

[8]

أعلام سوداء

أعلام سوداء، أعلام سوداء في جميع أنحاء العاصمة الأم، لم يحاول حتى عدها، فقد انهمك عقل جوزيف في أفكار أخرى وهو ينظر من حين لآخر جهة جودي، ليس بمقدوره تغيير ما حدث، لكن بمقدوره إيجاد حل، العلاج، عليه التوصل له بأسرع ما يمكن، لا يمكن أن يستلزمه الأمر عشرة سنوات أخرى! ستكون قد رحلت بالفعل من هذا العالم! وصلت العربات التي تحمل جوزيف وجودي و»بودير» وحراسهم أخيرا لقصر العاصمة الأم، ليجدوا رادو في استقبالهم، نزل جوزيف ثم ساعد جودي على النزول، بينما اتجه «بودير» نحو رادو محتضنا إياه بقوة، وتبعه جوزيف وجودي ليلقوا التحية هم أيضا.

"أخبرتك أن المكوث هنا لمزيد من الوقت لن يضر يا "بودير"، أنا آسف حقا"

أردف رادو موجها حديثه ل»بودير» الذي بدوره ربت على كتف الآخر بقوة وبدا وجهه شاحبا بعض الشيء، ثم وجه رادو حديثه لجوزيف:

"لم أرك منذ سنين طويلة يا سمو الأمير جوزيف، سعيد

لرؤيتك الآن، أتمنى لو كان ذلك بتوقيت أفضل" .

أومأ جوزيف بوجه مرهق ثم أكمل رادو:

"ليرقد عمكما الملك الراحل بسلام"

ألقى رادو التحية على جودي كذلك التي ابتسمت بدورها على سبيل رد التحية، ثم ساروا جميعا ليدخلوا القصر:

"يبدو عليكم الإرهاق، يجدر بكم الراحة"

قال رادو ليجيبه «بودير» بجدية:

"كان علينا السفر أسرع من ذلك؛ فقد فاتتنا الجنازة، جدر بي الاستماع لك يا رادو وعدم الرحيل من البداية، عليٍّ رأيت عمي في آخر ساعاته"

"لم تكن لتعلم يا "بودير" أنه سيموت الآن، فحتى أطباؤه تفاجئوا بذلك الخبر"

حاول رادو تهوين الأمر على «بودير»، لكن جوزيف لم يهتم لهما، ولم يشعر بالحزن حقا لموت عمه، أراد أن يصدق ندم أخيه، لكن ربما على «بودير» الندم حيال أمور أخرى، لم تذكره ذكرى عمه أو أي شيء حيال أخيه سوى بصورة تلك

الفتاة تبكي، تبكي بحرقة، بعدما خسرت كل شيء بسبب عمهما و»بودير»، بينما أكملا هما حياتهما، وانتحرت الفتاة في النهاية، حينها لم يستطع جوزيف أبدا التعامل معهما أو رؤيتهما كالسابق، مازال يحب أخاه، لكن ما فعله «بودير» كان أبشع من أن ي نُسى، في أثناء تفكير جوزيف لمح شخصا ما يقف خلف إحدى النوافذ وينظر جهتهم، لم يدرك من يكون في البداية، لكن ذلك سرعان ما تغير إثر تمعنه، فقد عرف هويتها، بشعرها الأصفر الطويل الذي يميل للبياض منه للذهبي، وبعينيها العسليتين وبنظرتها الحادة، كم هو غريب حقا تلك الملامح، لم تختلف كثيرا مع مرور الزمن، ربما أضيفت لها تلك النظرة الحادة فحسب، لكن كل شيء آخر تغير، الطباع، المبادئ، المشاعر، أشاح جوزيف نظره عنها ودخل القصر. لم يمرَّ وقت طويل حتى حل الليل، داهمت جوزيف التساؤلات بعد ذهابه للمشفى الأهم بالعاصمة وصدمته بمعرفته لخبر إيقاف بناء قسم خاص بمصابني المرض الأزرق بأمر من دومين، لم يأتِ للعاصمة الأم منذ فترة طويلة، ولم يدرك حقا ما الذي يحدث هنا، لم يهتم حقا، كل ما فعله لما يقارب العشر سنوات هو محاولة إيجاد علاج، يبدو أنه في سبيل ذلك عزل نفسه عن كل ما حوله، وصار أشبه بمن يعيش أسفل صخرة، لا يعرف حقا ما الأحداث الجارية أو أسبابها، لماذا قد يفعل دومين ذلك؟! لقد كانت خطوة لا بأس بها في نشر أماكن رعاية مصابي المرض وزيادة محاولات إيجاد علاج، لا منطق من إيقاف دومين لكل ذلك، حتى إن دومين لم ينشر خبر إيقافه لإنشاء جزء بالمستشفى للعناية بمصابي المرض الأزرق،

لابد أنه علم أن الملك الراحل كان ليعارض دومين ويكمل إنشاء ذلك الجزء، لكن لماذا؟! لماذا فعل ذلك؟! عاد جوزيف للقصر ولغرفته جالبا معه تساؤلاته المتزايدة، لم تكن جودي موجودة بالغرفة، بدا أنها تقف بالشرفة فقد كان باب الشرفة غير مغلق، أخرج جوزيف من أحد الحقائب التي أتت برفقتهم من عاصمة ليس الكبرى زهرة زرقاء، كان قد أصابها بعض الذبول إثر تخزينها في الحقيبة طوال تلك الرحلة الطويلة، لكن مع الأسف لا توجد أزهار زرقاء في المملكتين سوى بليس الكبرى، دخل جوزيف الشرفة ليجدها واقفة هناك تلف وشاحًا حول ذراعيها مسندة إياهما لسور الشرفة وهي تتأمل أضواء المدينة ليلا.

"ظننتكِ ستكونين نائمة.."

أردف جوزيف بينما هو يسند ذراعيه لسور الشرفة ويقف بجوارها.

"ظننتك لن تعود الآن، ولكني حاولت الانتظار على أيةً حال ككل مرة"

لماذا هي دوما تحزن لتأخره؟! إنه يحاول القضاء على شبح يحاوط هاتين المملكتين منذ ما يقارب السبعمائة عام، إنه يحاول فعل ذلك لأن ذلك ما تمناه ابنهما الراحل، ولأجلها، فقد تمكن ذلك الشبح منها هي الأخرى، لم يجِبْ جوزيف، بل

ناولها الزهرة الزرقاء، تأملتها جودي قليلا ولم تعقب.

"أعتذر عن كونها غير نضرة فكما تعلمين لا يوجد أزهار زرقاء هنا"

"جوزيف، هل أتيت بها برفقتنا من عاصمة ليس الكبرى؟"

أومأ جوزيف ناظرا للأفق للمدينة أمامهم، مفكرا كم من بيوت بها؟ وكم من تلك البيوت كان بها على أقل تقدير مصاب واحد بالمرض الأزرق؟

"ليس عليك فعل ذلك يا جوزيف، ليس عليك إهدائي دوما زهرة زرقاء كما كان يفعل ابننا، فطفلنا قد رحل منذ عشرة سنوات، قد آلمني ذلك. لا يمكنني أن أصف لك مقدار ذلك الألم، لكني في النهاية تعايشت مع حقيقة رحيله، وأتمنى أن تفعل أنت أيضا ذلك الشيء".

نظر لها جوزيف بنصف ابتسامة مردفا:

"أعلم أنه قد رحل دون عودة يا جودي، أدركت مدى معرفتي بذلك حين عرض عليَّ ذلك السجين الذي أخبرتك عنه في أثناء رحلتنا أن يحقق لي أمنية أبتغيها حقا، علمت ما هي، ولسبب ما شعرت أن ذلك الرجل يستطيع فعلا تحقيقها، كنت على وشك نطقها لكني توقفت، توقفت حين أدركت أن ابننا

ذهب للأبد، لا يمكنني التشبث بأمل رؤيته في هذه الحياة مرة أخرى، ولكن يمكنني أن أدفع نفسي مرارا لمنع تكرار ما حدث له أن يحدث مع أي شخص آخر، وأن أخلد ذكراه وهو يخبرني أننا سنجد علاجً ا لذاك المرض سويا، حتى لا آكل ولا أتوقف أبدا عن محاولة البحث عن علاج حتى مع آخر نفس أستنشقه»..

نظرت له جودي بحيرة يجتاحها الحزن، ثم لمح عيونها الزرقاء تتلألأ بضوء القمر، يا للهول كم هي جميلة، لم يدرك منذ وقت طويل كم هي جميلة بهذا الشكل، لم يدرك أن حتى بعد موت ابنهما أن قلبه مازال ينبض بحبها، وليس فحسب بالوصول لهدفه الذي يسعى إليه، لا يمكنه تخيل أنه قد يفقدها هي الأخرى بسبب ذلك المرض! حينها سيصير كذلك المريض رومان، لن يتبقى له شيء حقيقي في هذه الحياة. فجأة رأى جوزيف جودي تبكي، تبكي دون صوت، لم يدرك ما الأمر حتى وجدها تتساءل بصوت هامس:

"جوزيف هل توقفت عن حبي منذ موت ابننا؟"

أهذا ما تعتقده؟! أذلك ما جعلها تحزن لتأخره الدائم وسعيه للقضاء على المرض الأزرق؟! لن ينكر أن كل ذلك جعله يهملها دون أن يقصد، لكنه لم يدرك أنه يفعل ذلك، لم يدرك حتى علم بمرضها، كم هو نادم الآن! أمسك جوزيف بيدها، لكنها لم تنظر إليه وظلت تبتعد بعيونها عنه بقدر ما تستطيع

محاولة إخفاء عيونها الدامعة.

"جودي من فضلك انظري لي"..

لكنها لم تفعل ذلك، رفع جوزيف يده لوجنتها محركا وجهها برفق ليصير مواجها له، تنهدت جودي وظلت موجهة نظرها أبعد ما يكون عنه، أردف جوزيف بنبرة نادمة:

"إنه أنا من يتوجب عليه تحاشي النظر إليك إن كانت أفعالي تسببت في جعلك تعتقدين أني توقفت عن حبك".

نظرت له جودي بعينين حائرتين، ابتسم لها جوزيف ثم أومأ:

"أتتذكرين ذلك اليوم منذ ثماني سنوات حين وصلنا الخبر، خبر مفارقته الحياة، حسبت أني في أبشع كابوس قد يراود أي إنسان، رأيت جسده الهامد ووجهه الذي يبدو كأن حيواناً قد التهم جزءًا منه بسبب المرض. رأيت بكاءك غير المنقطع، أتذكر حينها وقوفي أمام تلك النافذة الضخمة بإحدى الغرف، لم أدرِ متى أو كيف وصلت لها، كل ما أعرفه أني لطالما وقفت أمام تلك النافذة مشاهدا إياه يلهو في الحديقة، ومفكرا في مستقبله الباهر، لكن ليس ذلك اليوم، ذلك اليوم لم ينشغل تفكيري سوى في كَمْ أنَّ تخطِّي تلك النافذة للحديقة من حيث أقف يبدو شيئا مغريا للغاية، وليس عليَّ سوى القفز من حيث أقف فحسب، ثم ربما ينتهي كل هذا الكابوس وأستيقظ لأجده

يلهو مجددا في الحديقة".

ظهرت معالم الدهشة والانكسار على وجه جودي؛ فجوزيف لم يتحدث بهذا الأمر لها مطلقا، بل في الواقع لم يتحدث لأي شخص عن ذاك الأمر، أكمل جوزيف بصوت يغزوه بعض الأمل:

"ثم لمحت زهرة زرقاء وتذكرت كل شيء، أول مرة التقيت بكِ حين لم نكن سوى غريبين لا يكنان لبعضهما سوى الاحترام، ولكننا جمعتنا رقصة، حين تم إخبارنا أننا سنتزوج وفوجئنا، فقد كان كل منا لشخص آخر، أول مرة تسابقنا بالأفراس وضحكنا سويا، حين أمسكت بيدك للمرة الأولى وتظاهرت أنت بأنك تتأملين شيئا ما وغير شاعرة بإمساكي ليدك، لكني لمحتك تبتسمين، حين رأيتك نائمة للمرة الأولى ورأيت كم بدوتِ ملائكية، حين رقصنا سويا مجددا وهمستِ بأذنك أني أحبك، ثم في نهاية الحفل همست في أذني أنك تبادلينني المشاعر نفسها، حين علمنا أننا سنلد طفلًا وفكرتِ أنتِ بخمسة وعشرون اسمٍ، لو كانت طفلة، وفي أحد عشر اسمٍ لو كان صبيّاً، حين رأيتك بعد إنجابك لطفلنا تحملينه، وتنظرين لي بعيون تبكي سعادة بدوتما حينها مَلَكَيْنِ، حين تتحمسين قبيل تناولك لكعكة التوت، حينما تلمع عيناك وأنت تتحدثين عن شبه جزيرة لونا وعظمتها، حين تنسين كل ما حولك تماما وأنت تعزفين على أوتار القيثارة، حين تضحكين بسعادة في كل مرة يهديكِ ابننا زهرة زرقاء، تذكرتك يا

جودي" كانت جودي تنظر له الآن بدهشة شديدة.

"لقد أردت الهروب يا جودي، الهروب من واقع أني لم أستطع إنقاذ ابننا وشاهدته يموت ببطء أمامنا، لكني لم أستطع حين تذكرتكِ، وتذكرت مقدار حبي لك حتى قبل مجيء ابننا لهذا العالم الذي لم تبدل الظروف ذلك بل زادته، لذا أعتذر، أعتذر بشدة إن جعلتك تشعرين بغير ذلك"..

أغمض جوزيف عينيه وابتلع جوفه ثم احتضن جودي التي تشبثت به بقوة مريحة رأسها على كتفه وهي تنتحب.

"لا حياة لي بدونك."

***

وجلس جوزيف بالصباح التالي متناولا افطاره وهو يتجاذب أطراف الحديث مع جودي، تناول «بودير» كذلك فطوره على الطاولة نفسها على الرغم من استياء جوزيف من ذلك، إلا أنه لم يفصح عن ذلك سوى بنظرات جدية صوب «بودير» حينما يتوجه «بودير» بالحديث صوبه، لم يمر كثير من الوقت حتى شاركهم رادو، ثم استأذنت جودي لقضاء بعض الأشياء.

"إذن، رادو ألديك أيةً فكرة عن التوقيت الذي سنقابل الملك دومين به؟"

تساءل جوزيف.

"عصر اليوم، لكن لمَ العجلة، يا سمو الأمير جوزيف؟ ألا تريد التمتع أولا قليلا، هناك عديد من المبارزات وسباقات الخيول سُتقام، ألا تحب أن تحضرها قبل البدء في الجدية؟"

"فلتستمتع أنت يا رادو بتلك الأمور عوضا عني، فلدي أمور أخرى أهم تشغل تفكيري"

"المرض الأزرق لن يذهب لأي مكان يا سمو الأمير جوزيف، حضور مناسبات ممتعة كتلك سيسعد الأميرة جودي أنا واثق"

شعر جوزيف بالسخط من تدخل رادو غير المبرر، هم أن يجيب لولا تحدث «بودير»:

"جوزيف يضع علاج ذلك المرض قبل أي شيء يا رادو، وهو محق تماما بذلك، المناسبات ممتعة، لكن إيجاد علاج لذلك المرض أكثر أهمية"

"لم أتوقع أن أسمع ذلك منك يا "بودير""

أردف رادو، وللحق لم يتوقع جوزيف كذلك سماع ذلك من أخيه، ربما «بودير» مازال يحاول جعل جوزيف ينسى ما فعله في الماضي كمحاولته في عاصمة ليس الكبرى، تحدث

جوزيف:

"المناسبات الممتعة لن تذهب لأي مكان يا رادو، لكن تأخر إيجاد علاج للمرض الأزرق سيؤدي إلى مزيد من الوفيات فحسب"

بدا البرود على رادو لكنه أومأ في النهاية. شعر جوزيف بمن يضع يده على كتفه فاستدار ليراه، ليجد نايلس يقف خلفه مبتسما له، كان جوزيف على وشك الوقوف وإلقاء التحية عليه، لولا أن نايلس أردف سريعا:

"لا بأس، أكملوا طعامكم لم أقصد المقاطعة، جئت لألقي التحية سريعا فحسب، فلا يفصلني عن العودة لعاصمة المملكة الغربية سوى ساعات فحسب"

أومأ جوزيف متفهما ثم قال:

"سعدت لرؤيتك يا نايلس، لم أركَ منذ زمن طويل"

"أنا كذلك يا جوزيف سعيد برؤيتك، فربما لن يتكرر ذلك لوقت طويل للغاية"

أردف نايلس ثم نظر ل»بودير» محييا إياه.

"بودير"

"نايلس"

كان نايلس معتدل الحجم، ليس مفتول العضلات أو قوي البنية، بل على العكس، فهو سمين بعض الشيء، يبدو كشخص عادي تماما، ذو شعر أسود يصل حتى عنقه يجمع بعضه في جديلة، وعلى عكس أغلب إخوته، لم يبدُ على نايلس صغر السن، هو أوسط إخوته، لكنه بدا كما لو أنه أكبرهم بالسواد المحيط بعينيه الحمراوين اللتين تبدوان باهتتين، عكس أخته انستازيا التي تبدو عيناها حمراوان كالدم، ظهرت كذلك بعض التجاعيد على وجهه، ودوما يبتسم ابتسامة باهتة يظهر خلفها إجهاد أو حزن، بالنسبة لشخص من ذوي العيون الحمراء، فنايلس شخص ودود للغاية، لكن مع الأسف، نعته بعضٌ بالضعيف خاصة لتركه لأخته انستازيا تتحكم ببعض شئون المملكة الغربية، وتدخلها فيما لا يعنيها، لولا كون سيلين زوجة نايلس تلتزم بالعقاب والقانون بحذافيرهما وبشدة، لصارت انستازيا تتدخل في كل شيء لتخربه فحسب، لم يعهد جوزيف ذلك بل سمع عنه فحسب؛ فهو لم يعِش في القصر الملكي في عاصمة المملكة الغربية كثيرا، فقد صار الوصي على ليس الكبرى قبل أن يصير نايلس الوصي على المملكة الغربية، نظرا لكبر سنه عن نايلس، لم يبقَ نايلس سوى بضع دقائق فحسب، سألهم فيها عن أحوالهم وأحوال ليس الكبرى ثم انصرف.

"لديه ما يكفي من الذوق للمجيء وإلقاء التحية، ماذا عن دومين الذي استدعانا لأمر هام للغاية، وميستريو الذي هرع للمملكة الشرقية برفقة أبنائه ولم يستطع الانتظار لمدة يومين فحسب لكي يستقبلنا" أردف "بودير" ليرد عليه رادو متسائلًا:

"وماذا عن الأميرة دورسيرا؟"

"لابد أنها منشغلة للغاية لهذا لم تستطع الترحيب بنا" قهقه رادو.

"أجل، أنا أيضا متأكد من ذلك".

"ما المضحك بالأمر؟"

بدا «بودير» ساخطا من رادو، وقد علم جوزيف سبب ذلك، ألن يتوقف «بودير» أبدا عن إعجابه بها؟! فإعجاب أخيه بدورسيرا كان سبب ما اقترفه من إثم في الماضي، فكر جوزيف باستنكار.

"بودير"، لن أكذب عليك، أنا أحب أطفالها مثلك تماما، لكن سمو الأميرة دورسيرا نفسها، إنها فقط.. كيف أصيغها بشكل لطيف؟ أجل صارمة للغاية"

"إنها فقط لا تتظاهر بالرقة المبالغ فيها والبلاهة كبعض الأخريات، انظر إنها ابنة عمي وأنا أحترم أسبابها لتكون جادة في تصرفاتها.."

"أتعلم، أنت محق فجميعنا ندرك تماما أنك تراها فحسب ابنة عمك".

أردف رادو ل»بودير» رافعا حاجبيه.

"أتعلم ماذا يارادو، لو كنت أحمل سيفي فحسب لقتلتك بالفعل وأرحت العالم من سخافاتك"..

لم تمر لحظات حتى ابتسم كل من «بودير» ورادو لذلك، لم يدرك جوزيف حقا كيف هذان صديقان بأي شكل من الأشكال، فلا يبدو من حديثهما سوى إغاظتهما لبعضهما بعضا بصورة أو بأخرى، تساءل جوزيف:

"رادو، أخبرني عما يحدث هنا في العاصمة؟"

"أجل رادو، أخبرنا بما يحدث، يبدو أنهم يبنون دفاعات ما حول المدينة، وكذلك رفضوا إدخال جميع جنودنا برفقتنا لداخل المدينة"

"هذا حقيقي فهم يحصنون المدينة، ضد ماذا؟ لا أدري؟!"

أجابهم رادو ليقاطعه "بودير" مستهزأً:

"لا تدري؟!"

أكمل رادو

"لا أدري بعد!، قالوا أن عدم دخول عدد كبير من جنودكم لدواعٍ أمنية، كما أن الملك أمر بزيادة عدد جنود جيشه وتدريبهم جيدا" سأله "بودير":

"لماذا تعتقد ذلك؟ أهناك من يشن حربا ما ضدنا؟!"

"يحتمل بسبب أن الملك يريد توحيد بلادنا مع شبه جزيرة لونا، أنا متأكد أنه يريد تزويج ابنته لأمير ما هناك، لكنه لا يريد إقامة تحالف فحسب كالقائم بالفعل بسبب المعاهدات بيننا وبينهم، أو كالتحالف القائم بسبب زواجك يا سمو الأمير جوزيف من الأميرة جودي" قالها رادو ناظرا لجوزيف ثم أكمل:

"بل إنه يريد جعل شبه الجزيرة وبلادنا كياناً واحدًا، أعتقد أنه لهذا يقوي الجيش ويكبره"

"ليحاول احتلال شبه الجزيرة بعد تزويج ابنته؟!" تساءل "بودير".

"أو ليحاول إعادة جزر راندوس لحيازة شبه الجزيرة، حينها سيوافقون على كل ما يطلبه، لكن كل هذه افتراضات سأتأكد صحتها قريبا"

عم الصمت قليلا حتى قاطعه «بودير» مردفا:

"إذن رادو أخبرني ماذا عن دورسيرا وأطفالها؟"

"كما هم، دورسيرا لا يعلم أحد ما تفعله أو لمَ تخطط، وتستعين دوما بذلك الملقب بساريو، الأميرة الصغيرة ثنسيا تحاول جاهدة العثور على وحيد القرن" .

ابتسم كل من جوزيف و»بودير» بينما أكمل رادو:

"الفتى القوي فحسب هو من تغيرت طباعه، وصار شغوفاً بالقراءة والتواجد بالمكتبة، لذا قررت تغيير لقبه للفتى القارئ"

"ماذا عن عمي يا رادو؟" تساءل "بودير" .

"ماذا تعني؟"

"ظننت بحالته الصحية تلك أنه سيتسنى له العيش لبعض الشهور" أردف "بودير" بحيرة، للمرة الأولى قرر جوزيف أن

أخاه محق بخصوص ذلك الأمر؛ فقد علم جوزيف كثيرًا عما يخص الأمراض لفترة تعامله الطويلة مع المرضى والحكماء والعلماء، تحدث جوزيف:

"حسب كلام الأطباء الذين اختلطت بهم في أثناء محاولاتي في إيجاد علاج للمرض الأزرق، فكلامك صحيح يا "بودير""

نظر «بودير» لجوزيف باندهاش بعض الشيء، لأنه وجه له كلامًا من الأساس، أجابهم رادو:

"لكن يا سمو الأمير جوزيف، عمكما الملك لم يكن مصابا بالمرض الأزرق، فقد عانى من مرض متعلق بالشيخوخة"

"بالطبع، أعلم ذلك يا رادو، لكن هؤلاء الأطباء موسوعة في الأمراض المختلفة"

أومأ رادو بتفهم بينما تساءل «بودير» بسخط:

"كيف حدث الأمر؟ كيف توفى بتلك السرعة؟"

"استيقظنا في يومٍ لنجد من في القصر ينوحون، ودومين يعلن وفاته، ودورسيرا كما هي بنظراتها الحادة، بينما كل من ميستريو ونايلس يمدان فترة تواجدهم بالعاصمة، تعلم، لأنهم كانوا يحبون أباهم الغالي"..

قالها رادو بسخرية، شعر جوزيف ببعض الفضول للمرة الأولى حيال ذاك الأمر فتساءل:

"رادو من فضلك أخبرني كيف بدا الملك حينها؟!"

"كما يبدو أي ميت، لا شيء غير طبيعي، نائم فحسب"

استأذن أحد جنود جوزيف بالدخول حيث كان يحمل خطابا لجوزيف، سمح له جوزيف بالدخول ثم أخذ منه الخطاب، أخذا «بودير» ورادو في إغاظة بعضهما بعضا بكل طريقة ممكنة، بينما فتح جوزيف الخطاب وقرأ بدون صوت، كان مبعوثاً من عاصمة ليس الكبرى من أحد أهم معاونيه ومستشاريه إن لم يكن الأهم وهو شادو، كتب له في الخطاب أن السجين على حاله، فهو لا يستجيب لأيةً أسئلة، ولا يقبل المساعدة ولا ينطق سوى بجملة «أخبر أميرك أن الموت يشغل البشر بما فقدوا حتى يسرق ما لديهم»، أكد عليه شادو بمحاولة العودة سريعا لليس الكبرى وأنهم يقومون بأقصى ما لديهم لجعل السجين ينطق بأيةً معلومة مفيدة، وكذلك لمحاولة إيجاد علاج سريعا كما أمرهم تماما، أغلق جوزيف الخطاب باديا عليه الانزعاج. فكر رادو قليلا ثم قال بسخرية:

"أتدري، ربما كان هناك شيء غريب بالفعل حيال موت الملك، وهو غباء الخادمات هنا؛ فقد لطُخ غطاءه ببعض الحبر، إذا جاء اليوم الذي يجعلني فيه المرض جليس الفراش،

فأحرص على تعيين خادمات يتسمن بالذكاء يا "بودير""

"مت فحسب وسآمرهم بحرق جثتك"

أجاب «بودير» بملل، على الرغم من انشغال عقل جوزيف بكثير من الأشياء، إلا أن ما قاله رادو أثار مزيدًا من الفضول والتساؤلات، بضع قطرات حبر قد تبدو شيئا أحمق، لكن جوزيف خلال فترة تواجده في العاصمة الأم، في أثناء صغره طالما عهد شيئين بخصوص عمه الملك الراحل، أولهما حرصه على أن يكون حتى أصغر الأماكن بالقصر نظيف أ، ومن أسباب ذلك هوس ابنته دورسيرا بالنظافة المفرطة، حتى إن كان المكان نظيفا للغاية، قد يهُيأ لها وجود أوساخ، وخاصة أوساخ الطعام، وثانيهما هو عدم كتابة عمه لخطاباته وهو جليس الفراش حتى في أحلك أوقاته.

***

لم تتغير تلك القاعة، ربما الموجودات بها تغيرت قليلا، لكن في العموم هي كما كانت، واسعة، ذات سقف عالٍ وثلاثة نوافذ عملاقة، لم يسُمح لجوزيف بدخولها كثيرا، ولا لأي من أبناء الملك ليكون صادقا، ربما دومين ودورسيرا هما من خالفا تلك القاعدة قليلا، فقد كانت تلك هي القاعة التي يجتمع بها الملك بمستشاريه لأخذ قرارات تخص مملكتيه والعاصمة الام؛ لذا لم يستطع رؤية تلك القاعة سوى خلسة عند عدم

تواجد أحد بها، وذلك في صغره فقط حين كان طفلًا فضوليّاً بعض الشيء، لكن حينما رشد لم يعد مهتمًا بذلك، بالطبع دومين حُقَّ له حضور تلك الاجتماعات لكونه الملك المستقبلي بعد والده، لكن جوزيف يعتقد أن عمه لم يعجبه فعل دومين لذلك، ولكن على صعيد آخر، فعمه كان هو من يدعو دورسيرا لحضور بعض تلك الاجتماعات، بل ويهتم لآرائها، حقا لم يدرِ جوزيف في كثير من الأحيان كيف كان يفكر عمه، حتى توصل جوزيف في النهاية لاستنتاج بسيط؛ وهو أن عمه ربما كره جميع أبنائه عدا ابنته الأولى دورسيرا التي نالت حبه بأكمله، ربما لم ينل جميعهم كره متساوٍ، فقد كانت انستازيا هي من حصلت على النصيب الأكبر من ذلك الكره، ربما ميستريو هو من حصل على النصيب الأقل، لكن ذلك لا يغير حقيقة أنه كرههم جميعا عدا دورسيرا، أفعاله، قراراته، تعاملاته، كل شيء أظهر ذلك، فمن يعطي ابنته الكبرى جزءًا كبيرا من أراضي المملكة الشرقية، لتكون ملكها وملكً ا لأبنائها من بعدها، وليست أي أراضٍ أو مدن، بل الأراضي والمدن المتواجدة على طول النهر، ففعليّاً هي المتحكمة في أغلب المملكة الشرقية، لأنها المتحكمة في فرع النهر الزجاجي، وأصدر عمه الملك الراحل قرارًا رسميّاً بذلك، لا يجد جوزيف مشكلة في ذلك بقدر تساؤله، وماذا عن إخوتها؟! لم يكن الملك غير عادل له ولأخيه «بودير»؛ فقد أعطاهم نصف المملكة الغربية متمثلة في ليس الكبرى، لكن باقي أبناء عمه ليسوا سوى دمى حقيقة الآن في يد دومين، إذا أراد إبعاد أي منهم عن منصبه فسيفعل ذلك في التو واللحظة، بينما

دورسيرا تمتلك قوة حقيقة في يدها، لهذا لم يستعجب جوزيف حين رآها جالسة خلف تلك الطاولة بجوار دومين داخل القاعة، على الرغم من أن ما وصله هو أن دومين يريد التحدث معه هو و»بودير» بخصوص أمر هام يخص المملكتين، فلمَ هي موجودة إذن؟!

"اجلسا"

قالها دومين لجوزيف و»بودير» بدون أي مقدمات أو ترحيب، وعلى وجهه نظرة جدية، بينما دورسيرا لم تخفِ حدتها المعتادة، فقط زينتها في ابتسامة مزيفة.

"نتعذر يا جوزيف ويا "بودير" على عدم استطاعتنا على الترحيب بكما من قبل، ولكن ها نحن ذا نرحب بكما، نحن سعيدان للغاية لحضوركما"

اردفت دورسيرا ليجيبها «بودير» سريعا:

"لا بأس، فنحن ندرك كم المسئوليات الواقعة على كاهلك في الوقت الحالي"

"بالطبع"

لم يعقب جوزيف على كلامها، أومأ وابتسم فحسب، بدا أن

دومين أراد تخطي المجاملات والتحدث فيما استدعاهم لأجله قائلا بجدية:

"لنتحدث فيما طلبت منكما أن تأتيا لأجله"

توجه نظر كل من جوزيف و»بودير» له، بدا على «بودير» الاستياء بعض الشيء بسبب أسلوب دومين الخالي من الذوق، وكذلك استاء جوزيف، لكنه حاول أن يكون عمليا ويتغاضى عن ذلك، أكمل دومين بأسلوبه نفسه:

"لن أبدأ بمقدمات أو بخطب فما حدث، ما اقترفتماه لهو فعل مشين، مشين أكثر من أن يتم غفرانه!" تساءل جوزيف بتعجب:

"عمَّ تتحدث مولاي؟!"

"يا حراس، أدخلوه!"

صاح دومين بصوت عالٍ، ليدخل حارس مصاحب.. مصاحب لـ.. لم يصدق جوزيف ما رآه، فمن دخل برفقة حارس دومين كان هو الحارس الذي وكله جوزيف بمهمة إحضار السجين لعاصمة ليس الكبرى! لكن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيّاً! فهو يعرف ذلك الحارس جيدا ويثق بولائه، إذن كيف؟! تحدث دومين آمرا:

"افصح عما أخبرتني به من قبل أيها الحارس الليسي!"

بدا التوتر على الحارس ولم ينظر أبدا لعيني جوزيف، وهو يخبرهم بما أتى لأجله:

"سـ.. سمو الأمير جوزيف أوكلني بنقل سجين من القارة المجمدة لعاصمة ليس الكبرى و.. وهذا السجين تدور حوله عديدٌ من الشائعات بأنه يمارس السحر الأسود ويشفي الأمراض، وذلك في محاولة لإيجاد علاج للمرض الأزرق"

هز جوزيف رأسه باستنكار غير مصدق لما يسمعه ويراه، حينها تذكر حديث «بودير» حول أن كثيرًا من الجواسيس صاروا يحيطون بجوزيف ظنا منهم أنه ربما يريد استعادة الحكم من عمه وأولاده، وأن على جوزيف أن يزيد من احتراسه، لم يعر جوزيف حينها ذلك الحديث اهتماما، لكنه يرى الآن كم كان أخوه محقا..

"وأين هو دليلك أيها الحشرة؟!"

قالها «بودير» بحدة موجها قبضته بقوة لوجه الحارس الذي سقط أرضا متأوها إثر ذلك، ويبدو أن أنفه قد كُسر.

"ما الذي تفعله؟! هل جننت؟!" صاح دومين في "بودير".

"هل تتهم أميرًا وابن عمك بسبب حديث حشرة كهذا؟! إن كنت أحمل سيفي لنحرت عنقه فورا"

"الزم حدودك يا "بودير"؛ فلست أنت من ستخبرني بما سأفعله!" صاح دومين مجددا، أكمل دومين موجها حديثه لجوزيف:

"إذن يا جوزيف، هل هذا الحارس يقول الحقيقة؟!"

نظر جوزيف للحارس الذي بدت التوسلات في نظرته، فهو يدرك ما سيصيبه إذا أخبرهم جوزيف أنه يكذب.

"جوزيف أنت تعلم جيدا ما سيصيبه إن علمت أنه يكذب، سيتم إعدامه بميدان عام أمام جميع الناس ليعرفوا ما سيصيبهم إن حاولوا إيقاع الضغينة بين الأمراء والملوك، أو إفشاء معلومة مغلوطة تخص السحر" ربما هو يستحق ذلك لخيانته غير المبررة لأميره، فكر جوزيف، أكمل دومين:

"لكن إن كان هذا الحارس يكذب فقد تمادى؛ فهو يحاول إيقاع الضغينة بيننا نحن، ونحن في النهاية عائلة واحدة، لذلك أخبرني أنه كاذب وسأعدمه هو وعائلته بأكملها في الميدان العام؛ كي يصيروا عبرة لمن يحاول بث الوقيعة بين أبناء العائلة الواحدة، خاصة حينما يكونون من ذوي العيون الصفراء والحمراء مثلنا"

صُعق جوزيف لما سمعه، ماذا؟! لا يمكنه فعل ذلك! ما ذنب عائلة ذلك الحارس؟! تحدث جوزيف باستنكار:

"حتى إن أخبرتك أنه يكذب فلا ذنب لعائلته بكل ذلك!"

"كلا يا جوزيف، إننا ننبذ العنصرية يا ابن عمي، فأمثال هذا الحارس يريدون إيقاع الضغينة بين الشعبين بنشر مثل تلك الأكاذيب، خاصة لعلمه أن الملك بعيون صفراء وابن عمه بعيون حمراء، إنه لا يختلف كثيرا عن إخوة الظل الذين حوَّلوا الشعبين من إخوة لأعداء، كيف تظن أن كل ذلك بدأ؟! بأكاذيب صغيرة تتحول لمكائد تتحول لخيانات وتتحول لعداوة، ولن أسمح مطلقا بحدوث ذلك بسبب نابذي عنصرية مثل ذاك الحارس، يجب أن يرى الناس كمَّ المعاناة التي ستجنيها أفعال أمثاله!

أم أنه صادق وأنت بالفعل استعنت بساحر يا جوزيف؟!» شعر جوزيف بأنه تخشب مكانه غير مدركٍ لما عليه فعله.

"لا حاجة لكل ذلك؛ فالأمور واضحة، إنه ليس سوى حارس حثالة يكذب لتشويه صورة أميره فحسب"

نظر جوزيف جهة «بودير» المتحدث وهو غير مصدق لموقف أخيه، فجأة وجد جوزيف من يمسك بيديه، نظر جهة ذلك الشخص ليجده الحارس قد زحف حتى وصل لمقعد جوزيف

وصار مواجها له أرضا، وأخذ يتوسل وعينيه مغرورقتين بالدموع والدماء تسيل من أنفه المكسور، بينما صوته يدل على كم الذل الذي يعانيه.

"سموك، أنا آسف، أنا آسف، سامحني على عدم حفظي أسرارك، أقسم لك أني لم أفعل ذلك سوى لمعرفتي بكم الدمار الذي قد يسببه السحر، أقسم لك، فأنا، أنا أعلم أنه تسبب بإيجاد المرايا العظيمة وإصابتنا بلعنة المرض الأزرق، أقسم لسموك، لقد حاولت إخبار سموك بصرف النظر عن فكرة إحضار ذلك الساحر مرارا، لكنك لم تصدق ما قد يسببه السحر من دمار وخراب، أرجوك سامحني سموك، فلتقتلني أنا، احرقني، افعلوا ما شئتم بي لكن، أرجوك ليس عائلتي، ابنتي لم تكمل السنتين وابني..ابني بعمر الخامسة فحسب، أتوسل إليك يا سمو الأمير!"

حاول الحارس تقبيل يد جوزيف سريعا في ذل، لكن جوزيف أبعد يديه، ثم أكمل الحارس وقد صار ينوح:

"أتوسل إليك، أتوسل إليك!"

كان مظهر الحارس في قمة البؤس، ذكر كل ذلك جوزيف بمظهر تلك الفتاة، بما فعله لها «بودير»، ببكائها، وبما فعله عمه الملك الراحل لعائلتها حينما حاولوا الانتقام من «بودير»، ثم كيف انتهى الحال بتلك الفتاة، شانقه نفسها بحبل متدلٍ من

شجرة.

"إذن يا جوزيف أهو كاذب أم لا؟"

تساءل دومين، شعر جوزيف لوهلة أنه دار العالم بأكمله بأفكاره غير المتناهية حيال الفتاة ومصيرها، حيال الحارس وخيانته ومصيره، وحياله هو نفسه ومصيره، لكن على الرغم من ذلك، فلم تمرَّ سوى بضعة ثوانٍ حتى أجاب جوزيف:

"إنه غير كاذب".

"جوزيف، إنه كاذب، اللعنة! أخبرهم بذلك!" صاح "بودير" بينما تحدثت دورسيرا لدومين:

"جلالة الملك قد يكون قرارك الحازم أثر على الأمير جوزيف، فجميعنا نعلم أنه لا يبغي الأذية لأي شخص"

"فلتصمتوا جميعكم!"

صاح دومين ثم وجه تساؤله لجوزيف:

"هل حقا تخبرني يا جوزيف أنك استعنت بالسحر لمحاولة علاج المرض الأزرق؟!"

لقد اختار جوزيف قراره، على الرغم مما فعله الحارس، إلا أن عائلته وأطفاله لا يستحقون ذلك العقاب، لكنه لن يدعهم يظنون أنه استعان بالسحر فحسب دون شرح الموضوع برمته، أجاب جوزيف:

"كلا يا جلالة الملك، أنا لم أستعن بالسحر، لقد استعنت بشخص علا صيته بأنه حكيم يشفي الأمراض، استعنت به كما استعنت بغيره من الحكماء والأطباء والعلماء الذين اشتهروا بالمعرفة وبعلاج الأمراض المختلفة، وما الفرق بينه وبين أي منهم؟! أي شخص منهم قد يتهمه بعضٌ بالدجل والسحر لمعرفته ببعض العلوم، ولا أرى اختلافا بين هذا الشخص وبينهم، فجميعهم استعنت بهم لأجل غرض واحد وهو علاج المرض الأزرق، الذي يسبب وفياتٍ لا حصر لها سنويا، الذي يسبب موت الأم والأب والابن والابنة والأخ والأخت والزوج والزوجة، لا يترك أحدا مطلقا، لا ندري من سنستيقظ غدا لنجده قد أُصيب بالفعل دون سبب ودون سابق إنذار، هذا ما فعلته يا مولاي هو أني استعنت بشخص لإيقاف كل ذلك للأبد!"

صمت دومين لوهله، ثم صاح مناديا الحراس آمرا إياهم بإخراج الحارس الليسي من القاعة ثم أردف:

"يا له من هدف نبيل يا جوزيف! حقا لا يستطيع أي شخص بهذه الغرفة إنكار ذلك، لكنك في النهاية استعنت بشخص

أشُيع أنه يستخدم السحر الأسود، السحر الذي نعلم جميعا أنه محرم تماما في هذه الأراضي استعماله، أو الاستعانة به، أو حتى التفكير بذلك! لقد كنت على وشك معاقبة ذلك الحارس لظني أنه كاذب يحاول بث العنصرية والضغينة، فماذا تظن حيال من قرر الاستعانة بالسحر، السحر الذي تسبب في إيجاد المرايا العظيمة التي تسببت بدورها في إيجاد المرض الأزرق؟!"

"لقد أخبرتك جلالة الملك بكل شيء بالفعل، ولن أحاول تبرير موقفي أو إيجاد حجج تدعمني؛ فتشهد الأعوام السابقة على ما فعلته من أجل المملكتين وشعبيهما ولأجل الملك الراحل والدك" عمَّ الصمت قليلا ثم قال دومين:

"على الرغم من بشاعة ما اقترفته، إلا أنك لا تزال ابن عمي، وقد أوصاني والدي الراحل دوما بك وب"بودير"، لذلك لن أعدمك، لكن أراضي ليس الكبرى لن تكون تحت إمرتك بعد الآن، والجيش الخاص بها سيتم تسليمه لأخي نايلس بأقرب ما يمكن، وستعيش بأقصى أراضي الشرق الجنوبية كشخص من العامة، فلم تعد تنتمي للأسرة الملكية بعد فعلك المحرم هذا!"

لم يعد يهتم جوزيف حقا لأي شيء سوى إيجاد العلاج، صار كل شيء آخر بلا معنى حقا بالنسبة له، وإذا كان مازال قادرا على البحث عن علاج بذاك المكان، ومازالت جودي لجواره

فلا بأس. استنكر «بودير» بصوت عالٍ غير مصدقٍ:

"ماذا؟!"

نظر جوزيف جهة كل من دومين ودورسيرا، كان دومين جديّاً تماما فيما قاله، بينما بدت دورسيرا مصدومة محاولة اخفاء ذلك والحفاظ على هدوئها، أردف دومين ل»بودير»:

"كما سمعت تماما"

أعقب ذلك قول «بودير» بغضب:

"أنت تمزح! لا يمكنك فعل ذلك! لقد ظل أخي يحكم تلك البلاد سنين طويلة بكل ما أُوتي من قوة، وأفنى أكثر من عشرة أعوام في محاولة القضاء على ذلك المرض اللعين! لقد كونت أنا ذلك الجيش منذ أن كانوا أطفالا، وحرصت على أن يحصلوا على أفضل تدريب! ليس لك الحق بأخذ كل ذلك لأنك تشتبه أن أخي استعان بشخص تحوم حوله شائعات بكونه ساحرًا! لن أسمح لك!"

بدا الغضب كذلك في صوت دومين الذي أجابه:

"الزم حدودك، إنك تخاطب الملك، يمكنني حبسك أو إعدامك إثر ما تفعله الآن إن أردت"

هدأ دومين من روعه قليلا ثم أكمل:

"سأتناسى أسلوبك هذا فقط لأن والدي الملك الراحل لم يكن ليريدني أن أؤذيك"

"تؤذيني؟! أتعتقد أني"..

""بودير"، من فضلك!"

قاطعت دورسيرا «بودير» بنبرة عالية بعض الشيء، لكنها لم تكن بصرامتها المعتادة بل بدت قلقة، نظر لها «بودير» باستنكار:

"أكنتِ تعلمين بأمر ذلك القرار؟!"

لم تجبه دورسيرا، بل ظلت صامته تعلو وجهها نظرة جامدة، ولم تتفوه بشيء بينما دومين أجابه:

"أنا الملك، وتلك هي قراراتي، ولا يحق لأي شخص الاعتراض حيالها"

نظر دومين تجاه جوزيف مكملا:

"شيء آخر يا جوزيف، ما لدى المملكتين من المال يكفي

لفعل أشياء أكثر أهمية من إنفاقه على البحث عن علاج لمرض ببساطة لا علاج له، كم من السنوات حاولت إنهاء المرض وفشلت؟ لن تظل المملكتين تعانيان بسبب أملك الوهمي بأنك ستمنع المرض من قتله الناس كما قتل طفلك"

شعر جوزيف بالصدمة للدرجة التي لم يدرِ بها أصدمته وألمه بسبب ذكر دومين لطفله الراحل بهذا الشكل؟! أم لعلمه بما سيقوله دومين حتميا الآن؟!

"ستتوقف تماما عن محاولات إيجاد علاج للمرض الأزرق!"

***

[9]
وجهان للأميرة نفسها

سيراك، سيحاول جاهدا الفتك بك، سيلوح بسيفه حتى يصل لعنقك، صدرك، بطنك إن كانت نيته الموت السريع لك، ربما يحاول الوصول لقدمك أو ذراعك إن أرهقته في الوصول لأي من السابقين، أو إن أراد تلقينك درسًا فحسب، السر يكمن في تلك الكرتين الموجودتين في الجزء العلوي من رأسه، فبدونهما قد يستطيع إمساك السيف، لكنه لن يختلف عن أي أبلهَ يلوح بعصى غير مدرك إلى أين يوجهها، قد يكون أمهر الفرسان، أقوى المقاتلين، لكن بدون عينيه سيستطيع أي أحمق لا يفقه شيئا عن القتال الفتك به لمجرد أنه لا يرى، العينان هما مربط الفرس، العينان هما ما يجب شله حقا لتفتك بعدوك أولا ، بالطبع صعوبة الوصول لهما قد تصل لصعوبة قتل عدوك بالفعل، لذا فلمَ سيبالي بعضٌ بالوصول لهما إن سنحت له الفرصة بنحر عنق خصمه فحسب؟! لكن لحسن الحظ، هناك حاسة أخرى مؤثرة، مؤثرة للغاية ولا يمكن لأي درع أن يكون مصدًا لها، وهي ببساطة ‹الشم›، قد يبدو الأمر سخيفاً، لكنه مجدٍ تماما، وهذا كان سر قتال إخوة الظل الذي لم يستطع أحد التصدي له، الذي كاد يفتك بالشعبين الأحمر والأصفر في الحرب لولا استخدامهم للأسود، فكرت كيرا في ذلك وهي تتدرب على وضعيات القتال المختلفة التي علمتها إياها خالتها انستازيا، جميعها بالخناجر، لا وجود

للسيوف هنا، أخبرتها كذلك بوجوب دهن أحد الخنجرين بسم مميت، والآخر بسم تسبب رائحته الهلوسة وتشوش الرؤية، وإذا شعرت بالخطر، تلوح وتسدد الضربات بالخنجر ذي سم الهلوسة بالقرب من وجه الخصم، سيشم سمه على أيةً حال، لكن يمكنها التعجيل بذلك في حالة الخطر، بالطبع إن لم تشرب إكسيرًا معيناً ستؤثر رائحة السم بها أكثر من العدو مما سيقلب تقنيتها ضدها، رفضت انستازيا إعطاء كيرا أيّاً من تلك السموم أو الإكسير، وأخبرتها أنهم سريين للغاية، لذا لن تفصح لها عنهم إلا عندما ترى كيرا غرفة انستازيا المميزة حيث تحتفظ بتلك الأشياء، على الرغم من شعور كيرا ببعض الاستياء لرفض انستازيا، إلا أن هذا لم يزدها إلا فضولًا لرؤية تلك الغرفة وما تحتويه، وتغيرت فكرتها عنها قليلا، فصارت تتصورها غرفة تحتفظ فيها انستازيا بمزيدٍ من الخناجر وبسمومها المختلفة، أغمضت عينيها لهفوة مجمعة أنفاسها لينصب تركيزها على التدريب فحسب، ثم فتحتهما سريعا وأخذت تهوي بضربات الخنجرين اللذين أعطتهما لها خالتها انستازيا على دمية التدريب أمامها.

لم يمض كثيرٌ من الوقت حتى شعرت بالسخافة، أيةً دمية تدريب تتدرب عليها تلك؟! تريد لحما حقيقيا! تريد شخصا حقيقيّاً تثور أمامه وتجد مقاومة تزيدها استفزازا كي تفتك بمن أمامها، زفرت في ضجر وقامت برمي أحد الخناجر بعيدا بقوة شاعرة بالسئم، ثم سارت نحوه وانحنت لتلتقطه فرأت وجهها، ذلك الوجه الذي ينفر كل من يراه لسبب ما، لكنهم هم

الأغبياء، هم الحمقى. قامت بإخفاء الجزء الأيسر من وجهها، حيث تقبع عينها الحمراء، بدت مشابهة لوالدتها، لكن تلك المرة لم تتأمل مظهرها ذاك وتسعد بأنها تشبه مثلها الأعلى، بل بدأت تشكك هل مازالت تشعر بالفعل كما كانت تشعر سابقا حيال والدتها وحياتها السابقة؟ قامت بإخفاء الجزء الأيمن هذه المرة من وجهها وإظهار الأيسر، ثم تأملت مظهرها بعينها الحمراء فحسب، ظنت أنها ستسأم من ذاك الشكل، لكن على غرار المعتاد، فقد أشعرها بالثقة والسعادة، فهو لم يجلب سوى ذكرى خالتها انستازيا بمخيلتها، بينما مُحيت أي أفكار أخرى سابقة تتعلق بذاك المظهر، حقا لا يمكنها التصديق أنها أرادت يوما خزق تلك العين، إنها تبدو مدهشة!

"أتتكاسلين يا سمو الأميرة؟"

كان ذلك الفارس نيكول، فهو الموكل بالإشراف على تدريبها حين لا تكون خالتها موجودة، كثيرا ما تعتقد كيرا أنه رحل لكنه يظهر من العدم ليحثها على الاستمرار بالتدريب.

"نيكول فلتبارزني! أريد مبارزة حقيقية ليست دمية للمبارزة فحسب!"

"أعتذر للغاية يا سمو الأميرة، لكن عليك إتقان وضعيات القتال المختلفة أولا"

همت كيرا بالاستمرار في اعتراضها، لولا سماعها صوت خالتها انستازيا يقترب من على بعُد: «لمَ لا تبارزيني أنا؟»

ابتسمت كيرا وهي تلتقط الخنجر من على الأرض لتستعد، بدت خالتها بهيئتها المعتادة، الشعر المموج الثائر والفستان الفاضح بعض الشيء ذي اللون الأسود الذي تعتقد كيرا أن انستازيا ترتديه حبا فيه، وليس حزناً على موت والدها؛ فكيرا تكاد تقسم أن انستازيا لا ترتدي لوناً سواه، تعتقد كيرا أحيانا أن خالتها خليط من الأسود والأحمر؛ لحمرة عينيها وشفتيها ووجنتيها الدائم، نظرت انستازيا لكيرا ثم للخنجرين مردفة:

"أرجو أن أسمع ما يسعدني أقتلت أحدا؟"

"كلا، لا تقلقي لم أصب أحدا بمكروه"

"إذن أنا لست سعيدة"

نظرت كيرا لانستازيا ببلاهة لا تدري أهي تمازحها أم تتحدث بجدية.

"أتودين أن أصيب أحدهم بمكروه؟!"

"ألا تودين أنت ذلك؟"

أتريد ذلك؟! لن تكذب، فقد شعرت بالنصر حين أذت رئيس الخدم وبعض الخادمات، لكنها لم تؤذِ أحدًا بدنيّاً من قبل، ترى أسيشعرها ذلك بالسعادة، الحقيقة هناك بعض من يستحقون ذلك كسيلين وأدريان، شعرت كيرا بالحزن والغضب لتذكرهم، لكنها في النهاية اختارت الصمت ولم تجب على سؤال انستازيا، نظرت انستازيا جهتها وضحكت بصوت عالٍ:

"فلتشني هجومك إذن"

"لكن ألن تحملي أسلحتك؟!"

"أنا دوما أحملهم لكني لا أرى ضرورة حاليا لبذل مجهود بيديي لإمساكهم"

شعرت كيرا بالسخط لاستهزاء انستازيا بها، لكن جزء منها أعجب بثقة خالتها وأراد أن يصير مثلها.

"أؤكد لكِ أنك ستحتاجين لإمساك أسلحتك يا خالتي!"

ضحكت انستازيا:

"سأعقد اتفاقاً معكِ يا كيرا؛ أنا لن أستخدم ذراعي للدفاع حتى"..

أردفت وهي تضع يديها خلفها ثم أكملت:

"وإن استطعت طعني ببطني سأمسك سلاحًا في إحدى يدي فحسب، لكن إن لم تستطيعي ستساعدينني بأمر ما!"

على الرغم من صدمة كيرا من شرط خالتها، إلا أنها ازدادت سخطا لذلك قررت الانسياق في ذلك الاتفاق، بالطبع هي لن تؤذي انستازيا لكنها ستريها أنها تستطيع الاقتراب من ذلك. أمسكت خنجريها لأسفل جانبها الأيسر وهمت بالهجوم سريعا على انستازيا، لكن خالتها استدارت سريعا لجانب كيرا الأيمن، وركلتها بإحدى قدميها بقوة مسقطة كيرا أرضا، اللعنة لقد كان هذا سريع للغاية، فكيف أدت انستازيا حركتها بتلك السرعة؟! تساءلت كيرا بحنق:

"يا سمو الأميرة كيرا لقد خلقتِ نقطة عمياءَ لتوك."

أردف الفارس نيكول بينما يشاهدهما، وقفت كيرا ثم شنت هجومً ا آخر بكلا الخنجرين، لكن في هذه المرة ركزت على حماية كلا جانبيها، تفادت انستازيا ضرباتها، ثم فجأة التفت لفات غريبة؛ فتشتت انتباه كيرا، شعرت كيرا أن جزءًا من الثانية لم يمرَّ حتى كانت انستازيا قد ركلت مفصل ركبة كيرا الأيمن مسببة انحناءه، وبالتالي انحناء كيرا وفي تلك اللحظة دعست انستازيا على رسغ كيرا الأيمن، مما آلم الفتاة بشدة وأجبرها على إفلات الخنجر من يدها، فدفعته انستازيا بعيدا

بقدمها الأخرى، همت كيرا بإصابة ساق انستازيا بالخنجر الآخر، فابتعدت انستازيا سريعا محررة رسغ الفتاة.

"سمو الأميرة كيرا، حينما يبدو قتال من أمامك أغرب ما يكون، يجدر أن تصير استجابتك أسرع لا أن تتشتتي"..

تحدث الفارس نيكول مجددا، عادت كيرا للهجوم، وقد أقسمت أنها لن تترك مجالا لانستازيا للقيام بلفاتها تلك مجددا، صوبت ضرباتها بخنجر واحد نحو خالتها، لكن انستازيا تفادتهم جميعا، ثم همت بالالتفاف لجهة اليسار، لكن كيرا انتبهت لذلك فعادت للخلف بظهرها، والتفت لتصير مواجهة لانستازيا دافعة بخنجرها لجهة اليسار، فانحنت انستازيا سريعا لتتفادى تلك الضربة، مما أشعر كيرا ببعض النصر؛ فقد كادت تظفر بتلك الضربة، لكن لم تمرَّ ثوان حتى أصاب وجنتها ألم لا يوصف، وسقطت أرضا بقوة وكذلك سقط الخنجر من يدها، فيبدو أن خالتها قد ركلت وجهها من الجهة اليمنى، أبعدت انستازيا الخنجر كسابقه بعيدا عن متناول كيرا.

"سمو الأميرة كيرا، لقد ركزت على النصر كثيرا فلم تدركي أن تلك لم تكن سوى حيلة لاستدراج اهتمامك للجانب الأيسر"..

ختم نيكول حديثه.

زمجرت كيرا وهي تمسك بوجنتها بألم، ولكنها شعرت بأن انستازيا مذهلة! ليتها تصير بقوتها تلك!

"لم يكن ذلك أسوء ما عهدته، لكنني لم أستمتع كثيرا مع الأسف، نيكول ارحل"

أشارت خالتها للفارس بحركة يدها بالرحيل، انحنى نيكول لكليهما ثم انصرف بينما وقفت كيرا:

"ستساعدينني إذن يا كيرا فالعاهرة تود إزعاجي!"

"أتعنين سيلين؟!"

"اسمها الفعلي هو 'العاهرة'، سيلين ليس سوى لقب ظن أبواها أنه مناسب لها، العاهرة تريد إزعاجي بطريقة ما ولا يعجبني الأمر."

"ماذا تريدين أن نفعل حيالها؟"

"أردت قتلها لكن واسفاه فالموت رحمة لا تستحقها العاهرات أمثالها"

"إذن ماذا سنفعل؟" تنهدت انستازيا ثم أجابت: "سأسير حتى غرفتي وأطلب مشروبي المفضل، ستصفف إحدى

الخادمات شعري بينما أملس بيدي على الهول الأسود" .

كان ‹الهول الأسود› الاسم الذي أطلقته انستازيا على نمرها الذي يقرب لضعف طولها أو ربما ثلاثة أضعاف، إنه مهول الحجم هذا لا شك فيه، لونه أسود تماما وعيناه دمويتان، خليط من الأسود والأحمر كمالكته تماما، أهُدي لانستازيا من قبل أخيها ميستريو، ومنذ مجيئه للقصر لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه سوى انستازيا؛ فمظهره يجمد الدماء في العروق، حتى إن الخادمات دوما ينتابهن الرعشة حين يلبين أوامر انستازيا في أثناء وجوده بالقرب منها، وعدت انستازيا كيرا أنها ستريها إياه، بل وأنها ستجلب لكيرا نمرا أو أسدا خاصًا بها، قاطعت انستازيا أفكار كيرا مكملة حديثها:

"وأرجو ألا انتظرك كثيرا لتعودي لي بمحتوى الخطاب الذي تزعجني به العاهرة"

***

لم يستغرق كيرا كثيرًا من الوقت لتصل لجزء القصر الذي تقع به غرفة سيلين، ولم يكن عليها سوى التظاهر بأنها أحد الخادمات، وأنها أتت للتنظيف، فلا يعلم أحد في القصر حقيقة هويتها سوى قلة، لا تظن أنها فكرت حتى إن كانت تلك فكرة سديدة أم لا ، شعرت أن الأمر سيكون جديدًا ومسلياً فحسب، كذلك فقد فازت انستازيا في المبارزة لسوء الحظ، كما أن

سيلين تلك صارت مزعجة بحق، تتصرف كأنها مالكة القصر بل والحكم في المملكة الغربية، والحقيقة أنها ليست سوى دخيلة، شمطاء، أنانية، حقيرة، شعرت كيرا بالبغض حقا حينما دارت خواطرها حول سيلين، وفكرت أن الحياة لصارت أكثر سهولة ومتعة إذا سحقوا رأس سيلين في الجدار فحسب، لكن ذلك غير مقبول، لا تدري كيرا السبب حقا، فلا أحد يطيق تلك العاهرة، أخبرتها انستازيا أنها تتفق مع رأيها، لكنها مع الأسف لا تملك القوة لسحق تلك الشمطاء؛ لذا عليهما معرفة ما الذي تنوي العاهرة فعله وقلبه ضدها، كانت مهمة كيرا معرفة محتوى الخطاب الذي يحوي نوايا سيلين وتوصيل ما علمته لانستازيا، أمر بسيط وواضح وسهل بالنسبة لها، نظرا لصغر حجمها وقدرتها على التسلل، كما أن حتى إن تم الإمساك بها، فماذا حقا سيستطيعون فعله لأميرة ابنة أميرة؟! ما زاد سهولة الأمر كذلك، هو أنها اختارت وقتَ تناول أغلب الحراس والخدم للعشاء؛ لذا لا يوجد من يزعجها أو يلمحها على الرغم من أن جزءًا بداخلها أراد أن يجدها أحد ما لتبطش به وتشعر بروح المغامرة، صارت غرفة سيلين على مرمى بصرها، كان عليها الاستدارة فحسب لتدخل ممر الغرفة ثم الغرفة، لكن هناك حارس أبله يحرس الممر، ‹حسنا إذن سيكون هناك مزيدٌ من التسلية، رائع للغاية›، فكرت كيرا مبتسمة بخبث، ثم أخرجت حجرًا أخفته في ملابسها، ضيقت عينيها ‹حسنا، إنشان للأعلى›، ثم قذفت الحجر بكل قوتها صوب الحارس، لكن الأمور لم تسر كما خططت له، فذاك الأحمق لم يسقط، أخذ يسب ويلعن فحسب وهو يمسك بجبهته التي تسيل منها

الدماء، ثم رفع رأسه محاولا البحث عمن قام بذلك، اللعنة، إنه يتجه نحوها، لم تدرِ كيرا حقا ماذا تفعل؟ فهي لم تخطط لحدوث ذلك، وجدت نفسها تلقائيا تفتح أقرب باب مجاور لها حيث يمكنها التخفي قبل أن يعثر عليها الحارس، حيث إنه كان على مشارف ذلك ثم أغلقت الباب خلفها، كانت تلك غرفة الخائن أدريان! لم تدرِ كيرا ذلك سوى بعد ثوانٍ من دخولها، تنفست الصعداء ثم سمعت الباب يطرق بقوة، يبدو أن ذلك الحارس الغبي سمع غلق الباب، بلعت كيرا ريقها ثم حاولت تقليد صوت الخائن أدريان مردفة:

"من الطارق؟"

"سمو الأمير، أعتذر حسبت فحسب أن" ..

بدا صوت الحارس مرتبكا أكملت كيرا:

"تعتذر؟! يا لك من جريء! لا تطرق بابي مجددا أيها الغبي وإلا قمت بنفيك أو إعدامك!"

لم تدرِ كيرا أكان الصوت بالفعل مقارب لصوت ابن خالها أم لا، لكنه أبعد الحارس بلا شك، أخذت كيرا تتجول في الغرفة وهي تفكر بخطوتها التالية، لم تدرِ حقا ماذا ستفعل الآن كي تستطيع دخول غرفة سيلين، سارت للشرفة، كانت واسعة تبدي مظهر عاصمة المملكة الغربية بأضوائها في الليل،

لحسن الحظ كانت مقاربة لشرفة سيلين للحد الذي يسمح لكيرا بالقفز لها دون أن يصيبها مكروه، أو هذا ما أملته لكنها لم تفكر كثيرا وكانت قد قفزت بالفعل من شرفة غرفة أدريان لشرفة غرفة سيلين، دخلت للغرفة متجهة صوب المكتب مباشرة بعد إلقائها نظرة سريعة على الغرفة، تحت أي ظرف آخر لرأت كيرا تلك الغرفة غرفة عادية، لكنها غرفة العاهرة لذا فتبدو غاية في العهر! أخذت تبحث عن الخطاب الذي يكشف عن نوايا سيلين، لكنها لم تجد شيئا، لم تجد سوى خطاب واحد موضوع على المكتب، كان مفتوحًا بالفعل، ولم تستطع تمييز مصدره، شرعت في قراءة ما كُتب به:

"عزيزنا الملك، لم يفُترض أن يموت بتلك السرعة، المرض ليس ما تسبب في موته، ولا أدري ما تسبب بذلك، الأميرة الشقراء لا تتقبل ما حدث لابنتها، ويثير ذلك جنونها وقد يدفعها لأذية أي شخص قد تسبب بشكل أو آخر في أذية ابنتها، حتى إذا وصل الأمر لأذية إخوانها وأولادهم، حتى إنها خالفت المحرمات وحاولت الاستعانة بالسحر، مرسلة عالمًا ومساعدته للبحث عن حل في أنقاض مقر الحالمين، يشك بعضٌ في أنها ربما لديها علم بسبب الموت المبكر للملك والدها، فهي آخر من تواجدت في غرفته تلك الليلة، قد رأيت ذلك بأم عيني، من يدري ربما هي من تسببت بذلك الموت.

خادمك المخلص»

الضباب ذلك هو تحديدا ما شعرت به كيرا، ما هذا الخطاب؟ من ذاك الخادم المخلص؟ يبدو كجاسوس لسيلين يراقب تحركات والدتها دورسيرا ويبلغ سيلين بها على الفور؟ تلك الحقيرة أتبعث جواسيس لوالدتها؟! شعرت كيرا بالغيظ يتملكها، ولكن ما الذي يعنيه بأنقاض مقر الحالمين؟! من هذا العالم الذي يتحدث عنه؟ أحقا والدتها قد تفعل شيئا كهذا؟! تستعين بالسحر؟! السحر محرم تماما دون جدال، لم ولن يجلب سوى الشؤم واللعنة، هل ما قاله عن موت جدها الملك صحيح؟! هل يمكن حقا أن تكون والدتها لها علاقة بذلك؟! والدتها قوية، والدتها حازمة، لكن أحقا ستفعل شيء كهذا؟! كلا، كلا، كل ذلك كذب بلا شك فوالدتها لن تفعل شيئا كهذا مطلقا! عليها مناقشة الأمر مع انستازيا؛ فهذا لا يمكن أن يكون حقيقيّاً! كادت تعود لتقرأ الخطاب مجددا؛ فهي لم تستطع استيعاب ما كُتب، لولا سماعها صوت مقبض الباب يلُف ويفُتح الباب.

"كيف حدث ذلك؟!"

هرعت كيرا للشرفة بينما هي تسمع سيلين تتساءل بصوت عالٍ، ليجيبها على ما يبدو ذلك الحارس الذي أصابته كيرا:

"لا أدري سموك، لقد شعرت بألم ذلك الحجر فحسب، ولم أجد أحدا حتى أني حاولت سؤال سمو الأمير أدريان لكن ذلك أغضبه"

"إن كان هناك شخص يصيب الحراس فعلينا إيجاده فورا! هل تفحصتم كل الأماكن؟"

"أجل سموك!"

عند ذلك الحد حاولت كيرا القفز سريعا لشرفة أدريان، لكن سرعتها تسببت في انزلاق قدمها مما أدى لتعثرها وعدم هبوطها لداخل الشرفة، بل بالكاد استطاعت أن تمسك النهاية السفلية لسور الشرفة بإحدى يديها في اللحظة الأخيرة، ذعرت كيرا رافعة يدها الأخرى لتمسك بنهاية السور بينما هي تشهق بصوت منخفض، فقد كادت تهلك بلا رجعة، والآن إن لم تجد حلا سريعا لتصل لداخل الشرفة، فستؤول للمصير نفسه، ازدادت أنفاس كيرا وحاولت تسلق السور بيدها، لكن اللعنة ذراعيها مازالا ضعيفين حتى بتمرينات القتال التي تمرنت عليها.

"كيف دخل شخص كهذا للقصر بالمقام الأول؟!" مازالت سيلين تتساءل بصوتها الصارم.

"لابد أنه شخص يوجد بالقصر بالفعل سموك، ربما هو شخص يهزأ فحسب، فنحن لا ندخل أي شخص القصر سوى بعد التأكد من هويته ونواياه وتجريده من أسلحته إن كان ليس من حراس الأسرة الملكية أو حراس ضيوف الأسرة الملكية"

شعرت كيرا بيديها تخونانها وتوشكان على الإجهاد تماما والانزلاق، زمجرت محاولة التسلق مجددا، لكن ذلك لم يفعل شيئا سوى انزلاق إحدى يديها، لماذا قررت فعل كل ذلك من البداية؟! تساءلت وهي تشعر بذراعها الممسكة بالسور، تكاد تنفصل عن باقي جسدها من شدة الألم.

"هل تفحصتم الشرفات؟!"

"كلا سموك!"

"وتخبرني يا عديم القيمة أنكم تفحصتم كل الأماكن؟! فلتتفحص الشرفات فورا!"

صاحت سيلين، شعرت كيرا بيدها تحترق، شعرت بأنها لا تستطيع أن تستمر بالتشبث بها، حاولت منع ذلك، لكنها وجدت يدها لا إراديا يقل تشبثها، كلا، كلا! صاحت أفكارها، لكنها فجأة وجدت من يجذب يدها لأعلى ثم يمسك بذراعها مساعدا إياها لتخطي السور والدخول للشرفة، سقطت كيرا لداخل الشرفة متنفسه الصعداء، لكنها لم تلمح من فعل ذلك حتى وجدته يوقفها على قداميها بقوة جاذبا إياها لداخل غرفة أدريان، ثم تاركا إياها أعلى مقعد لتلهث من هول ما كاد يصيبها.

"سمو الأمير، هل تسمح لي بفحص شرفتك؟!" سمعت كيرا

صوت الحارس.

"كلا، فأنا أريد الراحة!" كان ذلك صوت أدريان.

"سموك إنها أوامر والدتك الدوقة سيلين!"

"أخبرتك أني أريد الراحة!"

"أمر سموك!"

لم تدرِ كيرا أكان الحارس يحدثه من الباب أم من شرفة سيلين، لم تدر ولم تهتم سوى بأنها نجت بشكل ما، بمساعدة الخائن! انتظرت كيرا أدريان ليسألها أو يحادثها، لكن ذلك لم يحدث، نظرت كيرا صوبه من بين أنفاسها لتجدها عاقدا ذراعيه وهو ينظر لها بغضب:

"ما الذي تفعلينه أيتها الحمقاء؟! أتحاولين التسلل لغرفنا؟ أم تحاولين قتل نفسك؟"

تساءل أدريان بنبرة غاضبة، شعرت كيرا بدمائها تغلي، فمن يَحسب نفسه؟! إنه ليس سوى خائن! خائن! وثقت به وخانها!

"لا تنادِني بالحمقاء أيها الخائن، أنا الأميرة كيرا ابنة الأميرة دورسيرا وأفعل ما يحلو لي!"

أردفت بغضب وهي تقف بمواجهته، هز رأسه غير مصدق ثم تساءل باستنكار:

"خائن؟! عمَّ تتحدثين؟! لقد كدت تقتلين نفسك! هل أنت حمقاء لذلك الحد؟!"

والآن ينكر خيانته؟! شعرت كيرا أنها لم تعد تتحمل سماعه:

"أخبرتك ألا تنادِني بالحمقاء أيها الخائن!"

صاحت دافعة إياه بقوة، لكن ذلك لم يؤثر كثيرا به، هز رأسه مجددا ثم أردف بسخرية وهو مصدوم:

"أنتِ مجنونة بالفعل! لقد قذفتِ حارسًا بحجر وتسللتِ لغرفتي وغرفة والدتي وكدت تموتين وفى النهاية تتجادلين بشأن.. أنا حتى لا أدرك ما الذي تتجادلين بشأنه؟ أتدركين ما كان سيحدث لكِ إن لم أدخل الغرفة في ذلك الوقت؟! ما كان سيحدث إن تسببت في مقتل الحارس؟! أو إن اكتشف أحد تسللك؟! ألا تفكرين قبل القيام بأي شيء؟!"

"آووه، كلا، كلا، كلا، لا تشعر بالشفقة حيالي يا أدريان، تناول روث حيوانات قبل فعلك لذلك!"

لم تصدق ما تفوهت به لتوها، لكنها تذكرت كلمات انستازيا

‹لا قواعد›، نظر لها أدريان بذهول:

"لقد تجاوزتِ حدودك! كيف تتحدثين بذلك الشكل؟!"

"بل أنت من تجاوزت حدودك أيها الخائن، لقد سمعتك وعلمت كيف تشعر تجاهي تماما، لذا لمَ لا تتوقف عن التظاهر بأنك صديقي وتكترث لحالي وتظهر أنك لا تختلف عنهم جميعًا؟! أنت مثلهم تماما، جميعكم حمقى!"

لا تدري لمَ شعرت بالحزن لقولها لذلك أكثر من شعورها بالغضب، بدا أن أدريان أخذ يستوعب ما قالته، انتظرت إجابته أو بمعنى أصح سببه لقول ذلك لكنه لم يجب، تساءلت بسخط:

"ماذا، هل أكلت القطة لسانك؟!" احتدت نظرته ثم أردف:

"ليس لدي ما أخبرك به"

لن يعتذر؟! لن يخبرها حتى بحجة واهية؟! كادت أن تثور لولا مقاطعة أدريان بصوت ضجر:

"ربما قد أكون قد استمتعت بصحبتك يا كيرا، لكن في النهاية ستظلين هجينة من نسل أعدائنا إخوة الظل"

لقد سمعته من قبل، وعلمت كيف يشعر نحوها، لكن لماذا؟! لماذا تأكيده لحديثه السابق صدمها لذاك الحد، للحد الذي جعل حبسها لدموعها أصعب شيء في الوجود، تساءلت كيرا بألم غير مصدقة، لماذا لا تلقنه درسا فحسب كما أقسمت، طأطأت رأسها أرضا بعينين واسعتين، أكمل بنبرة لا مشاعر بها:

"إخوة الظل تسببوا في وجود المرايا والمرض الأزرق وشخص هجين هو من سيتسبب بهلاكنا"..

لم ينهِ جملته حتى كانت قد صفعته بالفعل؛ فلم تتحمل مزيدًا، مزيدًا من صوته أو من حديثه أو من الحرقة بصدرها، لم يعرف أحدٌ حقيقتها، لم يحاول أحد للحظة معرفتها حتى منذ يوم المرايا ذاك، حتى من عرفوها محوا كل ما علموه عنها يوما، حسبته سيكون كأخيها فين، لكن سيراها كما هي وليس بالهيئة التي صار يراها فين بها، وبالفعل صار أدريان مثل فين، فكلاهما يريانها هجينة قذرة فحسب، ظلت تنظر له بسخط وكراهية غير عاديين، بينما أمسك هو بوجنته التي تم صفعها لوهلة ثم تركها ناظرا لكيرا مجددا وأكمل بالنبرة السابقة نفسها:

"لا أريد رؤيتك مجددا!"

"جيد! فأنا لا يمكنني أن أصف لك كم أكرهك، أنا أكرهك

أكثر من كل هؤلاء الخادمات، ومن رئيس الخدم ووالدتك كلهم مجتمعين سويا، أنا أكرهك أكثر من المرايا والمرض الأزرق، أنا أكرهك أكثر من فين ووالدتي"

كانت منفعلة للغاية حتى إنها شعرت بأن صوتها بدأ يتغير، وبدموعها على وشك أن تخونها، تبدلت ملامح أدريان قليلا، بينما صاحت كيرا بصوت عالٍ في وجهه:

"أنا أكرهك!"

وسارت بخطوات سريعة لتخرج من الباب، لتجد حارسين أمامها، أحدهما من قذفت برأسه ذلك الحجر، أزاحتهما لتسير مبتعدة لتجد صوت سيلين يناديها ويسألها بحدة:

"ما الذي تفعلينه بهذا الجزء من القصر؟!"

"والدتي، لقد دعوتها"..

همَّ أدريان أن يكمل، لكن كيرا قاطعته بنبرة متحدية مخاطبة سيلين فقد شعرت بالغضب والغل يتمكن منها تماما:

"أتدرين ماذا يا سيلين؟! لقد جئت هنا، لهذا الجزء من القصر، قصر جدي الملك الراحل ومن بعده أخوالي ووالدتي، لأنني وددت فعل ذلك فحسب! لأني أميرة ابنة أميرة، ولست

مجرد دخيلة على الأسرة الملكية تتدخل فيما لا يعنيها!"

بدا الغضب جليا على وجه سيلين:

"هل جننتِ؟! ما الذي تقولينه أيتها الفتاة؟!" أجابت كيرا بتحد وسخط:

"ما سمعته تماما!"

***

من هو ذلك الجاسوس القذر؟! منذ متى وسيلين تبعث جواسيس لوالدتها؟!

"ألم تجدي خطاباً آخر؟"

قاطعت انستازيا تساؤلات كيرا في أثناء سيرهما في تلك الممرات الواقعة من الجزء السفلي من القصر، متجهتان للغرفة التي تحدثت عنها انستازيا كثيرا، هزت كيرا رأسها نافية، عمَّ الصمت قليلا حتى لم تعد كيرا تتحمل عدم معرفة إجابة كل تلك الأسئلة بعقلها:

"خالتي انستازيا، هل كنت تعلمين بأن سيلين تبعث الجواسيس لوالدتي؟!"

قهقهت انستازيا مجيبة بنبرة درامية:

"يا للهول، تلك العاهرة تحتاج للموت بالفعل، إنها لا تنفك عن إزعاج أسيادها فحسب، أخبرتها من قبل أن تجد هواية لكني أخشى أن درب العاهرات الذي تسيره هذا قد دمر عقلها تماما"

لماذا لا يوقف أحدٌ سيلين تلك عند حدها؟! تساءلت كيرا وقد تملكها الغيظ:

"لماذا يتركونها تستمر بفعل ذلك، والدتي وأخوالي؟! لماذا لا يعاقبونها فحسب؟! إن لم يفعلوا ذلك فسأفعل أنا ذلك!" نظرت لها انستازيا بدهشة ثم انفجرت ضحكا.

"ما المضحك؟!"

تساءلت كيرا بمزيد من الغيظ، ولكن ذلك لم يزد ضحك انستازيا سوى اشتعالا، حاولت خالتها أخذ أنفاسها ثم كومت وجنتي كيرا بين يديها ضاغطة بشدة عليهما، ثم أردفت بصوت سخيف من بين ضحكاتها:

"يا للهول كم أنت لطيفة"

إنها غريبة الأطوار، أبعدت انستازيا يدها عن وجه كيرا،

وكانت قد هدأت بعض الشيء ثم أكملتا السير.

"لكني لم أراك مستاءة بذلك الشكل منذ حاول ذلك الرجل قتلك في أثناء خطبة العاهرة المملة، أربما ذلك بسبب ما قرأته حيال والدتك؟!"

إنه كذب! ما كُتب بذلك الخطاب حيال والدتها كذب! أجابت كيرا بحدة "والدتي لم ولن تكن لتفعل هذا أبدا!"

توقعت كيرا أن تجيبها خالتها إجابة غير مفهومة، لكن عوضا عن ذلك أومأت انستازيا مبتسمة ابتسامتها المعهودة:

"أنتِ محقة؛ فأكثر شيء مؤكد حيال والدتك أنها مهما تظاهرت بأنها شمطاء باردة عديمة الإحساس، فهي تكترث لعائلتها المقربة أكثر من أي شيء"

شعرت كيرا بالغضب لما لقبت انستازيا والدتها به وهمت بالرد، لكن انستازيا أشاحت بوجهها بعيدا لوهلة لم تتعدَّ الثواني، لكنها لم تفعل ذلك أبدا من قبل، بدا ذلك غريبا.

"لا تلقبي والدتي بتلك الألقاب مجددا، أتفهمين؟!"

"يا لكِ من سليطة اللسان يا كيرا! يعجبني ذلك! أريدك أن تستمري بمعاملة الناس بهذا الشكل!"

تعجبت كيرا من رد خالتها، لكنها ابتسمت في النهاية ثم تذكرت أمرًا ما قائلة:

"يجدر بنا إعلام خالي نايلس بأمر الجواسيس التي تبعثهم زوجته حين يصل، لا أدري لماذا لم يصل حتى الآن"..

"من يدري؟ ربما يستغله خالك دومين لأمر ما كما استغلته والدتك من قبل لإحضارك هنا، تعلمين لأن نايلس خانع للغاية، أعني مطيع للغاية".

كادت كيرا أن تسأل عمَّا تعنيه انستازيا لولا وصولهما أمام ذلك الباب، باب لم تمر به كيرا من قبل، فتحته انستازيا ليقودهما لسلالم سفلية، هذا غريب، حسبت كيرا أن حيثما وُجدوا كانت أقصى الأدوار السفلية الموجودة بالقصر، لم تدرِ أن هناك مزيدًا، كانت سلالم عادية متوسطة الحجم والعرض، يغزو أغلبها الظلام الدامس، فالموجود من المشاعل كان قليل العدد، نزلت انستازيا سريعا كأنها قد حفظت خطواتها بالفعل، بينما كيرا تحسست الحائط بجانبها كثيرا من فرط الظلام المحيط.

"لماذا لا يوجد سوى مشاعل معدودة؟!"

تساءلت كيرا بينما تحاول أن تلمح انستازيا التي لم تعد ضمن مجال رؤيتها.

"إن الظلُمة أكثر شاعرية"

بدا من بعُد صوت انستازيا أنها قد وصلت لنهاية الدرج بالفعل، أكملت كيرا نزولها حتى وصلت في النهاية لمكان أشبه بالقاعة الواسعة المهجورة، توجد طاولة ضخمة بمنتصفها وُضع عليها حاملة شموع مضاءة، لم تدر من قام بإضاءتها، وقفت انستازيا بجوار تلك الطاولة ثم أمسكت بحاملة الشموع، حاولت كيرا تمييز باقي أجزاء القاعة، لكن ضعف الإضاءة لم يساعدها، سارت انستازيا بحاملة الشموع حتى نهاية القاعة لتعبر باباً آخر، قاد ذلك الباب لممر ليس به مشاعل إطلاقا، لولا حاملة الشموع تلك لما رأتا شيئا، كان ممرًا طويلًا بعض الشيء، لكن انستازيا سارت بخطوات واثقة، فيبدو أنها تحفظ المكان عن ظهر قلب، أخيرا بعد عديدٍ من الخطوات والصمت وصلتا لنهاية الممر حيث يوجد باب آخر، غريب الشكل قليل، أخرجت انستازيا مفتاحًا أخفته بفستانها ثم نظرت لكيرا مردفة:

"قاعدة 'لا قواعد' لا تسير بالداخل، سنسير بقواعدي أنا"

أبدى الظلام وضوء الشموع بجانب وجه انستازيا بعض الرهبة لمظهرها، أومأت كيرا ولم تهتم كثيرا لمغزى الكلام، فقد اقتربت للغاية من معرفة السموم المختلفة واستخدامها في أثناء التدريب والقتال، فحقا ما القواعد الذي قد تخبرها بها انستازيا غير 'لا تلمسي هذا' أو 'لا تقومي بذاك'.

"القاعدة الأولى: لا تردد ولا تراجع!"

قالت انستازيا وهي تولج المفتاح بالباب ثم تديره ليفتح الباب، دخلتا الغرفة، كانت مظلمة تماما، اشتمت كيرا روائح مقززة لم تستطع تحديدها، ربما لأنها لم تعهدها من قبل، لكنها كانت كريهة حقا، أشعرتها بالاشمئزاز، أغلقت انستازيا باب الغرفة بينما سمعت كيرا صوت أقدام غريبة تسير على الأرض، فقد بدا صوتها مختلفاً عن صوت سير الأقدام العادية، وبدت حكة بصوتها تشبه حكة الأظافر أو المخالب بالأرض الصلبة، كذلك شعرت أنها تسمع ما يشبه صوت البكاء الخافت، كانت كيرا على استعداد لمواجهة أي شيء، لكن كل تلك الأجواء أصابتها ببعض التوتر، أشارت لها انستازيا بالتقدم، فتقدمت الفتاة بخطوات ثابتة حتى اعترض طريقها ظهر مقعد ما، بدا أن شخصًا ما يجلس أعلاه، لكنها لم ترَ شيئا منه إلا الشعر فحسب، جاور المقعد طاولة صغيرة يعلوها خنجر، زاد توترها وهمت أن تلف حول المقعد لترى من يجلس أعلاه لولا سماعها لانستازيا تتحدث:

"لنرى كينونتك الحقيقية الآن"

ها هي خالتها تعود لكلامها غير المفهوم، نظرت كيرا صوبها متسائلة

"ماذا تعني بكينونتي الحقيقية؟! أين هي السموم؟!"

ضحكت انستازيا ثم جاوبتها:

"تسألين كثيرًا من الأسئلة، هذا ممل.."

سارت خالتها مبتعدة عنها حتى اختفت في الظلام، لم تدرِ كيرا ما الذي تفعله خالتها، لم تمضِ ثوانٍ حتى عادت انستازيا وفي يدها قارورة صغيرة الحجم تحوي سائلًا شفافاً لم تستطع كيرا تمييز لونه بسبب الإضاءة الخافتة.

"هاكِ، فلتلعبي به قليلا ولا تصيبيني بالصداع"

أردفت وهي تعطي القارورة لكيرا، نظرت الفتاة للقارورة بحيرة.

"ما هذا؟!"

"أسئلة، أسئلة لا تنتهي، إنه سم يسبب العمى المؤقت، لكن إن لم يتناول الضحية الإكسير فورا فسيؤثر على صحة بصره فيما بعد ويضعفه، ألا يبدو ذلك واضحا؟!"

زفرت خالتها بملل، قامت كيرا بتأمل القارورة بينما تحدثت انستازيا.

"والآن من أنتِ؟!"

نظرت لها كيرا بحيرة ثم وضعت القارورة أعلى الطاولة الصغيرة وهمت بالإجابة:

"أنا كيرا ابنة"..

"كلا، من أنتِ؟! أأنت أميرة شجاعة قوية لا تهاب شيئا؟ أم مجرد فتاة منبوذة تكره نفسها وتكره جميع الناس وتتظاهر بالقوة فحسب؟!" سكنت انستازيا لثوانٍ ثم أكملت تساؤلها:

"أم أنك كما يقول جميع الناس وحش وهجينة قذرة؟!" شعرت كيرا بالغل يشتعل بداخلها وأجابت بحدة:

"أنا التي سأنحر عنق أي شخص آخر يلقبني بذلك اللقب!"

"لا تنفكِّين عن جعلي أزداد فخرا بكِ، لكن عليك أن تثبتي لي ذلك"

"أنا على أتم الاستعداد!"

"أغمضي عينيكِ، رددي ببالك ما تعلمتيه مني، ثم افتحيهما وطبقي ما تعلمتيه على الجثة الموجودة أعلى المقعد"

أخذت انستازيا حاملة الشموع مبتعدة عن كيرا، أغلقت كيرا عينيها، شعرت لوهلة أن الإضاءة ربما ازدادت بعض

الشيء، فربما قامت انستازيا بإشعال بعض الشعلات الأخرى في الغرفة، لكنها حاولت عدم الاهتمام والإغفال عن كل شيء، أخذت تتذكر ما تعلمته من انستازيا ببالها، لم تمضِ سوى ثوانٍ حتى فتحت عينيها على مصراعيهما وأمسكت بالخنجر الموجود أعلى الطاولة الصغيرة المجاورة للمقعد، ثم لفت حول المقعد سريعا لتواجه الجثة الموجودة أعلاه، همت أن تبرح الجثة طعنات لولا أن ما رأته صدمها، لم تكن جثة، لم تكن سوى خادمة مكممة تنهال دموعها بشدة في صمت، يداها وقدماها مقيدتان في المقعد وليس بحبال، بل بما يشبه أطواق مصنوعة من معدن ملتفة بشدة حولهم، بل وتحتوى تلك الأطواق على ما يشبه المسامير مغروزة في الجلد؛ محدثة جروحًا غائرة تساقط منها الدم حتى تجلط وصار أشبه بالجبل الثلجي المصغر ولكن أحمر اللون، لم تنطق الخادمة، لكن عينها وشت بكل ما كانت لتقوله، فقد امتلأت عيناها بالرعب والتوسلات، شعرت كيرا أنها رأت تلك الخادمة من قبل، ابتعدت عنها بضع خطوات شاعرة بالهول من مظهرها، نظرت حولها باحثة عن انستازيا، لكنها أدركت حينها كم صارت الرؤية أسهل بكثير عن ذي قبل، وكم صارت أركان هذا المكان البشع الملقب بـ›غرفة انستازيا المميزة‹ واضحة، ركن ممتلئ بقوارير مختلفة الأحجام والألوان، حائط كامل لسكاكين وخناجر بأشكال وأنواع مختلفة، وليست كأي خناجر رأتها من قبل، فيبدو أنها مختصة بتمزيق الأحشاء إربا، لكن ما أثار فزعها حقا، كانت أشلاء جثة ما ملقاة في أحد تلك الأركان مشوهة لدرجة لا تبدو معالمها، يجلس بجانبها نمر رهيب ذو

مظهر مرعب بعينين حمراوين كالجمرة المشتعلة، كان حجم جسده مهولا ذا لون أسود تماما، ينظر نحوها بثبات بينما ينسال خيط من الدم من فمه، شعرت بيدها تهتز حتى كادت تسقط الخنجر.

"ما رأيك بغرفتي؟! مميزة بحق، أليس كذلك؟!" سمعت انستازيا تتحدث وهي تتجه نحوها.

"آووه أرى أنك قابلتي هولي الأسود بالفعل"

أكملت انستازيا حديثها ناظرة لذلك الوحش، بينما سار هو بخطوات ثابتة نحوها، قامت خالتها بالتمليس عليه كما لو أنه جرو لطيف.

"أتودين مصادقته؟"

تساءلت ناظرة لكيرا التي لم تتحدث حتى الآن من فرط الصدمة، التف النمر عائدا حيث كان يجلس من قبل.

"عفوا يا كيرا، لكن يبدو أنه يشعر بأن رائحتك نتنة بعض الشيء لذا لا يبغي مصادقتك"

أردفت انستازيا بنبرة درامية، كل ذلك كانت كيرا تحاول تصفية ذهنها وتصديق كل ما رأته بالفعل، بدا أن انستازيا

استوعبت شيئا ما.

"أو ربما هو ينتظر وجبته التالية قبل أن تفسد؟ أهذا صحيح يا هولي العزيز؟ أتريد وجبتك التالية؟"

إنها تحادثه كما لو كان طفلا رضيعا، إنها مجنونة!

"كيرا، لا يمكن أن نترك هولي جائعا، فإن ملَّ سيأكلنا ليسلي نفسه، وأنا حقا لا يمكنني أن يتم التهامي اليوم، فأنا لم ألقن العاهرة درسا بعد، والآن»..

"أنتِ مجنونة!"

قاطعتها كيرا بنبرة مصدومة.

"آووه يا كيرا، يا لكِ من طفلة!"

"طفلة؟! وماذا تسمين كل هذا؟!"

صاحت كيرا مشيرة لأرجاء الغرفة وللخادمة أعلى المقعد التي ازدادت دموعها، حتى صارت تخفي باقي ملامح وجهها.

"أسُميه كينونتي، التي على جميعهم أن يعرفوها جيدا!" كينونتها! إنها مجنونة! مجنونة!

"عمَّ تتحدثين؟! هذا جنون!"

"لقد سألتك من قبل من أنتِ أيتها الطفلة، أتذكرين إجابتك؟!" قهقهت انستازيا..

"أم أنك كنت فتاة تتظاهر بالقوة فحسب؟!"

"كلا هذا ليس صحيحًا!"

"توقفي عن الصياح فصوتك العالي بشع! يا للهول لن تستطيعي الغناء أبدا بصوت مقزز كهذا!"

بدت انستازيا ضجرة، ثم ابتسمت مجددا وهي تمسك بكتفي كيرا وتلفها لتصير كيرا بمواجهة المقعد مجددا، ناظرة للخادمة الموجودة أعلاه، ظلت انستازيا تقف خلف كيرا وهي تحثها على تمزيق الخادمة إربا:

"إن كانت إجابتك عن سؤالي عن هويتك من قبل صحيحة، فيجدر بك أن تعلمي أن تلك هي إحدى الخادمات اللاتي لقبنكِ بالهجينة القذرة وودن موتك"..

علمت كيرا أنها رأتها من قبل، لكن أغلب الخادمات كن يتجنبن النظر نحوها أو ينظرن نظرة سريعة مشمئزة، ثم يشحن بوجوههن ثم تسمع همساتهن عنها، وعن كونها سليلة إخوة

الظل الملعونين أو هجينة قذرة أو غيرها من تلك الألقاب المهينة لها.

"إنها تلقبك بذلك وحاولت أن تتجسس بشأني لصالح العاهرة، أليس كذلك يا عزيزتي؟! أليس كذلك؟!"

بدت نبرة تساؤل انستازيا للخادمة طفولية بعض الشيء، خاصة لتكويمها لإحدى وجنتي الخادمة بين يدها كما فعلت مع كيرا من قبل، ثم دون سابق إنذار قامت بلطم الخادمة بأقصى قوتها لتزداد الخادمة بكاءً مصدرة صوتاً في هذه المرة.

"يا لكِ من عاهرة صغيرة!"

زفرت انستازيا بملل ثم توجهت بحديثها مجددا لكيرا المندهشة:

"والآن يا كيرا، لن ننحر عنقها هذه المرة، فكما ترين هولي الجائع انتظر كثيرا ليفعل هو ذلك، وعليكِ احترام أن لكِ دورًا وليس معنى أنك أميرة أنك ستأخذين دور هولي العزيز، لكن بوسعك البطش بها كما أردتِ، لكن تذكري، دون قتلها!"

أعطت انستازيا تعليماتها مموجة خصلات شعرها بين أناملها بملل، نظرت كيرا للخادمة مجددا ولنظراتها المتوسلة ودموعها غير المنقطعة، لن تنكر لقد أرادت قتل تلك

الخادمات، وكل من لقبها بتلك الألقاب، كلا بل أرادت تعذيبهن ومشاهدتهن يعانين، أرادت حقا أن تقف في ذلك المكان بتلك القوة، بينما تراهن بذلك الضعف، تخيلت ذلك لمئات المرات، لكن رؤية ذلك في الواقع لم يبدُ بجميل أو راحة تخيلاتها أبدا، إنها تشعر بالشفقة حيال تلك الخادمة، إنها تريد مساعدتها، اللعنة، لماذا؟!

لماذا لا تريد غرس خنجرها بتلك الشمطاء؟! لماذا لا تتحرك يدها؟! لكنها ستفعل ذلك، أجل فتلك الخادمة وكل من رأى كيرا هجينة قذرة يستحق ذلك، أغمضت عينيها وجمعت أنفاسها، ثم همت بغرس الخنجر ببطن الخادمة، لكنها فتحت عينيها حين اقتربت للغاية، ونظرت لوجه الخادمة التي كانت قد أوصدت عينيها بالفعل بشدة منتظرة أثر الضربة وهي تبكي مصدرة بعض الأصوات الخافتة، لا يمكنها فعل ذلك! اللعنة لا يمكنها فعل ذلك! اللعنة لماذا تشعر بتجمع دموع في مقلتيها هي الأخرى؟! حاولت أن تجمع أنفاسها وتوجه الخنجر مرة أخرى، لكن يدها لا تتحرك، فلتتحركي أيتها الحمقاء فتلك الشمطاء تستحق ذلك، إنها تستحق ذلك! أخذت تكرر محاولاتها، لكن لا شيء يحدث، يدها دوما تتخشب قرب اللحظة الحاسمة، توقفت عن محاولاتها للحظة، كلا، لن تفعل ذلك، وضعت يدها لجوارها مبعدة إياها عن الخادمة ثم نظرت لانستازيا مردفة بهدوء:

"لن أفعل ذلك!"

ابتسمت لها انستازيا بعطف ثم ملست على شعرها مجيبة إياها:

"كيرا، لست فتاةً ذات رائحة نتنة، بل لديك حقا قلب طيب"
شعرت كيرا بالحيرة بعض الشيء، لم تدرك بما تجيب لتجد فجأة وجنتها تحترق إثر لطم انستازيا لها بقوة، نظرت لانستازيا بدهشة فوق الوصف

"ما الذي فعلته لتوك؟!"

"يبدو أن هناك عاهرة أصغر من الخادمة ويلقبها جميعهم بالهجينة القذرة!"

صاحت انستازيا ولفت كيرا بقوة لتواجه الخادمة مجددا، ثم رفعت يدي كيرا الممسكة بالخنجر بعنف لتصير بمواجهة الخادمة.

"ماذا تفعلين؟! اتركيني أيتها المجنونة!" صاحت كيرا.

"القاعدة الأولى: لا تردد ولا تراجع، حسبت أني وثقت بك! هل تعتقدين إن تبدلت الأدوار وصرت أنتِ بموضعها وهي بموضعك ستتردد تلك العاهرة الصغيرة لوهلة عن قتلك؟!"

تساءلت انستازيا بحدة، بينما أخذت الخادمة تئن وتبكي

بهيستريا محاولة التملص من مكانها، شعرت كيرا بالصراع السابق يراود أفكارها مجددا.

"اطعنيها بالخنجر، اطعنيها الآن!"

أخذت تكرر انستازيا أوامرها بغضب، هذا جنون!

"كلا لن أفعل ذلك!"

"اطعنيها الآن!"

"كلا!"

"اطعنيها أيتها الهجينة القذرة!"

"أنا لست هجينة قذرة!"

صاحت كيرا بأعلى ما لديه مصوبة الخنجر بقوة.. لم تدرِ إلى أين صوبته، لم تدر سوى صوت ذلك الصراخ الشديد والزئير الأشد.

***

[10]
مصيدة الوساوس

"الأخ الأكبر فَمَن يليه، فَمَن يليه، لن ينتهي الأمر حتى تمتلئ الأراضي بأنهار من الدماء، لن ينتهي الأمر حتى تتحول النفوس النبيلة لجثث ملقاة على ضفاف تلك الأنهار، لن ينتهي الأمر حتى ترتجف الأرواح المتبقية رعبا من حضرة الموت الجاثم"

ظلت تلك الجمل تتردد بعقلها حتى قاطع ذلك سماعها انتباهها لصوت اخاها الأبله دومين بغرفة الاجتماعات وهو يبدي انزعاجه مجددا من بودير وجوزيف لكنها أعقبت بملل أثناء جلوسها:

"أخشى أن ملامة كبيرة تقع على عاتق والدنا؛ فهو لم يعلمك أي شيء طوال سنين جلوسك بجانبه في هذه القاعة نفسها، أم أن الخطأ يقع على عاتقك أنت؟!"

وقف دومين وبدا عليه الغضب الشديد:

"استمعي يا دورسيرا، لقد تحملت سخافاتك وعجرفتك وأسلوبك الخالي من التأدب بما يكفي، أقسم لك إن تجاوزت حدودك مجددا فلن تهمني أراضيك في المملكة الشرقية التي

بإمكاني تجريدك منها متى شئت، لن تهمني وصايا والدنا الذي لم أتحمله يوما تجاهك، لن يهمني حتى كونك شقيقتي، سأحرص على أن تحظي بالتأديب الذي لم تعلمه إياك والدتنا، لا تنسي ماهيتك يا دورسيرا، لست سوى شقيقتي، تلك هي هويتك في هذا القصر وفي الحياة، ولولا تلك الهوية، لما كنتِ لتحظي بأي من السلطة التي تفرضينها كما لو كنت أنت الحاكمة، حتى بالأراضي التي أعطاها إياك والدنا، فمن الأفضل لكِ ولأطفالك ألا تفقدي كل ذلك" كم هو أرعن وأحمق، أحقا يفعل ما يفعله الآن ويحاول تهديدها؟!

أحقا يريد أن يخسر ولاءها له؟! إنه ضائع لا محالة إن حدث ذلك.

"سأرحب بذلك للغاية، فلتفعل ذلك إذن، نادِ حراسك ومُرهم بتأديبي أو جردني من أراضي ولتنسى تماما أني شقيقتك الكبرى، لكن لا تستعجب حين تنقلب كل الظروف ضدك وتخسر ملكك الذي لا تستطيع أبدا إخفاء كم كنت تتوق له"

"لقد تجاوزت حدودك بالفعل"

"خسرت بالفعل حليفين مهمين للغاية، آه يا إلهي، أحدهما يستطيع تدميرك تماما، ما رأيك بهما مجتمعان ضدك؟!"

بدا في أثناء حديثها كم هي مشمئزة من أفعال أخيها.

"لا تناقشيني فيما أصدره من قرارات فأنا الحاكم وليس أنت" أردف دومين وهو يجلس مجددا.

"وماذا سيحدث حينما يقرر جوزيف و"بودير" الانقلاب ضدك؟!

يملكان نصف المملكة الغربية التي تعُتبر أخصب الأراضي، يملكان جيشًا خاصًا بهما، بل ويملكان دعم إمبراطور شبه الجزيرة بسبب زواج ابنته من جوزيف، ماذا ستفعل حينها؟!»

"لقد خالفا المحرمات واستعانا بالسحر!" صاح لتجيبه دورسيرا:

"هذا غير هام؛ فهما في النهاية حليفان مهمان وأبناء عمنا"

ضحك بسخرية ثم أردف:

"بالطبع هذا غير هام بالنسبة لكِ يا أختاه؛ فقد قمتِ أنت بالفعل بفعل ذلك"

نظرت له وقد اختفت الحدة من على وجهها، عمَّ يتحدث؟! ألديه علم بما فعلته؟! تساءلت مظهرة اللامبالاة»

"ما الذي تعنيه؟"

"أحقا يا أختاه تعتقدين أنني باستطاعتي معرفة بمن استعان جوزيف لعلاج المرض الأزرق، ولن أعرف بمن استعنتِ لحل مشكلة ابنتك؟ أخبريني يا دورسيرا كيف حال ذلك العالم ران؟ هل اجتاز ليس الكبرى بعد؟ هل سلك طريق المسافرين العادي أم الدرب القاحل؟"

شعرت دورسيرا بتوترها يزداد، اللعنة، كيف عرف ذلك؟! حاولت المحافظة على رباطة جأشها والتحدث بلا مبالاة:

"وماذا بخصوص ذلك؟!"

"لقد أرسلتِ عالما لأنقاض مقر الحالمين السحرة دون علمي، على الرغم من رفضي لطلب ذلك العالم باستكشاف تلك الأنقاض من قبل، ولا ترين أن هناك خطب بخصوص ذلك؟! ألن تتوقفي عن تكبرك هذا أبدا؟! وماذا ستكون إجابتك حيال ما وصلنا بخصوص السفينة التي أمرتها بالاتجاه لشبه جزيرة لونا حاملة كيرا؟"

شعرت بالتوتر يصيبها مجددا، لكنها أجابت بحدة:

"أتعني السفينة التي رحلت وبحوزتها ابنتي لبلاد غريبة بناء على قرارك بنفيها؟ السفينة التي وصل إلينا منذ عدة أيام خبر الغارة عليها في منتصف الطريق من قبل بحارة من جزر

راندوس؟ وحتى الآن لم يصل إلينا إلامَ آل مصير ابنتي، وكل ذلك بسبب قرارك!" هز أخيها رأسه نافيا:

"بل السفينة التي رحلت دون أحد على متنها لخداعي لتوهماني أنت ونايلس أن ابنتك على متن السفينة، بينما هي رحلت متخفية برفقة جنودك للمملكة الغربية، فمن الغريب أن تصلني أخبار بحدوث مشكلات في عاصمة المملكة الغربية لادعاء فتاة هناك بكونها هجينة قبيل خبر إغارة البحارة على السفينة بأيام معدودة"

من يحسب نفسه ليحاسبها علامَ فعلته؟! إنه شخص ليس لديه مشكلة بنفي ابنة اخته بعيدا عن والدتها لأرض غريبة لسبب لا ذنب لابنتها به، همت دورسيرا بالرد غير آبهة لكن دومين سبقها بنبرة غاضبة:

"لا تحاولي حتى التحدث وتبرير ذلك بأي من حججك الخالية من المنطق والتأدب، فقط سأنتهي من مشكلة جوزيف و"بودير" ثم سأرى ما الذي سأفعله حيالك أنت ونايلس"

عمَّ الصمت قليلا ثم تحدث دومين مجددا:

"أتدرين يا أختاه، لقد تغاضيت عن كثيرٍ من أفعال والدنا غير المنطقية بالمرة لسنوات طوال، إعطاء جوزيف و"بودير" نصف المملكة الغربية، السماح ل"بودير" بتكوين جيشه الخاص،

تزويج جوزيف لجودي"

شعرت بأنها أدركت الأمر بالفعل، ابتسمت بسخرية ثم أردفت:

"إذن هذا هو صلب الأمر، أفهم الآن" أومأت ثم أكملت:

"هذا كل ما في الأمر حقا 'تزويج جوزيف لجودي'، الغريب في الأمر حقا هو أنك أنت من أقنع والدي بمنع زواجي من جوزيف في الماضي؛ لكي تضمن ألا يطالب جوزيف بالملك، وها أنت ذا بعد كل تلك السنوات تخشى الشيء نفسه بسبب فعلتك الأولى"

"فقط أخبرته أن زواجك من جوزيف ليس بالفكرة الصائبة، لم أخبره أبدا أن يزوج جوزيف لجودي، لن تتفهمي أبدا أسبابي الوجيهة لفعل ذلك أو شعوري بعد قرار والدنا؛ فأنت عديمة الإحساس"

شعرت دورسيرا بالاشمئزاز والسخرية في الوقت ذاته، وأخذت تفكر بسخرية بأن أخاها يدعوها بعديمة الإحساس، بينما يقوم هو بفعل ما يشاء؛ يقوم بالتفريق بين البشر معللا أن لذلك أسباباً وجيهةً لا يستطيع أحد تفهمها أبدا، وفي النهاية يرى أنها هي التي لن تعرف شعوره أبدا حين اتخَّذ والدهم قرار زواج جوزيف من جودي، إن أخاها يستحق ذلك القرار تماما.

أكمل أخوها الحديث بذلك الصوت الأرعن:

"جوزيف وأخوه يحسبان أن ليس الكبرى ملكهما بالفعل، وأن بوسعهما تكوين جيش خاص بهما، بل وأن بوسعهما مخالفة المحرمات والاستعانة بالسحر! لن أندهش إن طالب جوزيف بحكم المملكتين معللا أن والده كان الحاكم قبل والدنا، عليهما أن يدركا قدرهما الحقيقي.."

"ماذا عن منع البحث عن ترياق للمرض الأزرق؟! ما الفائدة من ذلك؟! ذلك البحث هو الشيء الوحيد الذي شتت تفكير جوزيف لسنوات طويلة وجعله ينسى أمر الملك تماما"

"أنه لا يجِد علاجًا فحسب! الأموال تضيع بسبب ذلك البحث بلا طائل، وإلامَ أوصلنا ذلك في النهاية؟ للاستعانة بالسحر القذر!"

لوهلة بدا ما قاله دومين منطقيّاً إلى حد ما، وبدأت تشعر أنه ربما ليس بذلك الغباء، لكن هذا لا ينفي أن جوزيف و»بودير« لا يمكن أن يتخلوا عن كل ما يملكون فحسب، خاصة «بودير»، لن يسمح بحدوث ذلك له ولأخيه فهي تعرفه جيدا، أردفت دورسيرا بهدوء:

"لن يدعا هذا الأمر يحدث ببساطة، لا تنسى أن وجود جودي بصفهم مازال يشكل خطرا، كما أن جيشهما مدرب جيدا منذ

الصغر وعلى ولاء كبير ل"بودير""

"حقا؟! لا أظن، فماذا سيحدث؟ سيطالب إمبراطور شبه جزيرة لونا بأن تكون ابنته في وضع أفضل؟! بعد إتمام الوضع الحديث لن يكون بمقدرة جوزيف فعل أي شيء سوى الانصياع للأوامر، سآمره بفسخ زواجه منها ثم سيتزوجها الملك، لا أظن أن والدها سيعترض أبدا على جعل ابنته ملكة، بل سيرحب بذلك بشدة وفي النهاية ستنصاع هي لوالدها".

علمت دورسيرا أن أخاها قد يكون جشعا للغاية، وها هو لا ينفك عن إثبات ذلك. أكمل دومين:

"ولا أدري لمَ تخشين جيشهما كثيرا يا أختاه فلدينا جيشنا، كما أن نايلس لا يطيعك أنتِ فحسب، وهو الآن في رحلة العودة إلينا بجيش من القارة المتجمدة بأمر مني، حتى إن سولت لهذين الصبيين نفسيهما مجرد فكرة الانقلاب ضدي باستخدام جيشهما البائس ذاك، فسيشاهدان ما ستؤول إليه الأمور»

***

تلك حماقة، حماقة بلا شك، أيعتقد أخوها حقا أن جوزيف و»بودير» سيتخليان عن كل شيء بتلك البساطة فحسب؟! ولن تتدخل شبه الجزيرة؟! ولن يستخدم «بودير» جيشه؟! لن

تنكر أنهما بالفعل يملكان ما قد يجعلهما ينفصلان عن باقي المملكتين، أو حتى ينقلبان ضد الحكم، لكنهما لم يفعلا ولم يكونا ليفعلا أياً من ذلك، حتى القرارات المؤخرة لأخيها الأحمق، أحمق، أحمق، أخوها هو أكبر أحمق في التاريخ، اتخذ قرارته بالفعل ولابد منها، كم حاولت إثناءه عنها وإعادته لرشده، لكن لا تدري متى أصيب بكم الوساوس المتحكمة به تلك، لا تدري حقا ما المشكلة الرهيبة في الاستعانة بالسحر، إن كان سيوصلهم لما يريدون، لكن غباء أخيها ومسايرته للأعراف لا تنتهي، لا يوجد حل الآن سوى تنفيذ قراره بأسرع ما يمكن، حتى لا يحظى الأخان بفرصة للقيام بأي شيء متهور، كذلك يجب منع وصول أي رسائل أو أوامر منهما لليس الكبرى، جودي يجب أن تظل مغيبة لا تدرك أي شيء، حتى يتم مراد أخيها ويبعد الأخان عن مؤيديهما وجيشهما، يجب الحرص على وصول نايلس سريعا للعاصمة الأم بالجيش الذي جلبه من القارة المتجمدة، يجب أن يتم بعث قوات لمحاصرة أراضي ليس الكبرى بأكملها فورا بأكملها، وتشل أي مقاومة قد تحدث بها، يجب أن تدُمر تلك المقاومة قبل أن توُلد، فلن تسمح تحت أي ظرف بحدوث مقاومة قد تمتد لشمال المملكة الغربية حيث تخُفي ابنتها، ولماذا لم يرسل لها ذلك العالم الأحمق أي رسائل منذ آخر خطاب أخبرها فيه أنهم ذاهبون لمقر الحالمين عبر الدرب القاحل؟! مر بعض الوقت بالفعل منذ ذلك الحين ولم يصلها شيء، لا يمكنها أن تسمح بأي شيء أن يعيق رحلة ذلك العالم أو يؤدي لفشلها فهو القشة الأخيرة لضمان سلامة ابنتها وعودتها، يا للهول من أين

تنصب كل تلك المصائب، كل ما تبغاه هو الحرص على سلامة أطفالها، لكن لابد أن يحدث شيء ما خارج عن إرادتها ليزيد الأمور تعقيدا، سحقا للمرايا!

سحقا لأخيها! سحقا لجوزيف و»بودير»! سحقا هم جميعًا! يا للفوضى، تشعر في بعض الأحيان أن البشر انقسما نصفين: نصف ليخلق الفوضى، والنصف الآخر ليتحمل عواقب تلك الفوضى، نظرت جهة الزهور التي رأت بها من قبل الزهرة ذات اللونين الأحمر والأصفر، أخذت عيناها ترصد كل زهرة، لكنها لم تجد أخرى مماثلة لزهرتها المميزة، مما أشعرها ببعض الثقل يخترق قلبها، فجأة سمعت الباب يطرق، فدخلت دورسيرا غرفتها تاركة الشرفة خلفها، ثم توقفت بالقرب من الباب سامحة للطارق بالدخول، لتجد أنه سليط اللسان المتهور ذو البنية القوية.

"أتحتاج شيئا يا "بودير" ؟"

سألت دورسيرا ببرود، بدا «بودير» هادئاً، لكنها تعرفه جيدا، فهو بلا أدنى شك يغلي بداخله كالبركان الهائج في تلك اللحظة، فقد حفظت ملامحه المختلفة بحالاته المختلفة، ربما أكثر من إخوتها أنفسهم، فعلى عكس إخوتها، فهو لم يتغير بعد رحيله، بل ظل «بودير» الذي عاهدته منذ أن كان طفلا .

"أجئت لترافقني للذهاب للفطور؟ فلنذهب إذن"

"لست هنا لمرافقة أي شخص لأي مكان! أنت تدرين تماما لمَ أنا هنا الآن"

بدأ الغضب الكامن يظهر بصوته غلى الرغم من محاولته في الحفاظ على هدوئه لكن من سيخدع؟! حاولت دورسيرا المحافظة على رباطة جأشها، فقد تحملت كمًّا من الغباء ما يكفي ولا تحتاج للمزيد، أردفت بهدوء:

"لماذا لا تدخل يا "بودير"؟ أسنتناقش ونحن واقفان بهذا الشكل؟"

"أنا هنا بشأن أوامر الملك"

"لنكن واضحين يا "بودير"، فكما قلت بنفسك 'أوامر الملك'، هذا يعني أنه ليس لك أو لأخيك أو لي أو لأي مخلوق حق الاعتراض"

"أدرك أنك ربما لست المسئولة، لكنني لم أفعل شيئا بخصوص قرارات جلالته لأجلك، لكن ذلك كان في السابق، في الوقت الحالي أرغب أن أعقد اجتماعًا مع الملك، فلدي بعض الأخبار التي قد تزعجه قليلا" بدأت دورسيرا تشعر بالتوتر:

"أخشى أن تهورك يا "بودير" قد يقودك للهلاك" بدا أنه لم

يصغِ لما قالته واقترب منها بعض الشيء قائلا:

"سيكون من المفيد له ألا يتأخر ذلك الاجتماع"

ثم سار مبتعدا عنها تاركا إياها لتساؤلاتها عن ماهية الكارثة الجديدة التي ستحل بهم.

***

تلك القاعة مجددا، حضرت عشرات الاجتماعات بها من قبل، لكنها صارت تتشاءم منها الآن؛ فأبوها لم يعد موجودا لاتخاذ وإصدار القرارات المصيرية، عوضا عنه من يفعل ذلك الآن هو أخوها عديم المسئولية والخبرة، تجلس الآن لصفه منتظرين حضور «بودير»، أي تصرف أخرق قمت به يا «بودير»؟ فالأمر حقا لا يستدعي حلول مزيدٍ من الكوارث؛ فقد وثقت أن كارثة ما ستحدث، فدومين و»بودير» يشبهان بعضهما للغاية حين يتعلق الأمر بالتهور والاندفاعية، إلا أن أخاها يكون عشوائيّاً بينما «بودير» أكثر تنظيما، دق باب القاعة ثلاثة مرات فسمح دومين للطارق بالدخول، فإذا بحارس يدخل معلنا أن «بودير» يقف خارجا منتظرا الإذن بالدخول، أمر دومين بإدخاله، في طرفة عين دخل «بودير»، وأغلق الحارس الباب من خلفه، أشار دومين ل»بودير» بالجلوس فجلس «بودير» بتأنٍ.

"أخبرتني دورسيرا أنك تود إقامة اجتماع للأهمية القصوى، ما الخطب إذن؟"

تساءل دومين في ملل.

"سيطول الحديث بعض الشيء"

"اختصر وكن واضحا؛ فوقتي لا يسمح"

"كما تأمر"

كانت نبرة «بودير» هادئة، لكنها علمت أن خلفها أعاصير على وشك اقتلاع كل ما يقابلها؛ مما زاد من قلقها؛ ف»بودير» ينفذ ما يقوله تماما ويميل للعنف والتدمير إذا استلزم الأمر.

"في الواقع، لقد اتخذت قراراتٍ غير عادلة أبدا بخصوصي وبخصوص أخي، وأنا لن أقبل بمزيد من الظلم خاصة لأخي" اخترقت دورسيرا صمتها متسائلة:

"وأين هو أخوك؟ لماذا لم يحضر هذا الاجتماع؟ أم أنه بعثك لتتحدث بالنيابة عنه لخوفه ربما؟"

"كلا يا سمو الأميرة دورسيرا، أخي لا يعلم حتى أني طلبت

إقامة هذا الاجتماع، كان ليسبقني إليكما إن علم، فهو من علمني ألا أخشى شيئاً على الإطلاق، لكن أخي يكره إراقة الدماء ويفضل السلم، لذا في الوقت نفسه الذي فكر فيه بإعادة مناقشتك يا دومين"

"جلالة الملك بالنسبة لك"

"حين فكر بإعادة مناقشتك بالحكمة فيما يخص أوامرك، قمت أنا ببعث عديدٍ من الخطابات لعاصمة ليس الكبرى وجميع بلادها لإعلام الشعب هناك أنكم تحتجزون حاكمهم دون ارتكابه أي شيء ضدكم، كذلك فقد أمرت بتجهيز الجيش الخاص بليس الكبرى ليكون على تأهب لشن ضرباته بأكثر من مكان إذا لم تبلغه خطابات أخرى منا، أيضا تم بعث خطاب لإمبراطور شبه الجزيرة يرد به كم أنك يا دومين تصر على منع إيجاد ترياق للمرض الذي أصُيبت به ابنته"

شعرت دورسيرا بصدرها يحترق، لا تعلم حتى إن كانت قد استطاعت المحافظة على ملامحها الجادة أم لا، لم تلق اهتماما لحال دومين، لم تنظر له حتى، انشغلت بما قاله «بودير» فحسب، كل ما خشيت حدوثه يحدث بالفعل، إنهم في كارثة، كارثة بكل المقاييس.

"وبالمناسبة والدي كان الملك الحقيقي ومن بعده الملك الفعلي هو أخي، لم تكن ولن تكون أبدا ملكًا!" أنهى "بودير"

كلامه بحدة.

"أيها الحراس!"

وقف دومين وصاح بشدة، لم تمر ثوانٍ حتى دخل أربعة من الحراس سريعا للقاعة، صرخ فيهم أخوها بقوة كالمجنون:

"اقبضوا عليه، ضعوه في السجن، ضعوا هذا الحثالة في السجن حالا"

لم يحاول «بودير» الإفلات، إلا أن دورسيرا رأت تلك النظرة بعينيه، تلك النظرة التي تبدو كنظرة غضب فحسب، لكنها تعرف جيدا ما تعنيه، أخرجه الحراس من القاعة، بينما سمعت صوت دومين يسب ويشتم بصوت عالٍ، كان الوضع جنونيّاً، لكنها شعرت بدوار شديد، شعرت أن صوت أخيها يبتعد تدريجيا، وأن الموجودات من حولها صارت أكثر سوادًا، وضعت يدها أعلى جبهتها ممسكة بها، ولم ترَ سوى صورة ابنتها ثم همست شفاهها بصوت أشبه بالعدم:

"كيرا"

***

[11]
أبي

انهمر المطرُ بشدة، شدة لم تعهدها العاصمة الأم منذ فترة مضت؛ فقد اقترب موسم الأمطار، بدا أنها ليست كأيةً ليلة، وأنها ليلة مفعمة بالأحداث التي تقارب غزارة الامطار التي يصحبها صوت الرعد الجامح، شعر جوزيف بكل ذلك الهول، لكن اجتاحه هول أشد، هول يشتد داخله كعاصفة من الغضب، تسلل لأذنه حديث يدور خارج الغرفة.

"إنها أوامر الملك!"

"بل إن أوامره هي عدم دخول أحد"

"أجل، لكن ذلك لا يتضمن ترك الأمير ليتضور جوعا"

تردد لسمع جوزيف صوت زمجرة، ثم فتُح الباب وأردف الحارس الواقف أمام الباب:

"أسرع!"

بينما دخل خادم يحمل صحوناً بها بعض الأطعمة.

"سأضعها أعلى المائدة ثم أخرج فورا"

شرع الخادم بوضع الصحون سريعا على المائدة، بينما توجه جوزيف للحارس وردد بغضب:

"لمَ أنا هنا؟! أود مخاطبة الملك حالا!"

"الملك هو من أمر ببقائك هنا حتى تستطيع محادثته، حتى نحافظ على سلامتك"

"أين هي زوجتي؟ وأين أخي؟"

"سمو الأمير، أنا لا أعلم شيئا، أنا أنفذ أوامر الملك فحسب" كان جوزيف قد وصل لذروة غضبه بالفعل، ولم يعد يتحمل كل تلك الألغاز، فمَ الذي يحدث؟! منذ أربعة أيام وهو محجوز بتلك الغرفة كالسجين، لم يرَ دومين منذ ذلك الاجتماع الأخير وحاول تحديد اجتماع آخر ليجد حلًّا بخصوص أمر دومين بتوقف البحث عن علاج للمرض الأزرق، لأن جوزيف لن يفعل ذاك أبدا وخاصة بعد علمه بمرض جودي، لطالما حاول الاحتفاظ بالهدوء، لكن في تلك اللحظة شعر بنيران تشتعل بداخله، شعر بحدة الشعب الأحمر به من فرط الغضب مما يحدث وقلقه بخصوص جودي وحتى "بودير"، لابد أنه في مأزق، فكلمات أخيه في أثناء محادثتهما الأخيرة قبل حدوث كل هذا تنم عن أن "بودير" ربما له يد فيما حدث، ماذا فعلت

يا "بودير"؟! وماذا حل بك وبجودي؟! الأمر الأكثر منطقية أنهما بخير، ويبقون كل منهما في غرفة أنيقة كتلك التي يوجد بها تحت اسم «نحافظ على سلامتهما»، لكنهما في الحقيقة سجينان مثله تماما، في وضع آخر تفكير كذلك كان ليراود جوزيف، لكن حقيقة الحبس هذه لا تعني سوى أمر واحد، هو أن أحدهما تعرض لمكروه ما.

لوهلة لم يستطع جوزيف الشعور بنفسه أو بما يقوم به، وشعر بيده تتكوم وعلى وشك التحرك لتهوي على وجه الحارس بشدة، لكنه شعر سريعا بمن يمسك بذراعه ليعيده للعالم الحقيقي وسمع صوت الخادم يردف:

"عفوا، سمو الأمير"

لم يعلق جوزيف، لكنه استعجب بعض الشيء من فعل الخادم، كما لو كان يقصد أن يوقف جوزيف عما كاد يفعله، رأى الخادم يسير ليقف أمامه ثم يعقد يديه خلف ظهره ناظرا للأرض وينحني مردفا:

"أرجو أن يعجبك الكعك".

ثم خرج الخادم سريعا وأغلق الحارس الباب من خلفه، ليبقى جوزيف وحده في الغرفة غير مدرك ما يحدث، شعر بنبضات قلبه تتسارع وبصدره يحترق، يريد الاطمئنان أنهما بخير،

اللعنة، ماذا فعلت يا «بودير»؟! أخذ يدور في أرجاء الغرفة، ثم عاود الجلوس على المقعد الذي كان يجلس أعلاه قبل دخول الخادم، فكر أن هذه مزحة بلا شك، فعوضا عن معرفته ما حدث لأخيه وزوجته يرسلون له الطعام، ثم عن أي كعك يتحدث؟! لطالما كان «بودير» محبّاً الكعك وليس جوزيف، بل على العكس فقد كره الكعك بكل أنواعه، فجأة خطر شيء في ذهنه جعله يفتح عينيه بشدة، ثم يوجههما صوب المائدة متجها لها، تفقد صحن الكعك سريعا لكنه لم يجد شيئا، خطرت له فكرة أخرى قام على إثرها بتفتيت الكعك بقدر ما استطاع، ليجد في النهاية ضالته بتلك الورقة المدفونة بداخل إحدى الكعكات، قام بفتحها بعناية؛ حيث إنها كانت تالفة بما فيه الكفاية فلم يرد زيادة الأمر سوءًا، تضمن ما كُتب بالورقة أن القوات الذين التي استدعاهم جوزيف اقتربوا من العاصمة الأم، بالإضافة لما يقرب من نصف الجيش، تعجب فهو لم يستدعِ سوى بعض القوات فحسب، وكذلك بعض النبلاء والمتحدثين باسم الشعب من ليس الكبرى، ليأتوا كي ليساعدوه على إيقاف مهزلة قرار التوقف عن إيجاد علاج للمرض الأزرق تلك؛ فدعمهم لإيجاد علاج للمرض، بالإضافة لدعم إمبراطور شبه جزيرة لونا، كانا ليمثلا عامل ضغط شديد على دومين يمنعه من التطبيق الفعلي لذاك القرار، وكانت القوات ستكون هي الحل الأخير إذا تأزم الأمر للغاية، لكن من أمر نصف الجيش بالمجيء؟! لا يملك أحدًا الصلاحية لفعل ذلك سواه هو و»بودير»، إذن هذا ما فعله «بودير»! لكن «بودير» سيشعل حرباً بتلك الطريقة، وهذا ليس وقتاً للنزاع إطلاقا؛ الملك مات

لتوه، وسيستغل كل من أبنائه شيئا كهذا لمصالحته، المرض الأزرق يزداد فتكا للشعب بمرور الوقت، ودورسيرا أظهرت المرايا أن روح ابنتها هجينة، ما فعله «بودير» قد يصير هو القشة التي ستقصم ظهر البعير، تضمنت الورقة كذلك قدوم المتحدثين باسم الشعب والنبلاء برفقة جنودهم، ويبدو أنهم متعصبين يميلون للحرب أيضا؛ لسماعهم بقدوم نصف الجيش، فيبدو أنهم اعتقدوا أن نوايا جوزيف تحولت للحرب عوضا عن الوصول لحل سلمي، بالطبع فأخبر الشعب الأحمر أن هناك نزاع ما وسيسعدون بتحويله لعراك حقيقي، لم تحتوِ الورقة على معلومات عما حدث ل»بودير» وجودي أو عن مكانهما، من أرسل تلك الورقة؟! الخط ربما يكون مألوفاً لجوزيف بعض الشيء، لكن تزاحم أفكاره وقلقه المستمر حيال زوجته وأخيه لم يساعداه على معرفة المرسل أو المرسلة.

***

"بالطبع لم تستطع رؤية امرأة تشبه دورسيرا في المظهر للغاية، وتبتعد عنها حتى إن كانت متزوجة، لكن كيف؟ كيف لامرأة من العامة أن ترفضك، بل ويحاول زوجها إبعادك عنها؟!"

تساءل جوزيف بسخرية، ثم هز رأسه باشمئزاز واستنكار متحدثا لأخيه.

"بالطبع لم تتحمل كرامتك ذلك خاصة وأنت سكير، فقتلت زوجها!"

"كان ذلك منذ اثني عشر عامًا! ولقد دفع والد ذلك الزوج لقاتل من جماعة الزهرة الدامية لقتلي، أم أنك نسيت ما سبب تلك الندب بجبهتي؟ لقد تمكنت من ذلك القاتل في اللحظة الأخيرة وكدت أموت جراء ذلك!" تحدث "بودير" بحدة ليجيبه جوزيف:

"وبسبب ذلك لم يقتل عمنا فحسب والد زوجها، بل ووالديها وأطفالها أمام عيونها لينتهي بها الحال شانقة نفسها بحبل متدلٍ من شجرة"

"لم أعلم حتى هذه اللحظة أن كل هذا قد أصابها!"

"أتدرك ما شعرت به حين رأيت ما حل بها وبأسرتها؟! حين رأيت تلك الفتاة شانقة نفسها بسبب أفعالك؟! بسبب أخي الأصغر الذي قمت أنا بتربيته، لكني لم أعلمك فعل شيء كهذا أبدا، أنت من اتبعت نهج عمنا في الحياة، وصرت مهووسا بابنته لدرجة تجعلك تقترف أي شيء"

"لا يهمني إن صدقت ما أخبرتك به للتو أم لا يا جوزيف، فأنا لا أبتغي مغفرتك أو مغفرة أي شخص، أنا أحاول الحفاظ على حقوقنا وأنت لا تأبه فحسب، أنت لا تأبه لأي شيء سوى

لذلك المرض اللعين، إنك حتى لم تأبه لزوجتك سوى بعد علمك بمرضها، لكني أنا لن أسمح بضياع كل شيء منا!"

"ارحل من أمامي!"

تردد ذلك الحديث في مؤخرة رأس جوزيف، سمع صوت باب يفُتح، ففتح عينيه بشدة، يبدو أنه انهزم للنوم وحلم بآخر حديث له مع «بودير» إثر عدم النوم لعدة ليال متواصلة، كان متلهفا لمعرفة أي شيء، خاصة حيال جودي و»بودير»، دخل حارس وطلب منه مرافقته، سار بصحبة الحارس حتى وصل أمام غرفة أخرى ليجد حكيما يخرج منها، ثم أدخل الحارس جوزيف في تلك الغرفة، سمع صوت جودي تنطق اسمه بتلهف ثم اتجهت نحوه سريعا، لم يتدارك نفسه حتى سار جهتها واحتضنها بقوة شاعرا بالاطمئنان لإمساكه بها، ولشعوره برائحتها المميزة تحيطه مجددا، ظلا بهذا الوضع لبعض الوقت ثم تنهدت جودي مبتعدة:

"لقد كنت قلقة للغاية، أأنت على ما يرام؟"

كان صوتها خافتًا قلقاً بحق، أومأ جوزيف ناظرا إليها، وحينها فقط لاحظ كم تبدو متعبة، وأكثر شحوبا، أمسك بيدها موجهها إياها نحو أريكة موجودة بالغرفة وجلسا أعلاها ثم أردف:

"أأنت بخير؟"

"كنت أعتقد ذلك، لكن ليس بعد ما عرفته"

"لا بأس، سأجد حلًّا ما" حاول إبعاد القلق عنها.

"عن أي حل تتحدث جوزيف؟! دومين يريد تجريدك من أراضيك!

"بودير" يريد حرباً! نحن أشبه بالمحبوسين هنا!"

هزت رأسها باستنكار، حاول جوزيف رسم ابتسامة مطمئنة على وجهه، هو حقا يحتاج من يطمئنه الآن، لكن لا يريد زيادة توترها، فكل ذلك سيء على صحتها، اللعنة على ذاك المرض.

"جودي، سيصير كل شيء على ما يرام، لا تقلقي"،

"لا أقلق! كيف تطلب مني ذلك؟! جوزيف، أنا أعلم منذ البداية، أنا أعلم قرار الملك الذي لم تخبرني به، لكني لم أتحدث، وفجأة اختفيت أنت و"بودير"، وأخبروني بحجج غير منطقية لذلك، وأنهم على علم بأنك استعنت بذلك الرجل الذي يشُاع أنه ساحر، ثم وصلت إليَّ رسالة ما مخبأة داخل الطعام تتضمن المأزق الذي أنت به، حينها أصررت على رؤيتك أنت و"بودير"، وقمت بتهديدهم أن الأوضاع إذا استمرت كما هي سأجعل شبه جزيرة لونا تنقلب ضدهم".

أراد جوزيف إنهاء الأمر فقام بمقاطعتها:

"أنا حقا ممتن لما فعلته يا جودي، سأتولى أنا الأمور عند هذا الحد، أريدك فقط ألا تقلقي"..

صاحت جودي باسمه بطريقة لم يعهدها من قبل، كأنها تحاول إعادته للواقع المرير:

"جوزيف! ألم تسمعني من قبل؟!"

هدأت بعض الشيء واحمرت عيناها قليلا ثم أكملت:

"أخبرتك أني أعلم ومنذ البداية، أنا أعلم يا جوزيف، أعلم أنني مريضة، وأعلم أنني سأموت!"

شعر جوزيف بحرقة في صدره وبدموعه تتجمع في مقلتيه، أغلق عينيه وأردف بهدوء:

"توقفي"..

"أحقا تصورت أني لم أكن أدري؟! بعد رؤيتي لطفلي وهو يعاني من هذا المرض لسنوات طويلة؟!"

"لن تموتي" . .

فتح عينيه وهز رأسه نافيا.

"لن تموتي، سأجد علاج!"

"لا يوجد علاج يا جوزيف! فلتدرك ذلك فحسب" . .

"كلا ، كلا يا جودي، لقد اقتربت للغاية، سأجد علاجًا! سأجد علاجً اكما وعدته؟!"

لم يدر أيحاول إقناعها أم إقناع نفسه، لا يستطيع التوقف عن الإيمان الآن، فحينها سيكون كل ما قام به بلا أي معنى، تنهدت جودي مبعدة نظرها عنه:

"ليس في حياتي يا جوزيف" . .

لم يملك ما يجيب به، ظل ينظر لها بحسرة وعدم تصديق فحسب، إنها قد تفارق الحياة قبله وتصير حياته لا تحتويها، مجرد أميرة أنيقة، طموحة، ومهذبة، رآها للمرة الأولى في حفل راقص، لم يتبادلا سوى التحية وبعض الكلمات المحدودة ورقصة، ثم انطلق كل منهما في طريقه غير آبه بالآخر، دون أي ظنون أنهما سيتشاركان مستقبلهما، اهتماماتهما بل وحياتهما، لاحت تلك الذكرى في خيال جوزيف، «بودير» كان محقّاً، عشر

سنوات، عشر سنوات وهي بجواره تحبه وتهتم به على الرغم من موت ابنهما، وهو لم ينتبه لها سوى عند علمه أنه على وشك أن يفقدها، كانت تلك الزهرة الزرقاء هي ما ذكرته بها، وأبعدت عن خاطره فكرة تجاوز النافذة، لكنه سار في درب أبعد ما يكون عن تلك الزهرة حتى ذبلت وكادت تسقط، حينها استشعر ألم عدم وجودها، وقرر الاعتناء بها في محاولة يائسة لكيلا تسقط وتندثر، يا لندمك يا جوزيف، يا لندمك.وضعت جودي يدها على عينيها مخفية دموعها ثم أردفت:

"لا يهم الآن أي شيء، سوى الموقف الحالي، دومين لا يمكنه فعل ذلك بك!"

ثم وضعت يديها على وجنتي جوزيف برفق مكملة:

"أنت الحاكم الحقيقي للملكتين والعاصمة الأم، أخذوا منك ملكك وتغاضيت عن ذلك، لكن ما يحدث الآن لن يمر مرور الكرام، أعدك جوزيف أني سأفعل كل ما بوسعي كي تحصل على ملكك الشرعي!"

تنهد مغمضا عينيه ووضع إحدى يديه أعلى يد جودي، ثم رسم على وجهه نصف ابتسامة بحسرة متذكرا آخر مرة جاءوا بها لزيارة العاصمة الأم برفقة طفلهم، حينها كانت علاقة جوزيف بأخيه وبعمه ماتزال جيدة، كم كانوا سعداء! أين ولت تلك الأيام؟

"لا أريد سوى وجودك لجواري"

فتح عينيه ليجدها تنظر إلى اللاشيء غير مجيبة، عم الصمت حتى استجمع قوته وأردف بعزم:

"استمعي يا جودي، سنسترجع أراضينا، وسنجد علاجًا، وستصرين بخير"

"جوزيف"..

"ستصرين بخير يا جودي، لن أسأم ولن أفقد الأمل حتى أجد علاجًا!

لن أفقدك إثر هذا المرض كما فقدت أبي وكما فقدنا ابننا، وأنتِ لن تموتي بهذا الشكل! وحين يحل ذلك اليوم لن يكون في حياتي، وسيتذكرك جميع الناس وينشدون باسمك كالأغنية!»

لاح شبح ابتسامة على وجه جودي، لم يدر سببها، فتُح الباب ولكن تلك المرة لم يكن الحارس، بل كان رادو وبرفقته حارسان، وقف جوزيف سريعا ثم سأله: «رادو، أين هو «بودير»؟! عليك إخباري!»

"إذن فعليك اتباعي يا سمو الأمير"

هم جوزيف بالذهاب، لكن جودي أمسكت بذراعه ككل تلك المرات السابقة قائلة: «سآتي برفقتكما!» «كلا يا جودي، ابقي هنا!»

"سمو الأميرة، الأمير جوزيف محق، أنا أعتذر حقا لكن لا يمكنك المجيء"

نظرت جودي لجوزيف بعيون قلقة مردفة برجاء:

"عدني أنك ستعود إليَّ سالما"

ابتسم لها جوزيف ليطمئنها، ثم أمسك يدها هامسا لها:

"لا تقلقي، سأعود لك سالما، فلم أعطك زهرتك الزرقاء بعد" ابتسمت لجملته بحزن، لكنها لم تترك ذراعه متفوهة بنبرة أكثر رجاء:

"عدني!"

"أعدك"

"سمو الأمير، هيا بنا من فضلك"

أردف رادو متعجلا، أومأ جوزيف له ثم استدار لجودي وربت على يدها برفق:

"ارتاحي فحسب، سأعود على الفور"

أردف بها جوزيف بينما ظلت تنظر له جودي بتلك العيون القلقة، استدار جوزيف لرادو وأشار له ليذهبا لحيث يوجد «بودير»، سار رادو وتبعه جوزيف يشعر بعيون جودي مسلطة عليه، بينما يسير مبتعدا، أخذ يردد في رأسه:

"ستصير الأمور على ما يرام"

***

ظن جوزيف في البداية أن الأمر مزحة، لكن لم يستغرقه طويلا حتى أدرك أنهم في مازق بلا شك، وعليه أن يجد حلا بأسرع ما يمكن، فلا معنى لما يحدث سوى ذلك، فهل يوجد أي معنى آخر لسيرهم في الممر المؤدي للزنازين السفلية تلك، التي يتسترون فيها على ما يودون إخفاءه، تشبه الموجودة بعاصمة ليس الكبرى، كان الممر مضيئا ببعض الشعلات كما أمسك الحارسان المرافقان له كذلك شعلات أخرى، حاول جوزيف أن يطمئن نفسه، لكنه فشل تماما في القيام بذلك، ذكرى أخيه تذكره بتلك الفتاة المشنوقة، إنه يستطيع مقاطعة «بودير»، الابتعاد عنه تماما، لكنه لا يمكنه أن يسمح لمكروه

أن يصيب أخاه، سيحاول السيطرة على زمام الأمور، سيحاول تهدئة الأحداث، أي شيء، المهم الآن هو كل من «بودير» وجودي وأي تخطيط سيؤجله حتى يضمن سلامتهما، فقط يتمنى أن يتعاون معه أخوه الأحمق في ذلك الأمر ولا يدع العناد والغضب يتمكنان منه. وصلوا أخيرا للزنازين، كانت رائحتها سيئة حقا وكذلك مظهرها، لمح جوزيف جرذا يجرى من أمامه مختفيا في أحد الأركان، لكن باله انشغل بأخيه، سمع صوتاً صادرًا من أحد الزنزانات يصيح:

"أروني أنفسكم أيها الجبناء، أقسم أني سأقطعكم إربا!"

سار جوزيف نحو الزنزانة سريعا ليجد «بودير» مكبل اليدين، صاح «بودير» باسم أخيه متعجبا، بدا متسخا ومتعبا، بدا أنه ظل هنا لأيام، أمسك «بودير» بسياج الزنزانة بكلتا يديه سريعا:

"أنت بخير! هذا جيد!"

هز جوزيف رأسه مستنكرا ثم صاح:

"ماذا يحدث هنا؟ رادو أخرجه فورا!"

نظر رادو لكل من جوزيف و»بودير» بلا تعبير على وجهه دون أن يجيب، سمع جوزيف صوت خطوات يقترب من حيث يوجد،

ليلتف سريعا فيجده الملك وبجواره ستة حراس وأخته دورسيرا:

"هل لي أن أفهم ماذا يحدث؟ لمَ أخي محبوس بهذا الشكل المهين؟!"

"أخوك خائن، قام بتهديدي بالانقلاب ضدي، ويبدو أنك أنت كذلك خائن! تريد حشد ما يقارب نص جيش ليس الكبرى خارج أسوار المدينة وبرفقة النبلاء والمتحدثين باسم الشعب! تريد تهديد سلامة العاصمة الأم والأسرة الملكية وأمن واستقرار المملكتين! خائنان ومنقلبان ضد الملك والمملكتين وتتخذون معاونين سحرة! أخبرني يا جوزيف ما الذي يطلق على أمثالكما؟!"

شعر جوزيف بتجمد لسانه، خيانة؟! أقد وصل الموقف لذلك؟!

"أيها الملك، لقد اقترف أخي خطأ وسأقوم بإصلاحه، فقط دعه يخرج من هذا المكان"

"لا تدعي البراءة يا جوزيف، مجيء هذا الكم من الجنود لا يعني سوى أنك تريد حرباً! ستكون أنت أول الخاسرين بها!"

"جلالة الملك أقسم لك إني لا أريد حربا!"

"نحن كذلك لا نريد حرب!"

أردفت بها دورسيرا بينما أكمل دومين:

"ما فعلتماه أنت وأخوك غير قابل للغفران، لكني سأعطيك فرصة أخيرة يا جوزيف، وربما سأسمح لكما ألا تموتان علنا بينما تنُشد جرائكما أمام جميع الناس!"

"اتهددنا أيها الـ"..

صاح «بودير» ليعنفه جوزيف فورا قبل إتمام جملته:

""بودير" اخرس!"

صمت «بودير» وبدا عليه الغضب بينما أردف دومين:

"أرى أن أخاك لا يتعلم مطلقا"..

"جلالة الملك دومين، الأمير "بودير" هنا منذ أيام، فيبدو أن الهلوسة قد أصابته فحسب"

"أمرتك بإحضار الأمير جوزيف فحسب يا رادو، لم أطلب رأيك فيما يدور هنا، فاغلق فمك"

"أيها الملك أقسم لك إني سأنفذ كل ما تأمر به، وسآمر بصرف كل النبلاء وممثلو شعب ليس الكبرى والقوات التي أتت برفقتهم، لن أحكم ليس الكبرى بعد اليوم، من فضلك أخرج أخي فحسب»

"جوزيف! إنك تخُسر نفسك كل شيء! توقف عن هذا الغباء فورا! "صاح "بودير" ليجيبه جوزيف:

""بودير"، أنا أصدقك" نظر له "بودير" بحيرة متسائلا:

"ماذا؟"

"أصدق ما أخبرتني به من قبل حين تحدثنا عن تلك الفتاة" تغيرت ملامح "بودير" للاندهاش ثم الهدوء:

"جلالة الملك، الأمير جوزيف يريد أخاه سالما فحسب، وسيطيع كل ما تأمر به"

أردفت دورسيرا ثم اقتربت من أذن الملك هامسة ببعض الكلام غير المسموع، لم يبدِ دومين رد فعل لذلك، لكنه صمت قليل إثر ما سمعه من دورسيرا، ثم أشار لأحد الحراس بإخراج «بودير» من الزنزانة، لم تمر سوى بضع ثوانٍ وكان «بودير» يقف إلى جانب جوزيف حرًا، ولكنه مازال مكبل اليدين.

"الآن يا جوزيف، ستأمر كل القوات التي بطريقها لأسوار مدينتي بالرحيل وإعلان الولاء لأخي نايلس، ستعيش بأقصى أراضي المملكة الشرقية كشخص عاديٍّ من العامة، ستتوقف عن إيجاد علاج للمرض الأزرق، وسيتم نفي أخاك للقارة المتجمدة!"

قال دومين آمرا، شعر جوزيف أنه سيجن! لابد من حل ما، لا يمكن أن يدع أخاه ينُفى!

"جلالة الملك، سأطيع كل ما تمليه، لكن عليك إعادة النظر بشأن نفي "بودير"، يمكننا الوصول لحل ما لا يتضمن ذلك"

"كلا، ستشتعل الحرب قبل أن يحدث أي من هذا!" اعترض "بودير" بوقاحة على كلام دومين.

اللعنة يا «بودير» لمَ تصعب الأمور؟!

"الحرب إذن؟!"

كاد دومين يكمل حديثه، لولا تصويب جوزيف قبضته بقوة نحو وجه «بودير»، عليه أن يخرج به سالما! فكر جوزيف بينما نظر له جميع الحضور بدهشة، إلا «بودير» لعدم سماح جوزيف له بذلك، فقد صوَّب له مزيدًا من الضربات إلى أجزاء جسده، علم جوزيف ما يستطيع أخوه فعله من رد تلك الضربات

وصدها، لكنه لم يفعل ذلك، عليه أن يخرج به سالما!

فكر جوزيف بذلك بقدر ما صوب لأخيه من ركلات وقبضات ببطنه، بذراعه، بقدمه، برأسه، لم يتوقف حتى بعد سقوطه والجروح تملأ وجهه، بل ظل مستمرا بركل بطنه، فهذا ليس المكان المناسب ليكون جريئا وسليط اللسان؛ فهم ليسوا في موضع قوة بوجودهم في هذا المكان، توقف جوزيف في النهاية متنهدا:

"فلتخرس، سننفذ كل ما يأمر به الملك دومين"

وجه جوزيف حديثه ل»بودير» المكوم أرضا، الذي قام ببصق دماء بدوره بحنق، ثم وقف لجوار أخيه، نظر جوزيف لدومين الذي أصابه بعض الذهول مما حدث.

"جلالة الملك من فضلك أعد التفكير!" عم الصمت قليلا ثم أردف دومين:

"حسنا إذن، سأتركك تسير خارجا من هنا برفقة أخيك، فيبدو أنك قادر على ترويضه"

شعر جوزيف ببعض الراحة، أكمل دومين:

"لكن تصرف أخيك لا يوحي لي بأنه يريد السِلم، لذا سيكون

هناك ضمان أخير لعدم عصيانه أو عصيانك مجددا"

لم يفكر جوزيف بتلك اللحظة، أراد إخراج أخيه فحسب، قبل أن يتفوه بأي شيء يغير رأي دومين مجددا.

"أي شيء تأمر به، مولاي" نظر دومين صوب رادو آمرا:

"رادو فلترحل بهما للقارب فورا، فأمامهما رحلة طويلة خلال النهر للوصول لموطنهم الجديد"

اتجه الحارسان برفقة رادو جهتهما ليسيرا بهما للخارج.

"لكن علينا إحضار زوجتي أولا!" قال جوزيف، ليجيبه دومين بجدية:

"كلا يا جوزيف، الأميرة جودي ستظل ضيفتنا بالعاصمة الأم!" صُدم جوزيف:

"ماذا؟! هذا لم يكن ضمن اتفاقنا، أنا لن أقبل بحدوث ذلك!"

"لقد قبلت بالفعل لتوك!"

ماذا؟! كلا، كلا، هذا لا يمكن أن يحدث!

"لا تحسبني سأدعك ترحل بكل من أخيك وزوجتك، ثم تنقلب عن اتفاقك وتهدد سلامة المملكتين مجددا، تركت لك الخيار وأنت اخترت أخاك، والآن لا أريد سماع المزيد، ارحلا بهما من أمامي"

أنهى دومين حديثه وهو يأمر الحارسين بجوارهما، لوهلة نسي جوزيف الموجودات من حوله، ولم يدر أيجادل ويرفض أبدا الرحيل دون جودي أم يضمن سلامة أخيه أولا، بالطبع لن يتركها أبدا، لكنه لا يستطيع السماح لأي شيء بالحدوث ل»بودير» كذلك، كان الحارس الآن يجذبه من ذراعه، لكنه لم يتحرك وظل متخشبا بموضعه، فجأة حدث ما أخرجه من هذيانه، حدث بشكل سريع للغاية، حين قام «بودير» بسحب أحد سيفي الحارسين على الرغم من كونه مكبلًا وغير معافى بسبب ضربات جوزيف السابقة له، ثم طعن ذلك الحارس سريعا، لم يدرِ جوزيف الأمر تماما حتى رأى «بودير» يبارز بضراوة الحارس الذي كان يجذب ذراع جوزيف منذ قليل، بينما أخرج الستة حراس الواقفين بجوار الملك سيوفهم، وبقي اثنان منهم بالإضافة لرادو لحماية الملك، بينما اتجه أربعة منهم ل»بودير» ليحيطوه، وفي تلك اللحظة نفسها كان «بودير» قد اقحم سيفه بالفعل بصدر الحارس الذي كان ممسكا بجوزيف من قبل، مخرجا إياه بسرعة جنونية ليصد بقوة ضربة سيف كادت تخترق صدره، ويؤدي لقذف ذلك السيف من يد الحارس ثم فصل رأس الحارس، انحنى سريعا ليتجنب ضربة مميتة من حارس آخر، ثم أوصد سيفه

بقدم الحارس، اللعنة، فكر جوزيف وهو يجذب أحد سيوف الحراس الميتين ويبارز أحد الحارسين المتبقيين، ليحد الخطر من على «بودير» الذي بدوره لم يستطع الوصول سوى لخنجر من جثة أحد الحراس، واستخدمه لصد ضربة كادت تخترق عنقه، أخذ جوزيف يبارز الحارس الذي أمامه حتى أسقطه طريح الأرض، بينما «بودير» استمر بمحاولة صد الضربات وتسديدها حتى تراجع بضع خطوات، وقام برمي الخنجر بلمح البصر ليخترق عنق الحارس عبر ذلك الشق الضيق الظاهر من الخوذة الحديدة، رمى جوزيف سيفه أرضا، وهو ينظر لكل تلك الفوضى باستياء، بينما أخذ «بودير» سيف حارس ميت واتجه مسرعا نحو دومين، حاول جوزيف الهرع نحوه وإيقافه، لكن شخصًا ما سبق جوزيف لذلك، فحينما كاد يقترب منه للغاية كانت دورسيرا قد وقفت أمام «بودير» محاولة وضع يديها أعلى كتفه وهي تردف بصوت عالٍ:

""بودير"، توقف!"

بدا أن «بودير» توتر قليلا، لكنه سرعان ما عاد لسخطه وحاول إبعادها من أمامه وإكمال طريقه، لكن ما أفزع جوزيف هو رؤيته لذلك الحارس الذي أصابه «بودير» في قدمه منذ ثوان يهرع بسرعة فائقة جهة «بودير» وهو يشهر خنجرًا، لم يتدارك جوزيف نفسه سوى وهو يركض كالمجنون بأسرع ما لديه متجها ل»بودير»، ويدفعه بعزم ما لديه ليبُعده عن ذلك الموضع، لم تمر سوى ثوانٍ وشعر جوزيف بظهره وصدره

يحترقان إثر اختراق نصل خنجر الحارس لهما، استدار «بودير» ونظر لأخيه بعيون واسعة غير مصدق ما يراه، شعر جوزيف بقدميه ضعيفتين وحاول وضع يده أعلى موضع الألم في محاولة يائسة لتخفيفه، فقد صار لا يحُتمل، لم تعد تتحمله قدماه وشعر بهما تخونانه وبنفسه يسقط أرضا، شعر بيدي «بودير» تمسكان به وسمعه يصيح باسمه بغير تصديق، سمع كذلك دومين يصيح بشيء ما، رأى دورسيرا تقترب منه وتنظر له بصدمة وهي تهز رأسها غير مصدقة، سلط نظرة أخيرة ل»بودير» الذي سرعان ما أمسكه الحارسان المتبقيان، وثبتا جسده ورأسه أرضا، لكن «بودير» تجاهل ذلك وظل ينظر بصدمة لجوزيف، شعر جوزيف بعيونه تخونانه أيضا وبجفونه ثقيلة للغاية، لوهلة رأى نفسه وهو صغير و»بودير» الصغير قصير القامة يحاول تسلق شجرة ما، بدا «بودير» شقيّاً، ولكن مضحك للغاية، رأى نفسه يضحك برفقة دورسيرا وأخوها رانل، بدا رانل حيا للغاية، وبدت دورسيرا وديعة للغاية، رأى نفسه برفقة معلمه والحكيم الأول الذي أشرف على تدريسه، رأى ابتسامة والده الأخيرة له، رأى نفسه يحمل وليده للمرة الأولى، رأى رقصته برفقة جودي.

'ركز على ما تملك أيها الأمير، وليس على ما فقدت، فالموت يشغل البشر بما فقدوا، حتى يسرق ما تبقى لهم، تلك هي نصيحتي لك.'

تذكر تلك الكلمات، إذن فهذا ما عناه، فالموت لم يسرق

أحباءه فحسب، بل سرق حياته بأكملها، في الواقع ربما جوزيف من ترك له فرصة فعل ذلك، فإن غفر لأخيه عوضا عن كل سنين المفارقة تلك، وإن كان بجوار زوجته وأخبرها كم أحبها، إن ركز على ما امتلك، لصارت العشر سنوات السابقة أكثر سعادة، لم يكن ذلك ليلغي محاولاته لتحقيق هدفه، لكنه لشعر أنه يعيش لنفسه ولو لوهلة.›أنا أسف يا جودي› كان ذلك كل ما خطر بباله، حتى شعر بظل شخص يقترب منه، ابتسم لسماع ذلك الصوت الذي اشتاق له كثيرا يهمس:

"أبي"

***

[12]

لا مفر

"سمو الأميرة دورسيرا، لقد حاولنا مرافقة العالم الملقب بـران من شبه جزيرة لونا هو ومساعدته حيث أمرتِ، لكنني أخشى أنه انقلب ضدنا وفي أثناء سفرنا بالدرب القاحل استحوذته قوى سحرية آثمة، وحاول قتلنا جميعا، حاولنا إيقافه لكن يبدو أن قوته تلك جذبت الذئاب للمكان واستعان بها ذلك العالم لمهاجمتنا، واستطعت أنا ورفيقي الفرار بينما لم يحالف الحظ آخران، كنا لنموت لأجلهما، لكن أخذنا عهدا أن نبلغ سموك أولا بما تسبب به ذلك العالم هو ومساعدته، فلتصدري سموك الأمر فحسب، وسنعاود رحلتنا لاقتفاء أثر ذلك العالم وقتله فورا، نتواجد أنا ورفيقي الآن بأقصى ليس الكبرى منتظرين أوامر سموك. جنديك المخلص"

ما هذا الهراء؟! تساءلت دورسيرا بنفاد صبر في أثناء قراءتها لذلك الخطاب الذي وصلها منذ عدة ثوانٍ، هناك حرب على وشك النشوب بسبب مقتل جوزيف، وذلك الجندي الأبله يتذمر بشأن قوى سحرية آثمة؟! اللعنة عليه وعلى كل الجنود! ألم يكن جنديّاً هو من قام بقتل جوزيف دون عمد، اللعنة عليك يا «بودير» ويا دومين! ماذا ستفعل الآن لتنهي كل تلك المصائب؟! عقلها سينفجر من فرط التفكير والغضب. ماذا فعلت أيها العالم؟ أخبرته أنه لا يريد إزعاجها، أم أن ذلك

الجندي الذي بعث الخطاب قد جُن؟! شخص منهما لم يطعها، وسيدفع ثمن ذلك غالياً، فكرت وهي تنظر باتجاه شعاع الضوء الذي تنفذه الشرفة، شعاع الضوء الأخير للنهار، تسللت بعض نسمات الرياح مطيرة الستائر الحريرية مبدية إياها بأشكال مختلفة، بدا أحد تلك الأشكال مشابها للرقم سبعة، سارت دورسيرا باتجاه الستائر سريعا محاولة تثبيتها، فهي لا تطيق ذلك الرقم مطلقا، إنه رقم مشئوم بالنسبة لها، بدا الغروب من خلف الشرفة ممتزجًا بين لوني الأحمر والأصفر، لكن دورسيرا كانت قد تذكرت ابنتها بالفعل منذ تذكرها لذلك الرقم، منظر الغروب لم يقم بشيء سوى بتأكيد ذكرى ابنتها.

"سمو الأميرة"

تسلل ذلك الصوت لأذن دورسيرا فاستدارت لترى تلك الخادمة تقف أمامها مرتبكة.

"أعتذر سموك للدخول دون إذنك، لقد طرقت الباب كثيرا وسموك لم تجيبي وكان الباب مفتوحا ووجدت سموك تقفين أمام الشرفة وقيل لي أنه أمر هام»

عادت دورسيرا لنظرتها المعهودة.

"ما الأمر؟"

"أأ.. حسنا، قائد جيش العاصمة السيد رادو يرجو لقاء سموك أمام القصر بخصوص أمر هام، وأعتذر مجددا سمو الأميرة".

"أخبريه أن يلتقي بجلالة الملك لمناقشة الأمور الهامة تلك" لكن على الرغم من ذلك، ظلت الخادمة موجودة باديا عليها التوتر، نظرت لها دورسيرا بحدة لتردف الخادمة بكلمات متقطعة:

"أعتذر، أعتذر سموك، لكن السيد رادو مُصِرٌّ على مقابلة سموك" تساءلت دورسيرا قليلا بأيةً مصيبة جديدة سيتم مفاجأتها؟ همت للسير لخارج الغرفة لولا أن الخادمة تلك تحدثت مجددا وهي تتحرك جهة دورسيرا.

"سمو الأميرة، تفضلي"

ناولتها الخادمة منديلًا أبيضَ، نظرت له دورسيرا بغير فهم، أشارت الخادمة بارتباك لوجه دورسيرا.

"هناك، هناك ما يشبه الدمعة أعلى وجهك يا سمو الأميرة" ماذا؟! مسحت دورسيرا وجهها بأنامل يدها، لتشعر ببل تلك الدمعة أعلاه، متى سقطت؟! تساءلت دورسيرا بصدمة؛ فهي لا تبكي أبدا، أكل ذلك لتذكرها ذلك الرقم العفن؟! أم لشعورها أن كل شيء يخرج عن سيطرتها لاتجاه لن تستطيع

تحمل ما سينجم عنه، منذ وفاة أخيها رانل وكل شيء قيل لها أنه سيحدث يحدث بالفعل، يخيل لها أحيانا أنها تستطيع إيقاف كل ذلك، لكن أشياء صغيرة للغاية كرؤية مظهر مشابه لذلك الرقم الملعون تشعرها أنه لا يوجد مفر.

"استخدميه لتنظيف تلك الشرفة القذرة، ثم قومي بتغيير تلك الستائر بستائر لا يطيرها الهواء"

أمرت دورسيرا الخادمة بنبرة حادة، ثم سارت مبتعدة لخارج الغرفة، سارت حتى خرجت من القصر، كان الليل قد حل بالفعل، نظرت في أرجاء حديقة القصر لتلمح رادو يقف وخلفه عربة يجرها فرس، اتجهت نحوه فرآها ثم انحنى لها.

"سمو الأميرة دورسيرا، سعيد لقدومك"

"لماذا طلبتني؟"

"هل يمكنك مرافقتي يا سمو الأميرة؟"

أردف رادو بنبرة تخلو من السؤال، ثم أشار لسائس الفرس الذي كان يقف بعيدا، فأتى الرجل وفتح باب العربة لدورسيرا ثم انحنى، أصابتها الشكوك، لأين يريد اصطحابها؟!

"إلى أين؟"

تساءلت بحزم ليجيبها رادو بسماجة:

"أنتِ أميرتي يا سمو الأميرة دورسيرا، وأنا قائد جيشكم هنا في العاصمة الأم، ليس عليك القلق، هناك ما يجدر بك رؤيته"

"يجدر بي رؤيته؟! ومن أنت لتخبرني بما يجدر بي رؤيته يا رادو؟!"

سألت بهدوء، ابتسم الآخر مردفا:

"اعتذاراتي لك يا سمو الأميرة، أنا شخص يؤدي وظيفته فحسب، لم أقصد أن يتسبب ذلك بأيةٍ إهانة"

"لا تقلق يا رادو؛ أنت لست في مقام يجعلك قادرًا على إعطاء الإهانات، فأنت أحقر من ذلك بما لا يمكن وزنه"

لم تتغير ابتسامة رادو السمجة، لكن الاستياء بدا بعيونه الحمراء قليلا، أومأ قائلا:

"بالطبع، فلا شخص يسمو لمكانة أميرة راقية فاتنة مثل سموك، إن الأمر هام حقا يا سمو الأميرة، بخصوص قرارات تخص جيش العاصمة، وسمو الملك دومين مشغول للغاية، لكن إن كنت لا تودين مرافقتي، فلا أستطيع معارضة رغبة

سموك"

بالطبع دومين مشغول، فكرت بسخرية، فهو يجلب المصائب ثم يتركها هي لتحلها. صعدت للعربة وجلست دون النظر لرادو الذي صعد هو الآخر وجلس على المقعد المواجه لها، أغلق السائس باب العربة ثم أمتطى الفرس وحثه على السير، تأملت دورسيرا الطرق التي سارت بها العربة لخارج القصر، ولم يجذب نظرها سوى كم أن مظهر تلك الأوساخ والأتربة التي تعلو الأرض مقرف ومقزز للغاية، فجأة توقفت العربة، وبدا أن السائس قد نزل من أعلى فرسه، ثم قام بفتح الباب ونزل رادو ومد يده لها كي تنزل، فأمسكت بها ونزلت من العربة لتجد أمامها عددًا مهولًا لا يحصى من الجنود واقفين بتشكيلات وترتيبات منسقة، كما لو كانوا بناءً واحدًا لا يمكن تجزئته مطلقا على تلك الأرض الشاسعة التي تبلغ مساحتها ألفا متر محاطة بالأسوار، وتوجد مجاورة تماما للقصر، كان جميع الجنود يحملون أسلحتهم كاملة ويقفون كالتماثيل في تشكيلتهم بدون أي حراك، حتى أنفاسهم بدت منظمة للغاية.

"أقدم لك يا سمو الأميرة جزءًا من جيش العاصمة الأم؛ فجيش العاصمة يبلغ أربعون ألف محارب"

قال رادو وهو يقف لجوارها، حافظت على هدوئها ولم تبدِ أي تعبير ثم أردفت:

"جيد، وما الأمر الهام بخصوصهم إذن؟"

"أتدركين يا سمو الأميرة؟ هذا الجيش هو عائلتي الوحيدة، فسموك كنت محقة من قبل قد كنت حقيرًا للغاية أتسول وأشحذ، حتى ساقتني الأقدار لأنضم للجيش ومنذ ذلك الحين وهو عائلتي، ظللت أترقى به حتى وصلت لرتبة قائد الجيش ".

شعرت بصبرها ينفد فهي لا تهتم بحكايات الأطفال تلك.

"أنا لا أكترث لقصة حياتك البائسة تلك يا رادو، فلتحكها لحفنة أطفال بالشارع ولتجعلهم يصفقون وتفيض عيونهم بالدمع، بينما يعتقدون أنك أعظم رجل بالوجود، أخبرني فحسب ما الأمر الهام؟" أومأ رادو مبتسما:

"أدرك أن سموك مشغولة؛ لذا سأعفيكِ من تفاصيل قصة حياتي البائسة، لكن هناك تفاصيل أخرى يجدر بك معرفتها يا سمو الأميرة" نظرت له بلا مبالاة فأكمل:

"وحين أخبرك أنك يجدر بك معرفتها؛ فأنا أعني ذلك، تفاصيل مثل أن جيشا لا يرى أي شيء بالملك وبأولاده وأولادهم، ولا يدين لهم حقا بالولاء، ويرى في قائدهم شيئا لا يراه في هؤلاء الملوك على الرغم من صعوبة الأمر، إلا أنه بقليل من الدفعات وكثير من إرضاء دوافع أفراده سيتبع في

النهاية من يشير قائدهم له، حتى إن كان ذلك القائد أحقر مما لا يمكن وزنه من إعطاء الإهانات"

أهو حقا يهددها بالانقلاب؟! الآن وفي هذا المكان؟! بالعاصمة الأم؟!

أهو حقا بذلك الغباء؟! الغباء الذي تعدى غباء «بودير»! لكن، إن كان ما يقوله حقيقي، شعرت دورسيرا بالصدمة، إن كان هذا حقيقي فهم في كارثة فعلية، فلو انقلب الجيش ضدهم سـ. . عددت كل شيء قد يحدث، بداية إمكانية اختراق جيش «بودير» الآتي من (ليس الكبرى) للعاصمة، حتى فكرة أن جميعهم قد يموتون، أطفالها قد يموتون ولا يستطيعون الهرب أو طلب العون حتى، ومن سيعاونهم ميستريو؟! نايلس؟! حتى الجيش الذي سيأتي به نايلس، فهو لا قيمة له إن حدث انقلاب في جيشهم الأصلي، لكن كيف؟! كيف حدث ذلك؟! رادو القذر ذلك لا يمكن أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه، فلن يقبل به أي شخص ليحاول الحكم حتى؛ فهو لا ينتمي للأسرة الملكية، ولم يكن سوى شحاذ ومتسول.

"أعلم كم أنت خارقة الذكاء يا سمو الأميرة، لذا سأوفر على سموك باقي التفاصيل، فأعلم أنها مملة بالنسبة لك، لكن يجدر بك مرافقتي لمكان آخر"

نظرت له دورسيرا نظرتها المعهودة وتحدثت بحنق:

"هل تهدديني أيها الشحاذ؟! وتعلن الانقلاب والخيانة ضد ملكك؟!

هل لديك علم بما سيصيبك؟!»

"سمو الأميرة" ..

كاد يتحدث لكنها قاطعته:

"عذاب سيجعلك تتمنى الموت، ربما يكون بتقطيع أطرافك، ربما جلدك، كل ثانية حتى تختفي معالم ظهرك تماما، وربما بإطعامك للأسود، لا أدري بعد أي عقاب ستساق إليه، لكني أعدك أنها ليس ميتة هانئة فحسب، أنت تلعب بالنار يا رادو؛ فأنت تراهن على طاعة الجيش لك وعصيانهم للملك، وهذا لم يحدث أبدا من قبل، لن تسعد مطلقا بما سينتهي إليه حالك إن لم تفز برهانك، ستبكي حينها كل يوم وأنت تحلم أنك ظللت متسولا قذرا فحسب"

"إنه رهان كبير يا سمو الأميرة أدرك ذلك، لكن فرصي بالفوز لا بأس بها؛ فنهاية وجهتنا ستظُهر لك لمَ أنا وسموك متساويان بهذا الرهان، وأعتذر إن كانت متساويان تلك قد أسأت لمكانة سموك الراقية للغاية لكنها الحقيقة"

"أنتَ منتهٍ لا محالة"

أردفت ليجيبها ذلك القذر الملقب برادو.

"إن سمحتِ سموك فلتتفضلي الآن لنكمل رحلتنا" لم تتحرك وظلت تنظر له باحتقار بعيون ثابتة لا ترمش. "يمكنني إعادة سموك لحديقة القصر من حيث جئنا، بل يمكن لسموك العودة وحدك إن كانت تلك رغبتك، لكني أؤكد لك أن مجيئك برفقتي سيكون في مصلحتك ومصلحة أطفالك»

ذكره لكلمة أطفالها أنستها كل شيء آخر، فين وثنسيا الموجودان بالعاصمة الأم، وكيرا التي تبعد عنها آلاف الأقدام، اللعنة، حافظت دورسيرا على رباطة جأشها، وسارت صاعدة للعربة، ثم جلست بها مجددا وهي تلعن ذلك الشحاذ القذر. مرت بضع دقائق بدت أشبه بالساعات، حتى كانا قد وصلا القصر مجددا، لكنهما لم يتوقفا عند البقعة نفسها، توقفت العربة ثم نزل رادو ومد يده لدورسيرا لمساعدتها على النزول، لكنها تجاهلتها تلك المرة، نظرت صوب القصر وفكرت أنه يمكنها إخبار دومين وحراسه وجنودها فحسب وإلقاء القبض على رادو.

"أرى ما تفكرين به يا سمو الأميرة وقد أخبرتك من قبل: يمكنك الذهاب حيثما أردت، فها هو مدخل القصر أمامك، بل يمكنك أن تنادي الحراس فحسب وتأمرينهم باعتقالي، سيكون ذلك سهلا ومطمئنا، لكنك لن تخسري شيئا إن أكملنا وجهتنا،

لكني أعدك بأنك ستخسرين كثيرًا إن تسرعت بقرارك الآن"

شعرت دورسيرا أنها تود قطع لسانه ذاك ورميه لتأكله الكلاب، لكنها أكملت لوجهته محاولة تذكير نفسها لمَ تتحمل أن شخصا كهذا مازال قادرا على السير حتى بعد كل ما قاله وهدد بفعله، إنه بسبب خوفها المفرط حيال أطفالها، تابعوا السير حتى بدأت الرؤية تتضح بصورة أكبر لدورسيرا، ويتضح لها لماذا رادو واثق ومتأهب بذلك الشكل، كان ذلك حينما وصلوا للزنازين السفلية حيث يبقون «بودير» سجيناً.

"سأتركك الآن يا سمو الأميرة"

أردف ذلك الشحاذ رادو بنبرته السمجة، ثم سار مبتعدا دون أن ينحني أو يبدي أي نوع من الاحترام، بالطبع، فمَ الذي توقعته من خائن حقير مثله؟!

توجهت دورسيرا لزنزانة «بودير» لتجده مستندا براحة للقضبان بهيئة سيئة، بدا كذلك مقززًا بسبب تلك الأوساخ التي تشوب مظهره إثر كل ليالي الحبس تلك، كانت نظرته تجاهها تبدو حادة بعض الشيء، لكنه حافظ على هدوئه، عم الصمت قليلا، وطالت النظرات الصامتة، لكن دورسيرا أرادات إنهاء كل ذلك الهراء فتحدثت:

"أتعتقد أن ذلك سيعيد جوزيف؟!"

"كلا، لكنه سيفُقد أخوك رأسه"

"أخبرتك يا "بودير" من قبل أن تهورك قد يقودك للهلاك، أنظر ماذا حل بالفعل، أحقا تريد أن ينتهي الأمر تماما بالنسبة لك كما حدث لجوزيف؟!" تساءلت بجدية.

"لقد أخبرت رادو أن يجلبك اليوم ويريك جزءًا من الجيش، كي أنصحك بأخذ طفليك والهروب لأراضيك أو لأخيك ميستريو قبل حدوث الفاجعة، لكن أقسم لك يا دورسيرا إن تفوهت بأي شيء يسيء لأخي مجددا فستكونين أنت أول من تصيبه الفاجعة"

لوهلة تذكرت دورسيرا حديث والدها الأخير لها قبل موته، وحثه إياها أن تمنع حدوث التفرقة وما ستجلبه من بلاء، قد علم والدها جيدا ما قد يصيبهم إن أجاروا على حقوق جوزيف و»بودير»، لكن دومين كان عليه الاتصاف بالفضيلة والتمسك بالمبادئ، وبدأ كل ذلك البلاء بسبب استعانة جوزيف بمدعٍ للسحر.

"فلتهربي يا دورسيرا، لا أريد رؤيتك مجددا فحينها ستكونين عدوة لي فحسب"

نظرت لعيني «بودير» لترى الصدق ممزوجًا بالحدة بهما، بالطبع فموت جوزيف سيجعله يصبح شخصًا آخر تماما،

المشكلة أنها تعلم ماهية «بودير»، وأنه لن يتردد عن تنفيذ كلامه، بالضبط كما لن يتردد دومين عن إتباع التقاليد البلهاء، وميستريو عن ظهوره بغير المفهوم ونايلس عن كونه خانعًا وضعيفاً، إن رحلت الآن فستحدث التفرقة بلا أدنى شك، ف»بودير» لن يطالب بالملك لأنه كان ملك والده، ومن المفترض أخوه من بعده فحسب، بل سيحارب لأجله مستخدما جيشه وباحتمال كبير الجيش الموجود بالعاصمة بالفعل، جيشهم، فكرت بسخرية، القذر رادو هو قائد الجيش وصديق «بودير»، لكنها لم يخطر ببالها مطلقا أن هناك قائد جيش قد يفعل شيئا كهذا ويخون ملكه تحت اسم الصداقة، ومنذ متى وهو يخطط لذلك؟! منذ متى وهو يساعد «بودير»، بل وربما ساعد جوزيف من قبل بإخبار جودي عما يدور بطريقة غير مباشرة أدت لقيامها بتهديد دومين قبيل حادثة موت جوزيف تلك، أو ربما لدى رادو أهدافاً أخرى أكثر عمقاً يخفيها ليخاطر مخاطرة كبيرة كتلك، فإذا لم تسرْ خطة «بودير» ورادو على نحو ما خططاه، سيرى القذر رادو ذاك الويلات، لكن إذا سارت خطتهما بشكل سليم، فسيموت دومين بلا شك وستنشب حرب بين كل من «بودير» ونايلس وميستريو، ذلك بافتراض أن نايلس وميستريو سيتحدان بالفعل، فنايلس هو الأكبر، وهو ضعيف لكنه مازال الأكبر، ذلك سيجعله الأحق بالحكم إن تم القضاء على «بودير»، بينما ميستريو لا أحد يفهم حقا تصرفاته، وهي لا تثق به، ولا تثق بكونه سيساند نايلس كي يصير ملكا، لكن ماذا إن تغلب «بودير» على الأخين؟! إن نجح رادو في الانقلاب، فسيملك «بودير» أكبر

جيش على هذه الأرض، جيشه وجيش العاصمة الأم، كما أنه سيملك العاصمة الرئيسة، ونصف المملكة الغربية متمثلة في (ليس الكبرى) وكذلك على الأغلب دعم جودي، وبالتالي دعم شبه جزيرة لونا، وماذا لو حاربوا جميعهم بعضهم بعضا فحسب؟! إلامَ سينتهي ذلك الأمر؟!

وماذا سيصيبها هي وأطفالها؟! وكيرا ما الذي سيحدث لها، وهي بمملكة ستنقسم فيها الحرب بين طرفين (ليس الكبرى) من جهة، وباقي المملكة الغربية من جهة أخرى، ابنتها قد تعرضت بالفعل لمحاولة اغتيال بسبب كونها هجينة، ماذا سيحدث إن اندلعت الحرب وصارت غير آمنة، أو لم يعد لدورسيرا ببساطة حليف في المملكة الغربية، ف»بودير» يريد الانتقام لأخيه ونايلس خاضع و.. شعرت بدوار شديد بجبهتها، لكنها حاولت الحفاظ على ملامحها الجادة، عليها أن تجد حلًّا، عليها أن تجد مخرجًا لذلك الموقف، طرقها التقليدية لن تجدي نفعا مع «بودير» الآن.

"يظن أنه يريد الرحيل لأنه خذل أخته، لكن مازال لديه أخت أخرى، ربما تلك سيحاول ألا يخذلها إن حرصتِ على ذلك"

لا تدري دورسيرا لماذا تذكرت جملة ميستريو تلك في هذه اللحظة، لقد أخبرها بتلك الجملة حين أراد فين الرحيل، ولم تستطع منعه بحزمها المعتاد، لكن فين ظل في النهاية حينما اتبعت دورسيرا نصيحة ميستريو تلك، لقد علم ميستريو ما

الذي يحرك فين، لذا نصحها بجعل ابنها يظن أن رحيله سيكرر الخطأ نفسه مع أخته الأخرى، وبقاؤه قد يكون هو البداية لإصلاح ما ظن فين أنه قد أخطأ به من قبل، ونجح الأمر لأن فين يحب أختاهُ أكثر من أي شيء آخر، لكن أسينجح الأمر مع «بودير» كذلك؟! إنه ليس كفين، سحقا لأخيها ميستريو، تمنت لو استطاعت التفكير مثله بتلك اللحظة، لكن لماذا تتمنى ذلك؟! إنها تعلم «بودير» جيدا، لذلك خشيت ارتكابه لكل المصائب التي تحدث بالفعل، إنها تعلم ما هو قادر على فعله، ماضيه، أسراره، ما يحب، ما يحب! أنارت فكرة في عقلها، كرهتها، لكن يبدو أنها الحل الوحيد، لأجل كيرا، لأجل فين، لأجل ثنسيا، لأجل ألا تحدث التفرقة، لأجل ألا يكرر الزمن نفسه ويحدث لأحد إخوتها ما حدث لأخيها رانل، لكيلا تتحقق كل تلك الأشياء التي سمعتها بصغرها، لكيلا تموت ابنتها باليوم السابع كما تم إخبارها في الماضي.

"كلا، أنا لن أهرب يا "بودير"، لن أهرب مجددا ".

تحولت نظرات «بودير» الحادة لبعض الحيرة، أبدت دورسيرا بعض التأثر بتعبيرات وجهها وبنبرة صوتها وأكملت:

"لقد هربت من قبل حين اتبعت دومين بكل ما فعله لك أنت وجوزيف، ولم أحاول إيقافه لكنه كان الملك يا "بودير"، وهو كذلك أخي، لكن لم أتخيل مطلقا أن تصل حماقته حد قتل جوزيف، قتل جوزيف؟! جوزيف الذي حاول دوما إيجاد ترياق

لعلاج كل هؤلاء المرضى، جوزيف الذي لطالما حكم (ليس الكبرى) بأفضل ما لديه، وكان رجلًا صالحا، لكن منذ متى يلقى الصالحون ما يستحقونه في هذا العالم؟! فجشع دومين عماه، إنه لم يهتم أبدا لاستخدام جوزيف لشخص مدعٍ للسحر أو أي من ذاك القبيل، لقد أراد أن يتزوج جودي فحسب، وأن يحرص على ألا يسبب جوزيف أي مشكلات بسبب ذلك، أبسط تلك المشكلات مطالبة جوزيف بالحكم».

اتسعت عيني «بودير» قليلا وتساءل:

"جودي؟!"

جاوبته دورسيرا محاولة الحفاظ على نبرتها المتأثرة، لم تدرك كيف تفعل ذلك فتلك لم تكن طبيعتها مطلقا، لكنها أكملت على أيةً حال:

"أجل، جودي، فهو لم يتوقف عن حبها مطلقا، أتعلم يا "بودير" أن دومين أمر بنفي كيرا؟! على الرغم من حديث الممسوسين بأن الأصح هو بقاؤها بالمملكة الغربية، لكنه لم يهتم لذلك، ولم يهتم لكونها ابنة أخته، لم يهتم سوى بالتخلص منها فحسب كي لا يسخط الشعب حياله تماما كما أراد التخلص من جوزيف فحسب كي يستطيع الحصول على جودي لنفسه، وحين علم أني أرسلت كيرا للمملكة الغربية دون علمه، أقسم على معاقبتي أنا ونايلس بعد الانتهاء من أمرك أنت

وجوزيف، وأعلم أنه سيجردني من الأراضي التي أملكها عقاباً لي"

صارت نظراته الآن محايدة بعض الشيء، كأنه يفكر بكل ما قالته لتوها.

""بودير"، أنا لا أريد أن أهرب، أنا أريدك أن تنقذني من دومين؛ فأنت الوحيد الذي تعرف ما أخفيه حقا أسفل ذلك القناع الذي أرتديه كل يوم"

بدت عيون «بودير» حائرة مجددا، لا تدري أتصدقها أم لا، لكنها بدت موشكة على تصديقها، اللعنة عليها إذن قول الجملة التي ستنهي كل ذلك. سارت مقتربة من حيث وقف «بودير» وحاولت النظر بقوة خلال عينيه، اللعنة على تلك الظروف وعلى ميستريو وعلى دومين وعلى "بودير".

""بودير"، أنا أحبك" زادت دهشته متسائلا:

"تحبينني؟!"

"أجل، لكنني لم أستطع مطلقا إخبارك، فكيف وأنا أكبرك بما يقارب العشرة أعوام؟ كيف وقد كنت في يوم ما مخطط لي أن أتزوج أخاك؟ كيف وقد صرت أرملة لديها ثلاثة أطفال؟ لكني أعلم أنك تبادلني الشعور أيضا يا "بودير""

لم يجب وبدا أنه مازال يفكر بكل ما يدور. اللعنة، لا يمكن أن تكون قد خاضت كل ذلك الهراء كي لا ينجح في النهاية.

""بودير"، فلنتزوج، فلنتزوج، ونوقف دومين عند حده، لن تكون بحوزتك العاصمة الأم وليس الكبرى وشبه جزيرة لونا فحسب، بل كذلك ستكون الأراضي الخاصة بي في المملكة الشرقية تحت إمرتك، تلك الأراضي تقع على فرع النهر الزجاجي، وأراضي ليس الكبرى يقع بها آبار الحياة، إن هاتين أكثر المناطق حيوية وخصوبة بالمملكتين، إن اتحدنا فلن يستطيع أي من إخوتي التصدي لنا، وسيذعنون في النهاية لك، وأطفالي هم أطفالك أنت تعلم ذلك جيدا لذا لن تخشى"..

توقفت للحظة ليكمل «بودير» عوضا عنها:

"لن أخشى كوني عقيمًا لا أنجب، أليس كذلك؟"

"لن تخشى أن يحدث تفرقة مجددا من بعدك بسبب عدم وجود ذرية لك"

عم الصمت مجددا، لكن لم ينظر «بودير» لدورسيرا تلك المرة، بالنظر لأحد أرجاء الزنزانة مفكرا ثم نظر لها مجددا وأردف:

"أنتِ تدركين أن أول ما سأقوم به هو إعدام دومين أمام كافة الشعب"..

إنه يحاول إخبارها أنه إن وافق، فسيكون بشروطه وكل شيء سيصير تحت إمرته هو، اللعين..

"أدرك ذلك وستحصل على كامل دعمي!"

أجابت بثقة ليظل يرمقها بتلك النظرات الثابتة، فقد اتخذ قراره بالفعل.

***

حل ذلك الصباح بالفعل، لم تنم طوال الليل، علمت أن عليها رؤيته بمجرد رؤية الشروق، سارت بتلك الردهات التي يتخللها ضوء الشمس، وراودتها ذكرى أشعرتها بالغثيان، ذكرى مقززة أرادت محوها، لكنها ظلت بخيالها، مهما فعلت فهي لا ترحل ذكراها وهي تسير بجوار ميستريو الصغير بتلك الردهات البائسة نفسها مردفة:

"هل أنت واثق أنك على ما يرام؟"

لم تلق دورسيرا إجابة من ميستريو الصغير، فقط أشاح وجهه بعيدا عنها بينما هو يسير لجوارها في تلك الممرات.

"ميستريو، أجبني"

لا إجابة أيضا، قهقهت بسعادة:

"حسنا كما تريد، سنلقى أخانا رانل الآن، هو سيعلم كيف يبهجك" قالت جملتها الأخيرة، بينما فتحت يدها باب غرفة رانل، لترى طاولة الطعام يعلوها طعام وشراب، ورأس رانل جاحظة العينين مستريحة أعلى تلك الطاولة، يعلو فمه رغوة بيضاء، ويحيط فتات الطعام المتناثر رأسه، اتسعت عيناها بصدمة لا تتعداها أيةً صدمة أخرى، تساقطت دموعها لا شعوريا، شعرت بشيء ما يدُمر بداخلها، يدُمر للأبد دون رجعة، حاولت إبعاد وجه ميستريو عن ذلك المظهر، لكنه بدا غير مصدوم، بدت عيناه كما لو أنهما تشعران بالذنب، ميستريو لم يشعر بالصدمة! حينها نظرت لذلك المظهر مجددا وركزت على الفتات المتناثر وشعرت أنه مقزز، مقزز للغاية، مقزز كعلم ميستريو بتسميم أخيهم رانل، حتى قبل رؤيتهم لذاك المظهر، فقد بدا ذلك من نظراته، إن لم يفعل ميستريو شيئا حيال إيقاف تسميم رانل، فقد يكون هو من قام به في المقام الأول، كانت تلك آخر فكرة راودت دورسيرا حيال تلك الذكرى، بينما هي تقف أمام غرفة دومين منتظرة إعلامه بمجيئها، خرج الحارس من الغرفة وفتح الباب منحنيا لدورسيرا، فدخلت تلك الغرفة، الغرفة التي عهدتها آخر مرة عند رؤيتها لجثة والدها الهامدة، والآن صار يسكنها دومين، ولكنه إن بقي بها فسيكون مصيره الموت، بالإعدام كما خطط "بودير"، بالسم

كما حدث لرانل، بالموت المفاجئ دون أسباب واضحة كما حدث لوالدها، أو بغيرهم من الطرق.

"أجل يا دورسيرا، لماذا طلبتِ مقابلتي في هذا الوقت الباكر؟" تساءل دومين بينما هو يجلس أعلى ذلك المقعد القريب من الشرفة ويمسك كتاباً ما بيده، ما يزال برداء النوم، لكن بدا أنه استيقظ منذ وقت.

"دورسيرا ماذا تريدين؟ ليس لدي وقت لهذا الصمت"

"هل يبدو الأمر ذو قيمة الآن؟ كل ما فعلته بسبب استعانة جوزيف بمدعي للسحر!"

"هل طلبتِ مقابلتي في هذه الساعة لتسأليني هذا السؤال؟!" تساءل باستنكار والغضب يعلو وجهه.

"هل يبدو الأمر ذو قيمة الآن؟!"

كررت سؤالها بحدة، بدت عيون دومين غاضبة، لكن رده كان أغرب ما سمعته دورسيرا:

"لقد تسبب السحر في جعل ابنتي يتيمة الأم للأبد"

شعرت بالدهشة، عمَّ يتحدث؟! فلقد توفت زوجته بسبب

عاصفة ما بالبحر في أثناء سفرها.

"عمَّ تتحدث؟!"

"زوجتي لم تتوفَّ بسبب عاصفة كما شيع، لقد تطرقت لأمور السحر حتى صارت مهووسة بها، واستعانت بمدعٍ للسحر جعلها تزداد جنوناً وهوسا، حتى تسببت هي بغرق السفينة التي كانت تركبها وموت كل من أعلاها، بما فيهم هي، لظنها أن ذلك سيجلب لها قوة سحرية ما بسبب همسات الساحر ذاك، كانت ابنتي لوسي حينها بعمر العامين، وكادت أن تغرق برفقتها لولا إنقاذ أحد البحارين لها، وعملت أنا على إخفاء ذلك الأمر تماما، من يتبع السحر سيرى في البداية أنه أمر هين، وأنه يريد أن يشبع فضوله حياله فحسب، حتى يبدأ بريق وهمي يظهر له تدريجيا ليعمي عقله تماما، وفي النهاية سيؤدي السحر لهلاك ذلك الشخص ومن يوجد تحت إمرته، وسيخرج الساحر من كل ذلك سليما ليخدع شخص آخر، هذا ما حدث مع والدة لوسي وما كان سيحدث مع جوزيف وما سيحدث لأي شخص يستعين بالسحر والسحرة، وأنا لن أسمح بحدوث ذلك مجددا مطلقا، تعتقدين أنك تعرفين كل شيء يا دورسيرا، لكنك أغبى من أن تدركي حقيقة بسيطة كتلك"

دُهشت دورسيرا للسماع بأمر تلك القصة، فهي لم تعرف أياً من ذلك من قبل، لكن كيف؟! قاطعت أفكارها تلك الأصوات العالية بالخارج، تلاها صوت صليل سيوف تتبارز وأشخاص

يزمجرون، إنه يحدث.

"ما الذي يحدث؟! ما هذا الصوت؟!" تساءل أخوها وهو يقف مندهشا.

"أخشى أنك يا دومين أغبى من أن تدرك أن ذلك كان سيحدث عاجلا أم آجلا بسبب عدم استماعك لي"

وجهت حديثها لدومين بنبرتها المعهودة، فنظر لها بعيون متسعة وفم مفتوح، فجأة فتُح الباب بقوة على مصرعيه، ليدخل من خلفه جنود رادو ويمسكوا بدومين، رأت دورسيرا جثث حراس دومين ساقطة أمام الباب بدماء لم تبرد بعد، بل إن أحدها أخذ يتلوى وهو يمسك بذلك القطع الغائر بعنقه حتى فارق الحياة، دخل أحد أفراد الجنود، ووقف أمام دومين، يبدو أنه يعلو باقي الجنود في رتبته وأردف:

"بأمر من قائد الجيش قد تم القبض عليك لقتلك للوريث الشرعي للحكم سمو الأمير جوزيف، واحتجازك أخيه الوريث من بعده سمو الأمير "بودير"، وتحفظك على سمو الأميرة جودي من شبه جزيرة لونا ضد إرادتها"

"هل جننتَ؟! أنا الملك!"

صاح دومين بغير تصديق، أكمل الجندي الأعلى رتبة:

"بأمر من قائد الجيش تم تجريدك من ملكك؛ فلست الوريث الشرعي للملك، وستتم محاكمتك غدا صباحا فيما اقترفته من جرائم"

"سآمر بنحر عنقك أيها الحثالة، أنا الملك! أنا الملك!" كرر أخوها بجنون.

"خذوه من هنا"

أمر الجندي الأعلى رتبة باقي الجنود ليجذبوا دومين لخارج الغرفة، في أثناء صدمة دومين لمح دورسيرا وصاح:

"دورسيرا، لقد علمت بأمر كل ذلك، أيتها الخائنة!"

كان دومين قد جُذب بالفعل لخارج الغرفة وابتعد صوته لكنها سمعته يصيح بأعلى ما لديه:

"أيتها الخائنة!"

***

"فين، فين من فضلك، فلترسم معي الرسمة القادمة»

«أخبرتك أني لا أفقه شيئا بفن الخطوط ذاك يا ثنسيا»

"أعلم ولكنك منذ بدأت بمطالعة الكتب وأنت مشغول دوما، وماذا تقرأ على أيةً حال؟"

"'القدماء' إنه كتاب يتحدث عن تاريخ الشعبين قبيل غزو النصف الشمالي من القارة، والأساطير التي شيعت عن استعانتهم بالأسود"

"فلتحكه لي بعد العشاء من فضلك"

طلبت الصغيرة ثنسيا من فين الذي أومأ بدوره مبتسما في أثناء جلوسهم لتناول العشاء، دورسيرا وطفليها، تمنت دورسيرا أن تصمت ثنسيا فحسب؛ فرأس دورسيرا سينفجر بالفعل من كم التساؤلات التي لا تنتهي حيال ما خططت لحدوثه.

"أمي، هل حقا ستتزوجين "بودير" وتقيمون زفافاً كبيرا؟!" تساءلت ثنسيا بسعادة وهي تمد يدها للدلالة على كبر الزفاف، بينما لمحت دورسيرا فين ينظر لها منتظرا سماع الإجابة هو الآخر، لكن دورسيرا لم تعرهما اهتماما وظلت صامتة. لم تمر سوى لحظاتٍ حتى أتى ساريو، أخيرا! وهمس بأذن دورسيرا أن الأمر قد تم، شعرت ببعض الراحة تجري بأوصالها، لكن سرعان ما استبدلت تلك الراحة بمزيد من القلق لحدوث الأمر بتلك السهولة، فربما هناك خطب ما أو أمر خاطئ، كما مازالت هناك العواقب المترتبة لما فعلته..

"أمي انظري، لقد رسمتها لأجلك!"

رفعت ثنسيا تلك الرسمة من جوارها لترُيها لدورسيرا، كانت بفن الخطوط اللعين ذاك كرسمة ثنسيا السابقة، لكن تلك المرة لم تستطع دورسيرا حقا تمييز أي شيء، فقد بدا كل ما بالرسمة كخربشة لا معنى لها فحسب.

"ما هذا؟!"

تساءلت دورسيرا بنفاذ صبر لتجيبها ثنسيا:

"زفافك! أو ما سيبدو عليه زفافك".

عند ذلك الحد لم تعد تتحمل دورسيرا غباء ابنتها غير المتناهي، فهي لا تنفك عن التحدث والسؤال عن ذلك الزفاف اللعين فحسب بل وترسمه أيضا، ذلك الزفاف الذي ستضطر دورسيرا فيه للزواج ب»بودير» الذي لم تكن له أي مشاعر مطلقا سوى مشاعر الأخُوة، ذلك الزفاف الذي استعملته كخطة لخداع «بودير» كي لا يدُمر كل شيء، ذلك الزفاف الذي لا يذكرها بشيء سوى بذكرى أخيها يجُر بذل وهو يرى أنها انقلبت ضده، أمسكت دورسيرا بالرسمة وهي تنظر لها بتقزز بينما انتظرت ثنسيا إجابتها مبتسمة.

"ما هذه القمامة؟!"

صُدمت ثنسيا، وهمت أن تجيب، لكن دورسيرا أكملت بنبرة مستنكرة:

"إن كنت لا تجيدين شيئاً فلا تزعجي أعيننا به؛ فتلك هي أبشع رسمة رأيتها بحياتي!"

"لكن، قد أعجبتك رسمتي السابقة؟ أم أن رسوماتي كلها سيئة؟!" تساءلت ابنتها بعيون غير مصدقة.

"كلا، ثنسيا رسوماتك حقا جميلة؛ عليكِ أن تواصلي المحاولة فحسب"..

حاول فين التدخل، لكن دورسيرا لم تعد تحتمل هذا الهراء، أي ةً رسومات يتناقشون حولها وهي غارقة بمصائب لا تحُصى.

"فلتصمت أنت! إلى متى ستعيشين بأحلامك وخيالاتك البلهاء تلك؟!

رسوماتك ليست سيئة بل إنها بشعة! بشعة للغاية، فلتتوقفي فحسب!»

صاحت دورسيرا بينما هي ترمي برسمة ثنسيا أرضا، احمرت عيون ابنتها واكتظت بالدموع، وانصرفت بهدوء من المكان

وهي تنظر أرضا، سحقا لكل ذلك، فكرت دورسيرا. وقف فين أيضا ثم حاول إمساك رسمة ثنسيا المرمية أرضا، لكن قدمه الخشبية لم تساعده، لكن ساريو سرعان ما التقطتها مقدما إياها لفين الذي أمسكها، ثم سار يستند لعكازه محاولا اقتفاء أثر أخته، ربما افرطت دورسيرا في قسوتها تلك المرة.

"أستمحيك عذرا يا سمو الأميرة"

أردف ساريو وهو يطلب الإذن بالرحيل من دورسيرا، فأومأت ثم وضعت يدها أعلى جبهتها محاولة التخفيف من ذلك الصداع اللعين الذي أصابها فجأة.

"سمو الأمير وملكنا القادم"

سمعت ساريو يردف، نظرت جهته لتجده ينحني ل»بودير« الذي بدا بحالة أفضل بعد خروجه من تلك الزنزانة القذرة، ثم استأذن ساريو بالرحيل فسمح له «بودير» بذلك. اللعنة ما الذي أتى ب»بودير« الآن؟!

هل هناك مصيبة جديدة ما؟!

"ما بال ثنسيا لقد رأيتها تسير باكية وفين يحاول اللحاق بها؟" تساءل "بودير" بينما يجلس أعلى أحد المقاعد المواجهة لدورسيرا.

"لا تكترث لأمرها، هناك أمر آخر هام علينا إيجاد حل له"

"أي أمر؟"

"لقد أرسلنا الخطابات لإخوتي فحسب عما صار هنا بالعاصمة الأم، وعن أنهم يجب أن يعترفوا أمام جميع الناس بكونك الملك الشرعي، كذلك نحن نملك دعم شبه جزيرة لونا طالما الأميرة جودي بصفنا على الرغم من الحالة النفسية السيئة التي تعاني منها حاليا، وعدم مفارقتها قبر جوزيف، لكن هناك أمر بأهمية كل تلك الأشياء، أمر بخصوص كيرا" "لقد وعدتك أنني سأحضرها لكِ، بمجرد تنصيبي ملكًا سيصير من المسموح وجود الأطفال الذين عُرضوا على المرايا، وأظهرت أن روحهم تنتمي للمملكة الغربية، لكن فين لن يستطيع البقاء"

شعرت دورسيرا بالسخط، تبا لقانون المرايا القذر ذاك، فمن يظل بالعاصمة الأم حسب قانون المرايا يجب أن يكون على شاكلة الملك، فإن كان الملك أحمر العينين فأطفال المملكة الغربية يستطيعون البقاء بها، وإن كان أصفر العينين فأطفال المملكة الشرقية يستطيعون البقاء، و»بودير» أحمر العينين؛ هذا سيعني إمكانية عودة كيرا، لكن استحالة بقاء فين، لكن فين في النهاية ليس هجيناً ولن يحاول جميع الناس قتله.

"أعلم أن فين سيرحل، لكنه سيصير الملك من بعدك كما

كان اتفاقنا من قبل"

أردفت دورسيرا ليعقب «بودير» على حديثها:

"وأنا لم أغير اتفاقي"

"لكن هذا ليس الأمر الذي يخص كيرا، لقد بعثت عالمًا يدُعى ران ومساعدته برفقة جنود لي لأنقاض مقر الحالمين، على أمل إيجاد حل ما هناك لمشكلة كيرا، وبعث لي أحد الجنود البارحة خطاباً يقول به كلامًا أبلهَ عن كون قوى ما استحوذت ذاك العالم وأنه قد هاجمهم"

"أنقاض مقر الحالمين؟! هل ما سمعته لتوي حقيقي؟!"

تساءل بغضب لتجيبه دورسيرا بحزم:

"لقد حدث ما حدث، ما نحتاجه الآن هو إرسال شخص تثق به تماما ليجلب ذاك العالم ومساعدته، وأنا سأحرص على جلب جنودي ومن يكذب بالطرفين سيرى الويلات، علينا التعامل مع هذا الأمر يا "بودير"، فلا يمكن ترك اثنين يتجولان في الأنقاض بذاك الشكل دون وصاية خاصة، إن كان ذلك العالم قد خانني بالفعل!"

لم تتبدل أمارات الغضب على وجه «بودير»؛ فقامت بإمساك

يده وتهدئة نبرتها قليلا، فعليها التخلص من مأزق أنقاض مقر الحالمين ذاك.

""بودير"، من فضلك"

"سمو الأمير!"

دخل حارس ما سريعا وعلى وجهه نظرة جدية، نظر كل من دورسيرا و»بودير» جهته ليتحدث.

"الملك السابق دومين قد تم تهريبه بالفعل!"

اللعنة! فكرت دورسيرا، كيف اكتشفوا بتلك السرعة؟! وما الذي يعنيه بكلمة ‹بالفعل›؟!

لم يجب «بودير» فورا، ولم يبد أنه مستاء للغاية.

"نفذ الخطة إذن! واغلق كل الممرات! وأريد من قاموا بتهريبه أحياء فهم سيخبروننا بهوية الخائن الذي بيننا!"

"أمر سموك!"

ثم انصرف الحارس سريعا، شعرت دورسيرا بالفزع، هل علم «بودير» بمَ خططتْ له؟! هل لذاك السبب تحققت خطتها

بسهولة؟! سحقا له! أبدت نظرة جادة على وجهها، بينما قام «بودير» بوضع يده أعلى يدها الممسكة بيده الأخرى، وأردف بابتسامة لم تطمئن لها دورسيرا إطلاقا:

"لا تقلقي يا عزيزتي سأرسل من يجد ذاك العالم".

ثم أكمل بنبرة حازمة:

"وسنجد من حاول خيانتنا على الفور كي أحرص ألا يصيبك أنت أو فين أو ثنسيا أي مكروه".

***

"أتفهمين ما عليك فعله؟" لم تصلها إجابة فقط إماءة رأس.

"هذا ليس بالكافي، كرري ما عليكِ فعله!"

"سأرحل بعد أسبوع من العاصمة الأم برفقة فين وسأعيش في الأراضي الخاصة بك في الشرق لكن اليوم، سأبتسم في أثناء مراسم تتويج الملك"

بدا صوت لوسي ابنة دومين ثقيلا للغاية، كأنها تدفع الكلمات بصعوبة لتخرجها من حلقها.

"وهل تدركين لماذا تفعلين هذا؟" سألتها دورسيرا بهدوء.

"لأنني، لأنني لا أستطيع التواجد هنا حسب قانون المرايا، لأن الملك سيكون أحمر العينان، ولأن هذا هو الصائب؛ فوالدي.. والدي.. هو من تسبب بحدوث ذلك"

حاولت لوسي كتم شهقاتها وبكائها حتى لم تستطع، فهي مجبرة على ترديد كل ذلك الحديث حتى لا يحسبها أي شخص تفكر بالانتقام لوالدها، لكن ذلك ليس ما أرادت دورسيرا سماعه؛ فهي ليست أي شخص.

"تلك إجابة لا بأس بها ".

أردفت دورسيرا بملل، نظرت لها لوسي تحاوط الدموع وجنتيها، أكملت دورسيرا:

"لكن قبل أي شيء، أنت تفعلين هذا لأنني أمرتك به"

أومأت لوسي ثم نظرت أرضا كي تتجنب مزيدًا من نظرات دورسيرا الحادة.

"رافقيني للمراسم"

قالت دورسيرا آمرة، ثم سارت لتخرج من غرفتها تتبعها

لوسي، وهي تطأطئ رأسها، لم تتفوه الفتاة بكلمة طوال سيرهما، لمحتها دورسيرا بطرف عينيها لتجدها تسير مشابكة يديها وهي تنظر للأرض، لن تكذب دورسيرا، فقد شعرت ببعض الأسى حيالها، لكن ذلك ليس الوقت للمواساة، كما أن المواساة لن تفيد بأي شيء؛ فلوسي ليست بأول أو آخر فتاة ستنتقل بسبب قانون المرايا، تساءلت دورسيرا ببالها عما قد يحدث إذا وجدوا دومين، لكنها حاولت تركيز تفكيرها في الوجهة التي تود الوصول إليها، مرت بضع دقائق حتى وصلتا أمام قاعة مراسم التتويج أخيرا، ازدحمت بالفعل بكثيرٍ من النبلاء والأمراء، همتا بالدخول والذهاب وللجلوس في المقدمة لجوار فين وثنسيا، لولا أن دورسيرا سمعت صوتاً ما ينادي:

"سمو الأميرة دورسيرا!"

نظرت دورسيرا لمصدر الصوت لتجده ذلك الحقير رادو، أشارت للوسي بأن تذهب هي ريثما تعرف ما يريده ذلك الوغد.

"المراسم على وشك أن تبدأ"

أردف بصوته المقزز، لم تجب، بل اكتفت بالنظر إليه باحتقار، فلم ترد إطالة الحديث، بل لم ترد بدأه من الأساس، أكمل الخائن حديثه:

"كنت أتطلع لحضور زواجك من ملكنا وتتويجك كملكتنا

الجديدة، لكن مع الأسف لن أستطيع، فقد كلفني الملك بمهمة إن لم يتم التعامل معها سريعا، فستتسبب بكثير من الفوضى، خاصة إن علم جميع الناس أن شخصًا ما يتجول بأنقاض مقر الحالمين، يا للعار، أترين يا ملكتنا المستقبلية دوما أضطر للتعامل مع الفوضى التي سببها الآخرين"

"لا، بل أنت تفعل ما تؤمر به؛ لأنك كلب ل"بودير" فحسب إن كنت امرأة لربما لقُبت بلقب آخر.." قهقه الخائن رادو:

"لقب آخر؟! آووه لحسن الحظ أني لست امرأة إذن، وأنني أمسك بزمام أموري فلست من أتوسل لشخص ليتزوجني كي أنجو، لابد أن من يفعل أو تفعل ذلك هي من يتم تلقيبها بذلك اللقب الآخر".

عند ذلك الحد كانت رأسه قد اتجهت للجانب بالفعل من أثر لطم دورسيرا له، فلم تعد تتحمل سماع كلمة أخرى من ذلك الحقير القذر، نظرت لعينيه مباشرة، بينما هو يعدل رأسه لينظر لها نظرته السمجة تلك:

"ليس لكونك صرت كلبًا مطيعًا لسيدك أنك ستنسى نفسك وهويتك أيها الشحاذ! تمادى في حديثك مرة أخرى وسيتم قطع رأسك على الفور!"

ابتسم لها ذلك الوقح مردفا:

"لن أدعكم تشتاقون لي يا ملكتي"

ثم انحنى لها وانصرف متجها لداخل القاعة، رأت ساريو يقترب منها ويتحدث بصوت منخفض:

"سمو الأميرة، أخشى أنهم قد وجدوا أخاك! هم في طريقهم الآن للقصر ليخبروا الأمير "بودير" بذلك"

"هل دومين بحوزتهم؟! هل سينتظرون بعض الوقت حتى إعدامه كالمرة السابقة؟! أجبني فوظيفتك هي أن تعلم ذلك!"

تساءلت بصوت منخفض محاولة إخفاء قلقها وتوترها، فربما قد تجد حلًّا آخر لمنع إعدامه، إذا توفر الوقت، لكن ساريو صمت لوهلة ثم أجاب:

"سمو الأميرة، أخوك قد عُثر عليه مقتولا!"

سحقا لذلك الدوار، ذلك الدوار الذي لا ينتهي أبدا، بل يزداد وطأة فحسب، ذلك الدوار والثقل الجاثم على قلبها، كل ما فعلته لم يجدِ، لقد قتُل على أيةً حالة، قتُل كرانل، كوالدها، كما سيحدث لها ولباقي إخوتها. سارت لداخل القاعة وجلست لجوار طفليها ولوسي وعشرات الجمل ترن برأسها، وهي تشاهد «بودير» على وشك أن يتم تتويجه.

'الأخ الأكبر فمن يليه، فمن يليه، لن ينتهي الأمر حتى تمتلئ الأراضي بأنهار من الدماء، لن ينتهي الأمر حتى تتحول النفوس النبيلة لجثث ملقاة على ضفاف تلك الأنهار، لن ينتهي الأمر حتى ترتجف الأرواح المتبقية رعبا من حضرة الموت الجاثم'

'لا تثقي بأي منهم، ثقي بنفسك فحسب، ولا تدعي سبيلًا للتفرقة، إياك!'

هل ساعدت من قد يكون قد قتل أخاها فحسب ليصير الملك؟!

تساءلت وهي ترى جميع الحضور يجلسون في أماكنهم، ويقف «بودير» أمامهم لتتم مباركته وتتويجه، بينما تردد تلك الجملة كالصدى:

"يحيا الملك "بودير"!"

"يحيا الملك "بودير"!"

"يحيا الملك "بودير"!"

***

[13]
وحش

للخلف، هدوء تام، ‹لست مثلها›، اتخاذ وضعية الثبات، ‹لست مثلها›، استنشاق الهواء بعمق، ‹لست مثلها›، ثم الاندفاع بالهجوم بأقصى ما يمكن، ‹لست مثلها›، ‹لست مثلها›، ‹لست مثلها›، أخذت أفكار كيرا تتكرر هيستيريا وهي تهوي بالخناجر بأقصى قوتها في الهواء أمامها، تكرر ذلك لمرات لا تحُصى، قاربت عدد مرات تفكيرها بالفكرة نفسها ‹أنها ليست مثلها›، حتى آلمتها ذراعيها، وضعت الخنجرين أعلى طاولة مجاورة للفراش بجوار تلك القارورة الصغيرة، ثم جلست أعلى الفراش وبدأت حك ساعدها بقوة دون أن تدري متسببة بتجريحه مجددا، لاحت إثر ذلك ذكرى بخيالها أزعجتها للغاية، ذكرى آخر لقاء لها بانستازيا، سارت ذلك اليوم متجهة لغرفة انستازيا بأمر من أحد الحراس غير مدركة لما يجب أن تشعر به بعد كل ما حدث وما رأته بغرفة انستازيا الملعونة تلك، سارت وهي تحك ساعدها الظاهر من فستانها الذي تصل أكمامه لمنتصف عضدها فحسب، أخذت تحكه بقوة حتى بدأت تلك الحكة تؤلمها بحق، لكنها لم تتوقف فلغرابة الأمر قد أشعرها ذلك الألم بلذة ما غريبة شتتتها عن كل أفكارها الأخرى، حتى وصلت لباب غرفة انستازيا، ودقته ثلاث مرات ثم دخلت لتجد انستازيا ممددة أعلى فراشها، بينما نمرها الملقب بالهول الأسود يجلس أسفل فراشها، خرخر النمر

بعيون شبه بيضاء باتجاه كيرا، بينما ربتت عليه انستازيا برفق مردفة:

"لا بأس يا هولي، لا بأس"..

شعرت كيرا ببعض الوجل لرؤية ذلك النمر مجددا، خاصة بعد كل ما حدث، ضحكت انستازيا بسخرية:

"فلتتقدمي يا كيرا، أم أنك خائفة أيتها الشجاعة التي لا تهابين شيئا، حتى النمور لا تهابينها"..

بدت انستازيا غاضبة بجملتها الأخيرة، تقدمت الفتاة بعض الشيء بنظرة حازمة ثم سألت في ضجر:

"لماذا طلبتني؟ ما الذي تريدينه مني؟"

"آووه يا كيرا، لا تنفكين عن جعلي أعجب بك، ظننت أنك مجرد طفلة بائسة عندما رفضتِ الفتك بتلك الخادمة، لكن ما فعلته فاق توقعاتي حقا! لكني أراكِ الآن ناكرة المعروف!"

أردفت تلك المخبولة بنبرة مستاءة. ناكرة للمعروف؟! إن انستازيا تلك مجنونة بلا شك! لا عجب بأن والدها مقتها للغاية!

"عن أي معروف تتحدثين؟! المعروف الوحيد الذي فعلته هو أنك أظهرتِ لي حقيقتك البشعة!"

تنهدت انستازيا بملل وهي تمرر أناملها بخصلات شعرها المموج، ثم تملس على نمرها مجددا:

"ما رأيك بمعروف إخفائي للحقيقة يا كيرا؟! أتظنين أن ما فعلته يمر مرور الكرام حتى بكونك أميرة وابنة أختي دور..سي..را" قامت المخبولة بنطق اسم دورسيرا بنبرة غريبة، ثم أكملت:

"هل تظنين أنه لأني أخبرتك أنه 'لا قواعد' أن بوسعك تصويب ذاك الخنجر ليخترق بطني، ثم رمي محتوي القارورة التي تحتوي على سم يسبب العمى نحو نمري حين يكاد يفتك بك لما فعلته؟!"

"أنتِ.."

كادت كيرا تجيب لولا تصفيق انستازيا مقاطعة لها بنبرة ضاحكة:

"لقد كان هذا مذهلًا يا كيرا! لقد كان رائعًا! لم أتوقع أبدا في أيٍ ةً حياة لي أن أرى شخصًا يفعل شيئا كهذا! لقد تمسكتِ بما قلته، ليس تماما؛ فقد قلتِ أنك 'ستنحرين عنق من يخبرك

أنك هجينة قذرة، وتسببتِ في النهاية بإصابتي فحسب وإعماء نمري، لكن لم يكن أي شخص آخر ليفعل ما فعلته أنت! لذلك كان عليَّ أن أخبرهم أنني شردت واصطدمت بأحد الخناجر المعلقة على الحائط دون عمد، تبدو حجة غريبة قليلا، لكنهم سيصدقونني في النهاية أو سيتظاهرون بذلك خشية من غضبي، لن أكذب، لقد حزنت قليلا لفقدان هولي بصره، كان بوسعي بالطبع إعطائه المصل الخاص بالسم، لكنني قررت عدم فعل ذلك كي يذكرني مظهره دوما بما تستطيعين فعله، أنا حقا فخورة بك!"

فخورة بها؟! صُدمت كيرا لما سمعته، ولم تستطع تمالك نفسها، واقتربت من انستازيا صائحة:

"أنت مجنونة!"

خرخر النمر بصوتٍ مجددا فشعرت الفتاة بالرعب لذلك لكنها تماسكت، ربتت عليه انستازيا مجددا قائلا:

"لا بأس يا عزيزي، لا بأس، اهدأ الآن فانستازيا تتحدث"..

ثم زفرت بملل موجهة حديثها لكيرا:

"أنت مجنونة! أنت مجنونة! أنت مجنونة! ألا تنفكين عن قول ذلك أيتها الهجينة المملة؟ فلتجدي كلامًا جديدًا،

فقد مللت من تلك الجملة كما أنك مازالتِ ناكرة المعروف، فلتشكريني؛ فلولاي لما علمتِ أبدا كينونتك الحقيقية وما قد تفعلينه! أنت مثلي تماما يا كيرا، كلانا وجهين للشخصية نفسها، للأميرة نفسها، لكنك الوجه الذي مازال يكتشف هويته الحقيقية فحسب"

هذا هراء! إنها ليست مثلها! ولن تكون مثلها مطلقا! أجابت كيرا بسخط:

"أنا لست مثلك! أنا لست مختلة أتلذذ بتعذيب الآخرين!" ضحكت انستازيا بشدة كما لو أنها شاهدت أكثر موقف مضحك رأته بحياتها، لكن ذلك لم يعد بغريب على كيرا.

"آووه يا للهول أنك تقولين ما كنت أفكر به تماما وأنا بعمرك، يا للهول أنت مثلي تماما"

"أنا لست مثلك! لن أكون مثلك أبدا!"

"يا كيرا، أنتِ كنت أميرة يحبها جميع الناس، ويتوددون لها ثم اختفى كل ذلك لشيء لم تتسببي به وجعلك بشعة الهيئة وهو أن المرايا أظهرتك هجينة، يخبرونك أنك هجينة قذرة وأنك وحش، هل فعلتِ أيّ شيء يتسبب في أن تلُقبي بالوحش؟! افترست طفلًا ما أو تحولتِ لذئب عند ظهور البدر؟! كلا، لكنك وحش بعيونهم وستظلين هكذا! اتخذيني أنا مثالًا

لك، فقد وُلدت سادس طفلة لوالديّ ووُلدت أنثى، وهناك خرافة ما في مجتمعنا هذا تقول إن أي وليد بتلك الأوصاف، يسبب اللعنة لعائلته، قبيل ولادتي بقليل كان لي أخ ما يدُعي رانل، تم قتله بالسم، وبعد ولادتي بشهور قليلة توفت والدتي، فاعتبرني والدي لعنة ووحشًا، وكل تلك الأوصاف التي لا تنتهي، اتخذ من ضربي وحبسي يوميا هوايته المفضلة، بل إنه وكَّل فارسًا خاصًا لأداء تلك المهمة حين ينشغل هو، وعندما تم إرسالي للمملكة الغربية بعمر الثانية عشر، بعدما خضعت لقانون المرايا، بعث والدي ذلك الفارس برفقتي كي يشرف على أن ألقى جزاء كوني لعنة يوميا، لكني حرصت أن يلقى ذلك الفارس ما استحقه تماما، وأقسمت أن يلقى والدي كذلك ما استحقه، لكن شخصًا ما سبقني وقتله"

دُهشت كيرا لسماع قصة انستازيا، تعلم أن جدها كان حازمً ا وقاسياً، لكن لم تتوقع شيئا كهذا مطلقا، لابد أن انستازيا تلك كاذبة!

أكملت غريبة الأطوار بابتسامة واسعة:

"إن أرادنا العالم وحوشًا فسنكون كذلك! فلن نعيش أعمارنا بأكملها لنثبت شيئا لأشخاص قد أصدروا أحكامهم حيالنا بالفعل! إن لم تستميتي للدفاع عن نفسك فأنت تستحقين ما ستلقينه من مصير!"

بدا حديثها لوهلة غريباً، غريباً عنها، لكن كيرا، لم تدرِ بمَ تفكر، لا، هي ليست وحشًا! إنها ليست وحشًا!

"ما رأيك إذن يا كيرا، هل أبدو كخالك ميستريو في أثناء تحدثه؟!"

ما قصتها مع ميستريو لمَ تحاول تقليده دوما بذلك الشكل؟!

"يا للهول كيرا!"

أشارت انستازيا بإصبعها نحو كيرا وهي تضحك بسخرية، نظرت كيرا حيث تشير انستازيا لتجدها تشير لساعدها الذي بدا ممتلئاً بالجروح، هل تلك هي الجروح التي آلمتها من قبل في أثناء حكِّها ساعدها؟! لكنها لم تظن أنها بذلك السوء. وقفت انستازيا وبدا أنها على ما يرام لكن كيف؟! فقد حسبت كيرا أن الإصابة مازالت تؤلمها، لاحظت المخبولة حيرة الفتاة فتحدثت ضاحكة:

"أكنتِ تحسبين أني مستلقية بسبب الإصابة؟ يا لك من فتاة لطيفة!

لقد كنت أريد الاستلقاء فحسب لذا فعلت ذلك، لكن الهام الآن هو..» استدارت انستازيا ثم أزاحت خصلات شعرها الطويل التي كانت تخُفي جزءًا من ظهرها لا يخفيه ردائها،

لترى كيرا جروحًا أعلاه مشابهة للجروح التي تسببت بها لنفسها، ما هذا؟! أعادت المخبولة شعرها كما كان، ثم استدارت مجددا ناظرة لكيرا وهي تردف:

"أحب فعل ذلك أيضا، ألم أخبرك يا كيرا أنكِ مثلي تماما!"

انتهت الذكرى عند ذلك الحد وعادت كيرا للواقع وهي تنظر لساعدها الذي ازداد سوءًا بسبب تجريحها اللاإرادي له منذ ذلك اليوم، حقا لا تدري لمَ تفعل ذلك، لا تدري سوى أنه يشعرها بنوع من الراحة، نظرت كيرا للقارورة الموضوعة أعلى الطاولة المجاورة للفراش، وتذكرت ما تسبب السائل الموجود بداخلها بفعله لذاك النمر حين كاد يهجم عليها بعد طعنها لانستازيا، تذكرت سقوط كل منهما -انستازيا ونمرها- ثم هروب كيرا من المكان، ومحاولتها جذب انتباه أحد الحراس لتلك الغرفة دون أن يعرف من تكون، لفتت انتباه ذلك الحارس حتى وصل لبداية الممر ثم بعد ذلك كان صوت النمر المزمجر، وصوت بكاء الخادمة كفيلا للفت انتباه الحارس، حتى يصل للغرفة ويجد أميرته جالسة أرضا بخنجر يخترق بطنها، وتشاهد باستمتاع نمرها الذي أصابه العمى يكاد يفتك بالخادمة الصارخة، لم تدرِ كيرا إلامَ كان سينتهي بها الحال إن أخبرتهم انستازيا أنها هي من فعلت ذاك، نظرت كيرا للخناجر التي وضعتها منذ دقائق بجوار القارورة، وفكرت هل لو استعملتهم في جرح ساعدها أسيشعرها ذلك براحة أكبر؟! همت بإمساكهم لتجرب ذلك، لولا انصعاقها بصوت الباب يُفتح سريعا، من هذا؟ كيف يدخل دون استئذان بهذا الشكل؟ ومن يأتي في هذه

الساعة؟ إن الوقت متأخر للغاية، شعرت بالتوتر خاصة بعد حادثة انستازيا، لكن أقد يؤذيها أحد بالفعل وهي الأميرة؟! وقف أمام الباب شخص ملتف بالأسود من رأسه حتى أخمص قدميه ويخفى رأسه بغطاء رأس، لم تستطع تحديد هويته سوى بعد اقترابه، إنه، أدريان؟! ما الذي يفعله هذا الخائن هنا؟! ولمَ يمسك برداء مشابه لما يرتديه بالفعل؟! همت بالصياح لولا وضع أدريان كفه على فمها سريعا ثم أردف بجدية:

"لا تصدري صوت وإلا ستندمين!"

حاولت كيرا الزمجرة وإبعاد كفه بالقوة، لكنه لم يزبحه

"إنهم يخططون لمحاكمتك غدا!"

شعرت ببعض الدهشة، محاكمتها؟! عمَّ يتحدث؟!

"عليك الرحيل، فتلك المحاكمة لن تنتهي بصورة جيدة بالنسبة لك!" عند ذلك الحد كانت قد دفعته مبعدة كفه عن فمها متسائلة بحدة:

"عمَّ تتحدث؟!"

"عليكِ الرحيل فورا!"

أردف بغضب بينما هو يجذب معصمها بقوة موجها إياها للخارج، جذبت كيرا معصمها من قبضته بقوة:

"اتركني! أنا لا أصدق أيةً كلمة منك، والآن فلترحل أنت من غرفتي!"

"أستعاندين فحسب؟! أخبرك أنه سيتم محاكمتك غدا، وسينتهي الأمر بصورة سيئة لك وأنت لا تكترثين لأي من ذلك!" تساءل بغضب واستنكار:

"أنا لم أرتكب شيئا لتتم محاكمتي! ثم إنني الأميرة كيرا ابنة الأميرة دورسيرا ولا يمكن لأحد مس شعرة مني!" أجابت بثقة وهي تعقد ذراعيها.

"سيتم محاكمتك بخصوص خروجك من القصر دون إذن حين اخترقت تلك الجموع وأظهرت حقيقتك، وبخصوص اختراقك لغرفة والدتي وقذف حجر باتجاه حارس، وبخصوص الحالة التي وُجدت عمتي انستازيا بها فقد أخبرهم الحارس الذي وجدها بمواصفاتك، وعلموا أنك أنت من وجهته لها"..

اللعنة، كيف علم أدريان بذلك الأمر؟! هذا يعني أن انستازيا ربما قد أخبرتهم أو تعرف الحارس على هوية كيرا كما أخبرها أرديان لتوه، لكن والدتها دورسيرا لن تسمح بأن يحدث لها أي خطب، إنها واثقة من ذلك!

"ما زلت أميرة ولن يستطيعوا فعل أي شيء لي!"

"والدتك قامت بالانقلاب مع "بودير" وجيش العاصمة ضد عمي الملك دومين وقاموا بقتله!" قال أدريان بلهجة صارمة.

ماذا؟! هذا لا يمكن أن يكون حقيقيّاً! هذا هراء! والدتها لم تكن لتفعل ذلك أبدا!

"ما الذي تقوله؟! هذا كذب! إنك كاذب!"

"هذا ما سمعته!"

"من والدتك سيلين، أليس كذلك؟! إنها كاذبة!"

أخذت كيرا تكرر بنبرة غير مصدقة، فجذب أدريان مرفقها بعزم وهو يردف بحنق:

"استمعي يا كيرا، لم آتي هنا لأسمعك تتساخفين حيال والدتي، فلتأتِ برفقتي فحسب إن لم تريدي أن يصيبك مكروه غدا." ثم ترك مرفق كيرا وأكمل بالنبرة نفسها:

"أو لتبقي هنا إن أردتِ، ويصيبكِ ما يصيبك!"

فكرت قليلا ثم أمسكت بالخناجر ووضعت إياهم في حوامل

الخناجر لخاصة بها، ثم أمسكت بالقارورة وأكدت لنفسها أنه إن كان كاذب حقا فستجرحه أو ستعميه حسبما يقرر له القدر، قام أدريان بإعطائها ذلك الرداء المشابه لردائه، فارتدته سريعا أعلى فستانها، ثم سارت برفقة أدريان لخارج الغرفة وهي تخفي عينها الصفراء بخصلات شعرها، استغرقهما بعض الوقت حتى وصلا لمهرب أدريان الموجود خلف المؤن بالمطبخ، نظرا لبعد غرفة كيرا الجديدة عنه ليس كغرفتها التي كانت بالبرج، لكن في أثناء كل ذلك أخذت تتساءل عن سبب مساعدة أدريان لها، إن كان ما يقوله صحيحا، فلماذا يساعدها وهو يراها هجينة قذرة؟!

أخيرا، كانا قد وصلا لخارج القصر حيث يمكنهما رؤية كلًّا من البحر والمدينة، تحدث أدريان:

"الآن سأوصلك حيث يمكنك استئجار عربة لتخرجك من عاصمة المملكة الغربية، عليك بالتخفي جيدا وعدم إظهار هويتك لأي شخص، عليك الانخراط بالناس كي لا يشُك بك، حاولي الوصول للنهر وأخذ قارب من هناك ليوصلك للعاصمة الأم"

نظرت له نظرة حيادية، وهي لم تعد تدرك ما هي فكرتها حياله حقا، أهي تصدقه وتشعر بالألفة تجاهه أم أنها تكرهه كما أخبرته سابقا؟!

"هيا الآن!"

بدا ملحا، لكنها لم تتحرك بل سألته بحدة:

"لماذا تساعدني وأنت تعلم أني هجينة؟!" لم يجب فورا وظهر عليه التوتر ثم السخط وأردف:

"إن لم نرحل الآن فـ"..

"أنتما! أنتما هناك!"

سمع كليهما ذلك الصوت يصيح ليجدا أربعة من الحراس يقتربون منهما.

"اللعنة"

همس أدريان بصوت حنق.

"من أنتما؟! وما الذي تفعلانه في هذا المكان؟!"

كان الحراس قد اقتربوا تماما منهما، شعرت كيرا بأدريان يعيدها للخلف بذراعه كي لا تظهر هيئتها، رفع أدريان غطاء رأسه ليظُهر هويته.

"سمو الأمير أدريان؟!"

تساءل أحد الحراس الذي تعرف على هويته فورا، ليجيب أدريان على الفور: «أجل، أهناك خطب ما؟!»

"ما الذي تفعله سموك خارج القصر بهذه الساعة؟!"

تساءل الحارس، حاولت كيرا عدم النظر بوجوههم والنظر بعيدا كي يظهر جانب وجهها المخفي بخصلات شعرها فحسب، حتى لا يتعرفوا على هويتها، لكنها شعرت أن حارسًا ما يتمعن النظر بوجهها.

"وما شأنك بالذي أفعله خارج القصر؟"

"أعتذر سموك، لكن لدينا أوامر مشددة من والدتك الدوقة سيلين بعدم خروجك من القصر لدواعٍ أمنية"

أكمل أدريان والحارس حديثهما، بينما أحكمت كيرا يدها على مقبض أحد الخناجر وأخرجت بيدها الأخرى القارورة من جيبها وفتحتها بإبهامها بهدوء دون أن يلمحها أحد، فقد كان الرداء الذي أعطاها أدريان إياه يغطي كلتا ذراعيها.

"من فضلك أيها الأمير فلتعد لداخل القصر إنه لمصلحتك"
صمت أدريان قليلا ثم تحدث:

"حسنا، لكن عليَّ إخبار تلك الخادمة أولا من أي حداد أريد ذلك الدرع"

هم أدريان بالاستدارة لمخاطبة كيرا لولا مقاطعة ذلك الحارس الذي كان يتمعن النظر بوجهها منذ قليل:

"أيتها الفتاة، فلتظهري وجهك بأكمله!"

لم تتحرك كيرا، ظلت ساكنة غير مدركة أيجدر بها الهجوم الآن أم الانتظار؟!

"ألم تسمعيني؟!" صاح الحارس.

"إنها صماء وتخفي وجهها لأنه مشوه!" أجاب أدريان سريعا مبدياً الغضب.

"حسبت أنك يا سمو الأمير كنت ستخبرها عن الحداد الذي تريد منه الدرع، ثم لماذا ترسل فتاة خادمة في منتصف الليل لتجلب لك درعًا؟ لا أظن أن الحدادين يفتحون في ساعة كتلك"

"هل نسيت هويتك أيها الحارس؟! من تحسب نفسك لتسألني عن ماهية أفعالي؟!"

صاح أدريان بغضب، صمت الحارس لوهلة بينما أردف حارس آخر:

"نحن نعتذر حقا يا سمو الأمير، فهو"..

"إن كنت لن تظُهري وجهك فسأظهره أنا!"

هتف الحارس الذي كان يتجادل مع أدريان منذ ثوانٍ وهو يندفع للأمام جهة كيرا محاولا إظهار وجهها، لكن قبل أن يفعل ذلك كان قد تأوه بصوت عالٍ إثر جرح كيرا ليده بخنجرها سريعا، أخرج الحراس سيوفهم على الفور، بينما جذب أحدهم أدريان مبعدا إياه عن كيرا.

"لقد عرفت أنها هي! إنها تلك الهجينة! تلك الوحش التي طعنت خالتها الأميرة انستازيا ثم قادتني حيث تركتها غارقة في دمائها"

اقترب أحد الحراس من كيرا بسرعة محاولا جذبها، فقامت بقذف باقي السائل بالقارورة ليخترق عينيه، أمسك الحارس عينيه صائحا ولاعنا.

"توقفوا أنا آمركم!"

صاح أدريان الذي أمسكه أحد الحراس بقوة ليبعده عن

كل هذا، لكن أحدا لم يلبِّ الأمر، بل اقترب الحارس الأخير من كيرا بسيفه محاولا إمساكها، سددت له كيرا الضربات بخنجرها لكنه صدها سريعا، ثم سحب ساعدها بشدة مفرطة ليُسقط الخنجر الذي كان بيدها وسدد لها ضربة برأسه نحو جبهتها أصابتها بألم شديد وفقدان للوعي.

***

"ستتم اليوم محاكمة الهجينة فيما اقترفته من جرائم! ليعلم جميع الناس أن لا أحد يسمو على القانون بما في ذلك الأسرة الملكية!"

ترددت تلك الجملة لمسمعها من قبل رجل مسنا برأس أصلع وبواقي شعر أبيض ولحية نظيفة يقف بجوار سيلين بتلك القاعة التي تم استياقها لتلك لها جبرا بعد استيقاظها من غفوتها، كان منتصف تلك القاعة منخفضًا للغاية مقارنة بجانبيها ومقدمتها، حيث كانت المقدمة هي الأعلى، والجانبان يزدادان علوا، بينما المنتصف يبدو أنه منخفضٌ للغاية مقارنة بهم، وجدت سيلين بأعلى كرسي بالمقدمة يجاورها رجلان وامرأة لا تعلم كيرا هويتهم، يجلسون على كراسٍ أكثر انخفاضا من سيلين لكنهم مازالوا بالمقدمة، في جانبي القاعة وقف عديدٌ من الناس بالجانب الأيسر، بدوا أشبه بالنبلاء بملابسهم الراقية ووقفتهم المنتظمة تلك، بينما بالجانب الأيمن بدوا أكثر بساطة، ربما هم من عامة الشعب، علت الهمهمات في أثناء

وقوف كيرا بذاك المكان، لكن سيلين صاحت بالصمت، سار حارسان وكيرا برفقتهما حتى أوقفوها بمنتصف القاعة وظلا بجوارها ممسكان بها، هل ستتم محاكمتها حقا كما أخبرها أدريان؟!

تساءلت كيرا غير مصدقة وهي تصيح:

"أنا لم أقترف شيئا!"

فصاح ذلك الرجل بها:

"لا أريد سماع حرفٍ!"

ثم أشار لأحد الحراس برأسه فتوجه ذلك الحارس نحو باب آخر غير الذي دخلت منه كيرا، ثم دخله وخرج سريعا ووقف بجوار الباب وهو برفقته ذلك الحارس الذي جرحت كيرا يده في أثناء محاولة أدريان لتهريبها، سار الحارس الذي جرحت كيرا يده وهو ينظر لها بسخط، ثم توقف في النهاية أمام مقدمة القاعة ليواجه سيلين ومن يجلسون بجوارها، بينما كانت كيرا خلفه بمسافة لا بأس بها ومازال الحارسان ممسكين بها، أردف الرجل المسن آمرا:

"تحدث بصدق!"

أومأ الحارس متحدثا:

"أمرك، أقسم إن كل ما أقوله صدق، لقد أخبرتني تلك الهجينة أن شخصًا ما واقع بورطة، لم أعلم هويتها حينها، فقد كانت تخفي نصف وجهها، تبعتها حيث دلتني ثم سمعت صياحًا وزئيرًا، وحين أوشكت على الاستفسار منها اكتشفت أنها هربت في أثناء تشتتي بتلك الأصوات، سرت لمصدر تلك الأصوات بممرات لم أعلم أنها موجودة حتى بالقصر، ثم وجدت غرفة بشعة لا أستطيع وصفها حتى، وكانت الأميرة انستازيا موجودة بها بينما يخترق خنجرًا بطنها، كان نمرها موجودًا كذلك، لكنه بدا أنه لم يعد يبصر، وابيضت عيناه وكان يسير ليقترب من خادمة تصرخ وهي مكبلة بطريقة بشعة لمقعد بتلك الغرفة، بدت هيئتها شنيعة حقا، حين استفسرت من الأميرة انستازيا عمن فعل ذلك، أخبرتني أنها سمعت صوتاً ما صارخ، وذهبت لمصدره برفقة نمرها، لتجد تلك الخادمة بذلك الوضع، لكنها اصطدمت دون عمد بجدار ما يحوي تلك السكين، ولم تدر ما الذي أصاب نمرها، والبارحة مساء لمحت أنا وثلاثة حراس آخرين الأمير أدريان وبرفقته تلك الهجينة، فقد كان يحاول تهريبها، وحينما أوشكت على إظهار هويتها قامت بجرح يدي بخنجر، وإعماء أحد الحراس الآخرين بسمٍّ ما"

"هل ترغب بإضافة أقوال أخرى؟!" تساءل المسن ليجيبه الحارس:

"أجل سيدي، الحارس الذي تم إصابته بالعمى أراد الحضور والشهادة بما فعلته وتسببت له به تلك الهجينة، لكنه لم يستطع بسبب محاولة الحكيم لعلاجه سريعا مما أصابه!"

أومأ الرجل المسن ثم أمره بالانصراف، وأشار للحارس الواقف بجوار الباب مرة أخرى، ليكرر الحارس ما قام به، لكن في تلك المرة خرج برفقته الحارس الذي قذفت كيرا الحجر عليه في أثناء حراسته لغرفة سيلين، وقد ظهرت ندبة بوجهه حيث أصابه ذلك الحجر، وقف ذلك الحارس في الموضع نفسه وأمره الرجل المسن بالتحدث ليردف:

"أجل سيدي، سأخبركم بكل ما حدث، لقد كنت أقف لحراسة غرفة الدوقة سيلين، وفي أثناء مناوبتي أصاب جبهتي ألم شديد، لأجد أن شخصًا ما قد قذف بحجر نحوي، توجهت لغرفة الأمير أدريان ودققت الباب فأمرني بالانصراف وكان صوته غريبا بعض الشيء، لكني لبيت الأمر، لكن الغريب بالأمر أني رأيت بعدها الأمير أدريان يدخل غرفته، كنت على وشك تحري ذلك، لكن بعد تلبية أوامر الدوقة سيلين بتفتيش الشرفات، فجأة وجدت أنا وزملائي الحراس تلك الهجينة تخرج من غرفة الأمير أدريان، أخبرنا أنه من دعاها، لكني لم أرها تدخل برفقته في البداية، ولم أرَها تدخل مطلقا، ثم أبلغتنا الدوقة سيلين بعدها أن خطاباتها أعلى مكتبها ليست منظمة على النحو الذي تركته»

نظر الرجل المسن نحو سيلين فأومأت بإيجاب. سحقا لتلك العاهرة أتحسب أنها ستحاكمها بخصوص ذاك، ماذا بخصوص بعث سيلين جواسيس للتجسس على والدتها؟! يفُترض أن تحُاكم تلك الشمطاء على هذا!

"لكن"..

كادت كيرا أن تفصح عما بداخلها، لكن المسن قاطعها صائحا:

"اخرسي حتى يحين موعد تحدثك!"

أرادت كيرا حَكَّ ساعدها مجددا وبشدة، لكن مع الأسف، فقد أمسك هذان الحارسان بها، فلم تستطع فعل ذلك، رحل الحارس الذي قذفت كيرا الحجر نحوه وكرر المسن ما فعله في المرتين السابقتين لكن في تلك المرة دخلت امرأة تشعر كيرا أنها رأتها من قبل، نظرت نحوها تلك المرأة، وبدا أنها بحالة صحية سيئة يحيط بيدها عديد من الأقمشة لعلاج جروح ما، بدت أنها متوترة، لكنها سارت في النهاية لتقف بالموضع نفسه، أومأ المسن لها بالتحدث:

"سيدي، أنا، لقد تعرضت لعذاب مهول، تم تكبيلي لمقعد بما يشبه الأسلاك والمسامير التي غُرست بلحمي، ورجوت وتوسلت الرحمة لكن.." أخذت تلك المرأة تبكي وتنوح، عند

ذلك الحد كانت كيرا قد تذكرتها، فتلك هي الخادمة التي كانت انستازيا تعذبها! لكن بأي ةً جريمة ستتهم كيرا؟! فهي لم تؤذها ولم تطعنها كما أمرتها خالتها انستازيا.

"كفي عن البكاء وتحدثي من فعل بك هذا؟"

صاح المسن لتتوقف تلك الخادمة عن البكاء، لكنها لم تجب وظلت تنظر حولها حتى تخشبت نظرتها لوهلة على الجانب الذي يقف به النبلاء، نظرت كيرا لذلك الجانب مجددا، وجوه عديدة تقف بها مسلطة نظرها على كيرا، قد تكون رأتهم بالقصر من قبل، لا تذكر حقا، لكن هناك شخص بينهم تذكرته وهو الفارس نيكول، وعلى نحو غريب فهو لميكن يسلط نظره نحوها، بل ربما نحو الخادمة.

"من فعل ذلك؟! انطقي!"

صاح المسن بصوت جهوري أفزع أغلب الواقفين، فأجابت الخادمة بتردد:

"إنها، إنها، إنها تلك الهجينة!" أيتها الحقيرة! فكرت كيرا بصدمة.

"أيتها الكاذبة القذرة! لقد رفضت إيذاءك!"

صاحت الفتاة غير مصدقة، وهي تهم على مهاجمة تلك الخادمة، لكن الحراس جذبوها بقوة لتظل مكانها.

"تحركي من مكانك مجددا وسآمرهم بجلدك مئة جلدة!" صاح المسن ثم أمر الحارس بإخراج الخادمة القذرة التي ظهر الخوف جليا على وجهها، بدا أن المسن على وشك اتخاذ قرار، لكن سيلين تحدثت:

"اسمح لي أيها القاضي، لكن هناك شخص يجب محاكمته قبل محاكمتها".

نظروا جميعًا نحو سيلين بإنصات، أكملت حديثها:

"ليتم تأكيد ما قلته في البداية: أن لا أحد يسمو على القانون بما في ذلك الأسرة الملكية! أيها الحارس"

وجهت تلك العاهرة حديثها لأحد الحراس. إلامَ تخطط؟! تساءلت كيرا.

"أجلب الأمير أدريان!"

علت الهمهمات مجددا بينما انصاع الحارس لأمر سيلين. لم تدر كيرا لماذا أصيبت بالقلق لما قد يحدث له، ففي النهاية سيلين والدته ولن تؤذيه، هذا ما بدا، لم تمضِ ثوانٍ حتى دخل

الحارس وبرفقته أدريان، تبادل هو وكيرا نظرة، ربما حتى أشاح بعينه عنها، في تلك المرة لم يتحدث الرجل المسن، بل كانت سيلين بنبرة معدومة الإحساس تماما:

"ستتم محاكمتك بخصوص مساعدة الهجينة بجرائمها، عليك التزام الصدق تماما!" لم يجب أدريان.

"هل علمت أن تلك الهجينة قد تسللت لغرفتي ومع ذلك تكتمت على أفعالها؟!»

"أجل!" أجاب أدريان بحزم.

لماذا يفعل ذلك؟! لم تدرِ أتسعد لصدقه أم تقلق لما قد يسببه ذلك له.

"هل حاولت تهريبها البارحة كي لا تتم محاكمتها اليوم؟!"

"أجل!"

علت أصوات الموجودين بعضهم بالصدمة، وآخرين بالغضب، حتى أن كيرا سمعت بعضهم يتهم أدريان أنه هجين مثلها، لذلك يساعدها. مجددا لم تدرك كيرا ما الذي تشعر به نحوه الآن. صاح المسن بالموجودين ليصمتوا، بينما علت وجه سيلين نظرة جامدة، وعمَّ بعض الصمت حتى أومأت قائلة:

"حسنا إذن، لقد صدر الحكم! الأمير أدريان ابن الأمير نايلس، لن ترث ملك والدك أو أيّاً من ثرواته، لن تلُقب حتى بكنيته، ولن يحق لك الالتحاق بالجيش أو بأي منظومة عسكرية!"

صدرت بعض الشهقات، بينما نظروا جميعًا لسيلين بذهول، حتى إن الرجل الآخر الجالس بجوار سيلين حاول إخبارها بشيء ما، لكنها صاحت عاليا:

"صمتا! هذا هو حكمي الأخير!"

يا للهول، أدريان، كيف أمكنها فعل ذلك به؟! كيف وهي والدته؟! إنها بشعة! بشعة! أدريان لم يرد أي شيء أكثر من التحاقه بالجيش وقيادته يوما ما، والآن هي تمحي كل ذلك بالإضافة لشخصه، لهويته، وكل ذلك لماذا؟! لأنه ساعد كيرا؟! حاولت كيرا التحدث:

"كلا! إنه لم يفعل ذلك! لا يمكنك إصدار ذلك الحكم فأنا.. أنا من أجبرته على فعل ذلك!"

"ونحن حمقى لنصدق أمرًا كهذا؟!" تساءلت سيلين باستنكار.

"لقد صدقتم كل ما قيل عني من قبل! صدقتم أني عذبت

خادمة، وأني وحش ولدي حوافر وقرون، فلمَ قد لا تصدقون أمرًا كهذا؟!"

لم تولِ سيلين كيرا اهتماما، وأشارت للحارس ليأخذ أدريان لخارج القاعة، أبدى أدريان وجهًا معدوم المشاعر كوجه والدته تماما، لكن كيرا شعرت بالأسى حياله، فقد علمت أنه لابد أنه مدمر تماما بسبب حكم سيلين ذاك.

"والآن أيتها الهجينة، بمَ تجيبين على الاتهامات الموجهة ضدك؟!" تساءل المسن بحزم. شعرت الفتاة بالتقزز منهم جميعا، شعرت أنها تود تهشيم رءوسهم تماما، أجابت بغلٍّ:

"بمَ أجيب؟! بمَ تجيبون أنتم عمن تبعث جواسيس للتجسس على أميرتها وأخت زوجها، ويبلغونها بتحركاتها، أم أنك لم تفعلي ذلك يا سيلين لوالدتي؟!"

نظروا جميعًا باتجاه سيلين التي بدا الغضب عليها، ثم أجابت:

"بلى قد فعلت ذلك!"

"أيتها الدوقة!"

"لكن كيف؟!"

بدأ جانب النبلاء بالأسئلة المستنكرة، بينما اتسعت أعين الباقين، أكملت سيلين صائحة:

"بلى فعلت ذلك! وكنت محققة تماما بذلك، فلو لم أفعل ذلك لما علمت مطلقا أن والدتك هي من قتلت الملك جدك لتستحوذ على المُلك لنفسها!" شعرت كيرا بصدرها يشتعل:

"هذا كذب! والدتي لم تكن لتفعل ذلك مطلقا!"

"لقد انقلبت لتوها على أخيها الملك دومين لتصير الملكة برفقة ابن عمها "بودير" ثم قاما بقتل الملك دومين!"

"يا للهول"..

"هذا غير ممكن"

علت تلك الأصوات للغاية بالقاعة، صاحت كيرا ولم تدر أسيظهر صوتها بين كل تلك الأصوات أم، لكنها لم تهتم:

"كذب! كذب!"

"صمتا!"

صاح المسن بقوة، أكملت سيلين مخاطبة كل من بالقاعة:

"إنها الحقيقة! لقد وصلتنا الأخبار للتو! فقد تم تنصيب الأمير "بودير" ملكًا بالعاصمة الأم وتزوج الأميرة دورسيرا لتصير الملكة بدورها، فهي قتلت كلًا من والدها وأخاها لتحصل على المُ لك!"

"ليس لديك دليل على ذلك!"

"هذا يكفي! فلتجيبي على التهم الموجهة لك فحسب أيتها الهجينة!" شعرت كيرا بكره غير عادي تجاه سيلين وتجاه كل هؤلاء الموجودين، أرادت قتلهم جميعا فحسب، كلا، بل أرادت رؤيتهم يعانون، أرادت رؤية الخوف والألم بعيونهم"

"أجل!"

أجابت كيرا بحدة ليتساءل المسن:

"أجل ماذا؟!"

"أجل لقد فعلت كل ذلك! لقد قذفت ذلك الحجر على الحارس، لم أرد إصابته فحسب، بل أردت قتله، وأردت انتظار سيلين بغرفتها ثم قتلها هي الأخرى، أجل لقد جرحت حارس وأعميت آخر وفي الحقيقة أردت قتلهم جميعا ببطء، أجل لقد طعنت انستازيا وأعميت نمرها بعدما عذبت تلك الخادمة

القذرة، لقد تلذذت حقا وأنا أرى تلك الخادمة تعاني، تلذذت كما أتلذذ الآن، وأنا أتخيل أني أعذبكم جميعا، وأسلخ جلودكم وأخلع أظفاركم وأراكم تتأوهون وتصرخون، ثم أرميكم للكلاب البرية والأسود وأشاهدكم بينما تنُهش لحومكم، أتدرون لماذا؟! لأنني هجينة! لأنني وحش؛ والوحوش لا ترحم!"

لم تدر كيرا لمَ قالت ذلك، لم تفكر حتى، الشيء الذي علمته أن تلك المرة قد سعدت وهي ترى تلك النظرة الفزعة والمصدومة بعيونهم، قد أشعرها ذلك برضى ما، وهي تراهم وهم خائفون منها. نظر كل من سيلين والمسن لبعضهما بعضا بذهول، وأخذا يتحاوران بصوت لم تسمعه كيرا، ثم صاح المسن في النهاية:

"لقد صدر الحكم، أيها الحراس فلتحضروا المقصلة، فتلك الهجينة سيتم إعدامها اليوم!"

هذا غير ممكن! هذا لا يمكن أن يكون حقيقيّاً! شعرت كيرا بوخز ما في صدرها، فكيف يمكن صدور حكم كذلك؟! فهي أميرة! إنهم بالفعل يفعلون ما أمُروا به، إن المقصلة تنُصب أمامها، لابد، لابد أن ذاك كابوس، أبشع كابوس رأته، شرع الحارسان بجذبها نحو المقصلة، لم تدرك ما الذي أصابها، شعرت بالهلع وأخذت تتملص، كلا إنها لا تريد الموت! مقاومتها لم تؤتِ ثمارها، فقد صارت أقرب ما يكون لتلك المقصلة، وأقرب ما يكون للجنون، كلا! كلا! لم تمر سوى

ثوانٍ حتى أدركت أن أحد الحارسين قد سقط صريعًا في دمائه، بينما تخلل خنجرًا ما رأسه، صاح الموجودون بينما دخلت انستازيا القاعة محاطة بعدد لا بأس به من الجنود المسلحين ويجاورها نمرها الأعمى.

"هل أفسدت متعتكم؟ يا للأسف"

تحدثت انستازيا وهي تحرك خصلة من شعرها بأنامل أصابعها، وتمسك بيدها الأخرى خنجرًا، صاحت سيلين بها:

"ما الذي فعلتِه لتوك؟!"

لم يتسنَّ لانستازيا الإجابة، فقد صاح أحد النبلاء:

"إنك لأميرة مجنونة!"

نظرت غريبة الأطوار نحوه مقهقهة ثم سألته:

"ما اسمكَ؟! انتظر لحظة، أنا حقا لا أكترث"

ثم زفرت بملل، فقام الفارس نيكول بشل حركة ذلك الرجل، بينما اقتربت منه انستازيا برشاقة وفي لمح البصر قطعت للرجل ثلاثة من أصابع يده ولسانه، تعالى صراخ بعضهم، بينما أوشك آخرين على البطش بانستازيا لكن جنودها أوقفوهم كما

أن زئير النمر جمد الدماء في عروق الموجودين.

"لكي تتذكر أن الأميرة المجنونة هي من فعلت بك هذا".

خاطبت تلك المختلة الرجل المرتجف الذي وضع يده السليمة على فمه في محاولة بائسة لتقليل الدماء المتناثر، ثم هرع لخارج القاعة فور ترك الفارس نيكول له.

"والآن هل تريدين أن تسألي شيئا آخر؟! أم أنك تخشين أن يتم إحراجك أمام ضيوفك مجددا؟!"

سألت انستازيا سيلين التي بدت مصدومة للغاية، أكملت المخبولة:

"ما فعلته أنت وحفنة البلهاء هؤلاء في هذه القاعة لهو أمر مشين حقا، تستخدمون لواء القانون لتقتلوا تلك الفتاة المسكينة"..

صمتت لوهلة، ثم انفجرت ضاحكة حينما نظرت للمستمعين بما فيهم كيرا:

"هل كنتم تحسبون أني جدية؟! يا لكم من لطفاء! أنا لا أهتم لأمر الهجينة، لكن ما حدث هنا هو أنك يا سيلين تتصرفين كما لو أنك المسئولة هنا، تأمرين وتنهين، بل وتصدرين

الأحكام وأنت لست سوى عاهرة تجلبين زبائنك هنا كي يشاهدوا هذا العرض السخيف، ثم تخططين لإسعادهم بعد ذلك"..

"فلتلزمي حدودك!" صاحت سيلين بغضب.

"لا تقلقي، لن أخبر أخي بهوايتك البديعة تلك، في الواقع لابد أنه يعرف ويبكي في الخفاء، لكن أعدك بشيء واحد: أي سلام ستحاولين صنعه أنتِ وأخي في هذه المملكة سأجعله خراباً فوق رأسيكما والآن.." سارت انستازيا نحو كيرا ثم جذبتها من شعرها نحو اثنين من جنودها آمرة: "خذوا تلك الهجينة القذرة للمعقل الغربي، فلا يعجبني وجودها هنا، تتسبب بعروض سخيفة فحسب"..

قام الجنديان بجذب كيرا وإخراجها من القاعة، وسارا بها في ردهات طويلة شعرت بأن جميعها مظلمة، حتى فتُحت بوابة القصر الكبيرة تلك، مرت بعديدٍ من الوجوه، جنود، خدم، غيرهم، ترى بعيونهم جميعا النظرات نفسها، الازدراء، الخوف، الغضب، التقزز، تسمع أصواتهم تهمس بسببها ولعنها، لكنها لا تهتم، سحقا لهم جميعا! تسير حتى لا تدري لكم من الوقت سارت، وتجد في النهاية عربة خشبية يجرها حصان تقترب منها، مغلقة تماما تلك العربة سوى من شباك صغير به قضبان، تنظر حولها فتجد مجموعة لا بأس بها من الحراس الممتطين أفراسهم قد حاوطوها، ويفتح أحد الجنديين

المرافقين لها باب تلك العربة لتدخلها، ثم يغُلق الباب خلفها لتنعزل عن العالم تماما، سوى من ذلك الشباك الصغير، لكنها لم تحاول النظر منه حتى حينما تتزين السماء بالأضواء ليلا، فقد صارت سماء بلا نجوم تماما كعدم وجود فين، والدتها، ثنسيا، وحتى أدريان. تمددت فحسب على أرضية تلك العربة وهي تنظر لتلك العلوية الخشبية الكئيبة، ولكنها تبدو كرفيق أفضل من البشر، لم تدرك كم مرت من الأيام وهي ممددة بذلك الشكل بتلك العربة السائرة، بالكاد يخرجونها ربما فقط لقضاء حاجتها، وأحيانا يفتحون الباب لإعطائها بعض الطعام النتن، كم من المرات تخيلت أن ذلك الباب يفُتح لتجد أمامها والدتها وفين، وتهرع إليهم لتحتضنهم ثم يصطحبونها لتعود برفقتهم، لكن ذلك لم يحدث أبدا، فقط ظلت محبوسة داخل تلك العربة التي يحيط بها عدد من الجنود ليحرسوها حتى تصل لذلك المعقل. بدا كأن دهورًا قد مرت تلك الليلة وهي تحاول تكسير قطعة خشب ضئيلة للحجم للغاية غير متماسكة بداخل العربة، كان حجمها وعرضها كنصف الإصبع، أدميت كيرا أناملها محاولة اقتلاعها لتنجح في النهاية بعد عدة محاولات، لكن بعض أجزاء الخشب صغيرة الحجم للغاية كانت قد اخترقت أصابعها مسببة ألمًا بشعًا، لكن هذا غير هام، أرادت جرح ساعدها بشدة، وبدا أن حكه لم يعد يرضيها بالقدر الكافي، لذا استخدمت تلك القطعة الخشبية وأخذت تحك بها ساعدها بعزم ما بها بنمط منظم، كان الألم لا يطُاق، لكن كلما ازداد ذلك ازدادت راحة ما بداخلها، لم تدرك نتائج ما فعلته حقا حتى رفعت ساعدها بالقرب من الشباك الصغير

في أثناء تمددها ليظُهر ضوء القمر ما كُتب أعلاه بفعل كل تلك الحكّات السابقة، كلمة ‹وحش› التي حفرتها بجلدها المهترئ بأجزاء الخشب الصغيرة تلك التي تشابكت بعضها به، يسيل منه دماؤها.

***

[14]

حتى اللقاء

حاول أن يجمع أنفاسه بقوة، لكن الأمر لم يكن بتلك السهولة، كيف وصل إلى هنا؟!

"تشبث، سأخرجك من هنا!"

أردف ذلك الممسك به، لم يستطع فين تمييزه جيدا، أو ربما انصب المتبقي من تفكيره حيال أمور أخرى وهو يرفع يده من على بطنه ليرى تلك الدماء التي لوثتها، شعر بوعيه يحاول أن ينسل تماما وبقدميه تخوران من أسفله، كاد يسقط أرضا لولا زيادة قبضة ذلك الممسك به حول كل من ذراع فين وخصره.

"فلتبقَ معي! فين!"

سمع صوت ذلك الشخص يصيح بقوة، لكن لم يستطع أن يجيب؛ فهو يحارب الآن كي لا يفقد وعيه تماما فحسب، شعر بقبضة يد تمسك بذقنه بقوة لترفع رأسه المتدلية، استطاع بالكاد فتح عينيه بعض الشيء، لكن الرؤية ظلت مشوشة.

"أفق!"

فجأة أبعد ذلك الشخص نظره عن فين لينظر أمامه هامسا:

"اللعنة"..

حاول فين النظر بطرف عينه حيث نظر ذلك الشخص، ليجد ذلك الشيء على بعُد يقترب منهم، لم يستطع حتى تحديد ما هو، بدا مشوشًا، وبدت الرؤية صعبة والأضواء متضاربة، سمع صوت زمجرة عالية، ثم رأى ذلك الشيء يركض صوبهم كالريح، لم يشعر بأي شيء بعد تلك الدفعة التي أصابت صدره بقوة لتسقطه على ظهره بعيدا للخلف، سمع صوت شيء كالسيف وصوت زمجرة، ثم شعر بالرؤية تسود أمامه بالتدريج.

***

"وادي الأسود؟ حقا؟!"

"قبل أن تغضبي دعيني أشرح لك، هذا هو المكان الذي وجد فيه الهجين الثاني حلًا لمشكلته، لا أحد يعلم كيف، لكنه مؤكد تاريخيا أنه ذهب لهناك ثم عُرض أمام المرايا مجددا بعد ستة سنوات، ليجد أن روحه صارت تنتمي للشعب الأصفر فحسب، وأنه لم يعد هجينا، الآن كيرا لا تستطيع الذهاب لذلك المكان لوجودها بالمملكة الشرقية، لكن إذا بعُث شخص ما، شخص موثوق به، يمكننا معرفة الحل ومساعدتها وحينها"..

"هل انتهيت من هرائك؟!"

قاطعت دورسيرا ابنها. ها هي تعود لأسلوب تعاملها المعهود، لمَ لا يمكنها الاستماع له مرة فحسب؟

"والدتي، إنه ليس هراءً، أنا أحاول مساعدة كيرا! إنه شيء حدث بالفعل، وحدث في وقت مقارب لهذا الوقت تماما بعد ظهور المذنب بعدة شهور، أنا لم أقل شيئا يستند لخرافة أو ما شابه"..

أردف فين محاولا دعم كلامه.

"حقا؟! منذ متى حدثت تلك القصة، الواقعة التاريخية على حد قولك؟"

صمت فين مشيحا عينيه عنها، أكملت دورسيرا:

"منذ ما يقرب من مائة وخمسين عام، أهذا حقا ما ستستند إليه كي تساعد أختك؟!"

"إنه أفضل من عدم فعل أي شيء!"

علت نبرة فين قليلا لترفع دورسيرا حاجبيها بضجر إثر ذلك.

"والدتي، هناك احتمال كبير أن ذاك المذنب مرتبط بتلك الواقعة بشكل ما، وإذا لم نستغل أننا في الشهور نفسها، فربما لن نستطيع فعل أي شيء لاحقا! بود"..

"إياك والتحدث معي بتلك النبرة!"

أردفت دورسيرا ببطء بصوت حاد، حاول فين كبح جماح نفسه والتحدث بنبرة أكثر هدوءًا:

"لم أقصد، ما أعنيه هو أن "بودير" هو الملك الآن، إذن العاصمة الأم تنتمي الآن بصورة أكبر للمملكة الغربية لأن الملك أحمر العينين، وهذا يعني أن كيرا ستعود ".

"وستصير أختاك سالمتين هنا، بينما ستصير أنت سالم بالأراضي الخاصة بي في المملكة الشرقية، أين المشكلة إذن؟!" تساءلت دورسيرا بنفاد صبر.

"ثم ماذا؟ "بودير" لن يكون الملك للأبد، ماذا بعد ذلك؟ ستحدث تفرقة مجددا، وستكون كيرا أكثر المعرضين للخطر، ستكون معرضة للاغتيال دوما!"

"لن يحدث ذلك"

كيف لها أن تكون بتلك الثقة؟ فكيرا كانت ستتعرض بالفعل

للاغتيال بالمملكة الغربية، وذلك دون أي أحداث كبرى كالتي حدثت مؤخرا وأدت للانقسام، لكن فين لم يصرح بكل ذلك وإلا لعلمت والدته أنه تجسس على بعض الخطابات التي بعُثت لها عن أحوال كيرا.

"ربما قد كانت سالمة من قبل لاستقرار الأوضاع، لكن ألن يزيد ذلك الانقسام الحادث الخطر عليها يا والدتي؟!"

"عن أي انقسام تتحدث؟!"

"والدتي، أنت و"بودير" لا تملكان سوى أراضيك بالمملكة الشرقية وليس الكبرى والعاصمة الأم!"

أردف فين بدهشة، هزت دورسيرا رأسها:

"كلا، نحن نمتلك المملكتين بأكملهما، ميستريو ربما يماطل بعض الشيء، لكنه في النهاية سيخضع، أما نايلس فلا أحتاج حتى وضعه في بالي؛ فهو سينكث رأسه في الأرض كالكلب ل"بودير"؛ فأنا أدرى بهم جميعا أكثر من أي شخص آخر"

لم يصدق فين أذنه، إنهم إخوانها كيف تراهم بذلك الشكل؟

"إذا كنتِ ترينهم بذلك الشكل، فكيف تتوقعين أن يقوموا

بحماية كيرا إذا صار أحدهما الحاكم بعد «بودير»؟»

"لم أقل أبدا أني أنويَ أن يصير أحدهما الحاكم بعد "بودير"!"

"إذن ستحدث تفرقة مجددا؛ ف"بودير" لا يستطيع الإنجاب!"

"هذا صحيح، لذلك فهو فرسي الفائز؛ ففي النهاية سيحدث ما جدر به الحدوث من البداية؛ سيصير ابني أنا هو الملك! "كلا، أنت لم تقوليها، كلا، أكملت دورسيرا:

"وحينها ستحمي أنت كيرا، أنا واثقة"

"والدتي إذا صرت أنا الملك، فستذهب كيرا للملكة الغربية مجددا لأنني أصفر العينين، أنت تدركين ذلك؟!"

"ستكون سالمة!"

أراد فين أن يخبرها أنه لا يصدق، لا يصدق أن خاليه سيسلمان المملكتين بتلك السهولة، لا يصدق أن كيرا لن تتعرض للأذى مجددا، أراد أن يخبرها أن هناك أمل في وادي الأسود، فقد يجدا حلًّا جذريّاً هناك يخلصهم من المشكلة التي تعاني منها كيرا للأبد، لكن لماذا؟! لماذا تصر على رأيها هي

فحسب؟! لماذا لا تحاول الرؤية من منظوره هو لوهلة؟! ربما تراه غير جدير بذلك، تسللت تلك الفكرة لعقله، لكنه تلك المرة لم يبعدها عن خاطره، وتساءل بنبرة هادئة للغاية أقرب للهمس:

"هل أنتِ حقا واثقة من أني سأستطيع حمايتها؟!"

تغيرت نظرة دورسيرا بعض الشيء، فلم تعد تلك النظرة الحادة، ظلت جالسة لكنها اقتربت بعض الشيء من مقعد فين، ثم أمسكت إحدى يديه بكلتا يديها:

"أجل، أنا واثقة من ذلك، أنا واثقة من أنك ستفعل أي شيء وكل شيء ممكن لحماية أختيك، لقد أظهرت ذلك جليا ذاك اليوم حين فقدت ساقك لتنقذ ثنسيا"

ذاك اليوم، لقد مرت عديدٌ من الأشهر منذ ذلك الحين، منذ حظى بإمكانية فعل كل ما أحبه، لكن لا بأس؛ فالمهم هو أن ثنسيا على ما يرام، فكر فين بذلك شاعرا في الوقت ذاته أن إجابة والدته غريبة بعض الشيء وغير متوقعة، فلطالما لم يصدق حين سمع من أشخاص كانوا في يوم مقربين لوالدته حكايات عنها جعلتها تبدو أشبه في تصرفاتها لأميرات القصص، لم يبدُ ذلك حقيقيّاً أبدا له، لكن اللحظات المشابهة لهذه اللحظة هي التي أوحت له أن تلك الحكايات ربما في وقت ما كانت صحيحة. شعر أنه ربما يجدر به مصارحة والدته

بما يشعر، بمخاوفه، ربما.. ربما قد تتفهم، لكن فمه لم ينطق سوى بجملة واحدة:

"لا أريد أن أصير ملكا!"

لم تفلت والدته يده بل ربتت عليها برفق:

"لكنك ستفعل ذلك، حتى إن لم ترغب بذلك، حتى إن لم تصدق أنذلك سيجعلك في موضع قوة لحماية أختيك" أكملت دورسيرا تاركة يده:

"ستفعل ذلك لأني أمرتك بذلك!"

عاودت والدته نظرتها السابقة ثم أشارت باتجاه الباب:

"والآن ارحل، فقد علمت ما أردتك أن تكون على دراية به!" سحب فين عكازه متجها للباب دون إضافة كلمة، فقد علم أن ذلك غير مجدٍ الآن، كما أن أسلوب صرف والدته له أشعره ببعض الإحراج والاستياء، لم يكد يفتح باب غرفة والدته ليخرج حتى سمع شخصا يطرق الباب بالفعل، سمحت دورسيرا للطارق بالدخول ليجد فين أنه الحارس المسئول عن إيصال الخطابات الصادرة من المملكة الغربية لوالدته، حياً الحارس فين بصورة رسمية، ثم اتجه لدورسيرا ليقوم بالشيء نفسه، ظل فين في مكانه متمنيا ألا تصرفه والدته مجددا، لكنها فعلت

ذلك:

"فين!"

أردفت دورسيرا مشيرة بيدها للباب، خرج مغلقا الباب من خلفه وهو يشعر ببعض الغضب، فقد أراد أن يكون على دراية بما يصير، ووالدته بالكاد تترك له الفرصة لفعل ذلك، كان على وشك الرحيل، لكنه أبى عائدا سريعا جهة الباب ليسترق السمع، هذا خاطئ، لكن لا يهم هذه المرة، فغرضه من ذلك هو الاطمئنان على أخته وعدم الشعور أنه مغيب تماما ولا يدري أي شيء، تماما كما كان غرضه حين تلصص على بعض الخطابات المبعوثة لوالدته من قبل، وعلم منها محاولة اغتيال كيرا تلك، كان تمييز الكلمات صعبا، لكنه في النهاية استطاع تمييزها قليلا خاصة حينما صارت نبرة والدته عالية بعض الشيء:

"ما الذي تعنيه بأن لا شخص يعلم ما حدث لها؟!"

"جلالة الملكة، هذا ما وصلني"..

"هذا هراء!" صاحت والدته بقوة.

"مولاتي، أنا واثق أنها على ما يرام، فهم ليسوا بغباء أن يؤذوها، هذا يعني إشعال حرب بالنسبة لهم؛ فسموك الملكة

الآن فكيف سيؤذون ابنتك؟! لابد أنهم يخفون"..

"فلتخرس! أنا لم أطلب رأيك!"

"أأأأ.. أجل مولاتي"

أبعد فين أذنه عن الباب لتتزاحم الأفكار بعقله، عدم معرفة ما حل بكيرا يعني.. يعني أن مكروهًا ما قد أصابها، شعر فين بأنه يختنق بسبب تلك الخاطرة، قطع أفكاره صوت خطوات يقترب من الباب، مما جعله يسير مبتعدا بأقصى سرعته، لم يستدر حين سمع الباب يفُتح، لكنه استدار حين سمع صوت والدته يناديه:

"فين، مازالت هنا؟"

"أعتذر، أصاب قدمي بعض الألم مما أبطأني"

منذ متى وأنت مخادع يا فين؟! شعر بعقله يتساءل، لكنه تجنب الإجابة.

"حسنا إذن، للعلم فحسب، كيرا بخير وهي متجهة الآن للعاصمة الأم برفقة جنود "بودير"، لست مجبرة لإخبارك بأي من هذا لكني أفعل، فلتنسى إذن أمر 'وادي الأسود' ذلك!"

شعر فين بكم غضب غير عادى يجتاحه، لماذا؟ لماذا فحسب؟! لماذا تكذبين؟! أنت تعلمين أن ابنتك قد تكون بخطر وعوضا عن محاولة إيجاد حل تكذبين؟! كلا، لا يستطيع الوثوق بكليمها، لا يستطيع تصديقها، حاول حقا، لكن بعد ما قالته لتوها لم يعد ذلك ممكننا، عليه هو أن يجد حلًّا لمشكلة أخته، عليه فعل ذلك، فكر في ذلك وهو يردف:

"كما تأمرين" ..

***

قرر النظر للساحة عبر نافذته لمرة أخيرة قبل القيام بما عزم عليه، كما هي تماما بسيوفها ودروعها ورماحها، لكن أعدادهم ازدادت؛ ف»بودير» يتحضر للأسوأ، «بودير» الذي لطالما اعتبره فين كالأخ الأكبر، وفجأة صار زوج والدته! كيف حدث ذلك؟! بل كيف حدث كل ما حدث في الآونة الأخيرة؟! قطعت أفكاره صوت تلك الطرقات على باب غرفته، سمح فين للطارق بالدخول ليجد ساربو يقف أمامه مؤديا التحية الرسمية:

"سمو الأمير، لقد طلبت رؤيتي" ..

"هذا صحيح يا ساربو، من فضلك اجلس"

جلس فين على أحد المقاعد القريبة للغاية من النافذة، وتبعه

ساريو منفذًا طلبه سريعا وهو يجلس على المقعد المواجه لمقعده، شعر فين ببعض التوتر، كيف سيفعل ذلك؟ إنه لم يفعل ذلك من قبل، كما أنه غيرواثق أن ما يفعله صحيح، لكنه لم يرد أن يبدو بمظهر المتردد أو غير الواثق وتلك هي الطريقة الوحيدة.

"بماذا يمكنني أن أخدمك يا سمو الأمير؟"

أراد فين تخطي كل تلك المجاملات والأحاديث التي لا قيمة لها، فهو يملك ما سيوصله لمراده، أو على الأقل يتمنى ذلك، فليدخل في صلب الموضوع إذن.

"أتعلم ما عقوبة الخيانة يا ساريو؟" صمت ساريو لوهلة ثم أجابه:

"قطع الرأس أمام الشعب في ميدان عام"

أومأ فين ثم أخرج قطعة ورقة مكومة بجانبه على المقعد مردفا:

"دعني أدخل في صلب الأمر، فحقا أنا لن أضيع وقتي في سماع محاولات غير مجدية للإنكار"

"إنكار ماذا؟ عمَّ تتحدث سموك؟" فتح فين الورقة المكومة

وأخذ يقرأ منها:

"عزيزنا الملك لم يُفترض أن يموت بتلك السرعة، المرض ليس ما تسبب في موته، ولا أدري ما تسبب بذلك، الأميرة الشقراء يثير جنونها ما حدث لابنتها، وقد يدفعها لأذية أي شخص قد تسبب بشكل أو بآخر في أذية ابنتها، حتى إذا وصل الأمر لأذية إخوانها وأولادهم، حتى إنها خالفت المحرمات وحاولت الاستعانة بالسحر مرسلة عالمًا ومساعدته للبحث عن حل في أنقاض مقر الحالمين، يشك بعضٌ في أنها ربما تعلم سبب الموت المبكر للملك والدها، فهي آخر من تواجدت في غرفته تلك الليلة، قد رأيت ذلك بأم عيني، من يدري ربما هي من تسببت بذلك الموت.

خادمك المخلص»

صمت فين لوهلة وهو يرفع نظره لساريو الذي بدا مندهشا، أكمل فين:

"أنت خائن وجاسوس يا ساريو، تبعث بأخبار والدتي لشخص في المملكة الغربية، قد أجبتني بنفسك عن مصير الخونة منذ قليل، يمكنك مضاعفة الأمر مع من يخون الملكة دورسيرا"

رفع ساريو يديه مصفقا ببطء تعلو وجهه ابتسامة غريبة:

"أهنئك أيها الأمير، لقد فاجأتني بالفعل، لم أحسب أبدا أن شخصًا ما سيكشفني"..

شعر فين ببعض الارتياب، فقد توقع أن ينكر ساريو أو على الأقل ألا يعترف بتلك السرعة، أكمل ساريو وهو يقف:

"لكني آسف أن أخبرك أن اكتشافك هذا بلا جدوى، فهذا الخطاب لا يمكن أن يكون بحوزتك، وأنا لا أصدق أن تلك الورقة هي خطابي، والآن إذا سمحت لي سأرحل، فلدي كثيرٌ من المهام لأقوم بها، وعلى سموك التحضر أيضا فسترحل غدا من العاصمة الأم"

هم ساريو بالرحيل لكنه توقف إثر سماع حديث فين

"أجل لا يمكن أن يكون بحوزتي، فقد قمت أنت برميه خلف مكتبك سريعا حين ذهبت للتحدث مع خالي ميستريو، لم تعد سوى بعد نصف ساعة بالتحديد، قمت أنا بها بتبديل خطابك بخطاب كتبت به ما كُتب بالخطاب الأصلي، كومت خطابي ورميته في المكان نفسه، ثم غادرت حاملا خطابك برفقتي، بينما عدت أنت وقمت بإحراق الخطاب الذي ظننت أنه الخطاب الأصلي؛ فأنت لا تستطيع إرساله بحالته تلك كما أنه إذا كُ شف فأنت في مأزق، لا سبيل إذن سوى إحراقه وكتابة آخر، ثم إرساله على الفور، ولمَ قد تهتم كثيرا بالنظر والتمعن بالخط المكتوب به الخطاب طالما وجدته بمكانه الذي رميته

به في الأساس، كما أنه قد تكوم وصارت هيئته غير واضحة، كما كان في حالته الأصلية، من المحال أن يكون أحدا قد لمسه، هذا ما ورد لتفكيرك"

تخشب ساريو لبعض الوقت، ثم أستدار لينظر لفين بفم مفتوح وعيون واسعة، ثم ركض باتجاه فين محاولا القبض على الورقة، لكن فين مد يده السليمة بالورقة في لمح البصر لتخترق إطار النافذة.

"لقد توقعت ذلك من شخص مثلك، يمكنك محاولة أخذها، لكن قبل أن تدري ستكون تلك الورقة واقعة في أرض الساحة وحينها، سأنادي على أحد الحراس ليحضرها لي أو ليوصلها لوالدتي، أجد أن الخيارين مناسبان للغاية!"

ابتعد ساريو عن يد فين، ثم أشار فين برأسه جهة المقعد مجددا، مردفا:

"اجلس"

انصاع ساريو له وجلس شابكا ذراعيه.

"أخبرني إذن يا سمو الأمير، لماذا لم تخبرها بعد؟ أنت تريد شيئا ما، غير ذلك لن تضيع وقتك على حد قولك كي تثبت لي أنك تحمل ما قد يفقدني رأسي" قال ساريو بنبرة تحدٍّ، أبعد

فين يده عن النافذة واضعا إياها على المقعد بجانبه:

"ستفعل لي شيئا وسأدعك ترحل، لن تفعله ستفقد رأسك"

"ويفترض بي أن أصدقك فحسب؟"

"إن كنت تريد ألا تفقد رأسك أجل" صمت ساريو مجددا وبدا عليه التفكير.

"ماذا تريد؟"

"أريدك أن تصحبني لوداي الأسود دون علم أي شخص"..

"ماذا؟! هل أنت جديٌّ؟!" لم يهتم فين لنبرة ساريو الساخرة.

"سترحل برفقتي أنا ولوسي والجنود غدا؛ لأنك بأعوامك العشرين لا يمكنك المكوث هنا مثلي تماما تبعا لقانون المرايا، آخر بقعة سنخيم بها قبل الوصول للقلعة التي من المفترض أن أمكث بها ستكون على بعُد يوم منها، لذا ستتطوع ذاك اليوم للحراسة الليلة وبالطبع سيكون برفقتك جنديان آخران، سأخبر أحد الحراس أنني أود امتطاء الفرس لعدم مقدرتي على النوم، وسيساعدني على القيام بذلك، بينما ستقوم أنت خلسة بإشعال النار بإحدى الخيم التي لا يوجد بها أحد، ثم سأتظاهر أنا أن أشخاصًا ما حاولوا الإغارة

علينا، وسأقول أنهم ذهبوا في طرق متفرقة، بما أنك جندي مهم لدى والدتي، فستأمر بعض الجنود بالذهاب إلى أحد تلك الاتجاهات، بينما سأهرع أنا لاتجاه آخر صاحبا بحوزتي كلباً بريّاً لأبدو أني سألحق بباقي هؤلاء الأشخاص، ستبدو منزعجا وستأمر باقي الجنود باصطحاب لوسي، والتوجه سريعا نحو القلعة وستخبرهم أنك ستحضرني وستقابلهم بالقلعة، بالطبع معرفة جميعهم بمكانتك لدى والدتي ستساعدك، لكن عليك أيضا أن تبدو منفعلا للغاية كي يصدقوا تظاهرك، وأنك وحدك ستستطيع التكفل بحراسة الأمير، لذا يجدر بك أيضا أن تستعرض مهاراتك القتالية في أثناء الرحلة، سأكون ركضت بالفرس بمسافة لا بأس بها، وحينها سنتقابل ونكمل العدو بالأحصنة حتى يصير من المستحيل عليهم تتبعنا، وسنتوجه حينها لوادي الأسود، سيستغرقنا الوصول لهناك ما يقارب الأسبوع إذا أسرعنا، إذا لم أعد بعد رحلتنا تلك بأسبوعين للقلعة، فسيكون الخطاب قد وصل لوالدتي بالفعل، لكن إذا عدت سالما فسأخبرهم أنه تم اختطافنا، وتم قتلك وأنت تحاول تهريبي، ولن تعود برفقتي"

"وسأفقد مركزي وأصير هائما في الأرض فحسب؟"

"أرى أن ذلك أفضل بكثير من فقدان رأسك!"

حاول فين الحفاظ على مظهره الهادئ، لكنه كان يدعو بداخله أن تنجح خطته، فحتى الآن لم يكتشف ساريو خدعته

حيال الخطاب الذي لم يقم بتبديله إطلاقا، بل سرعة حفظه للأشياء هي ما ساعدته على إتمام تلك الخدعة، كما أن بيلا هي من أعلمته متى عاد ساريو لغرفته، فقد تشوش تفكير فين تماما بعد قراءة ذلك الخطاب، وصار يهيم في القصر بلا وجهة محددة متذكرا كل كلمة وردت به؛ فلم يتصور أبدا أن والدته قد تكون هي من تسببت بقتل والدها، حتى الآن هو مازال في حيرة بالنسبة لذلك الأمر، لا يريد التصديق، لكن تصرفات والدته تشعره أن ربما.. حقا لا يدري.

"ماذا عن أنه وادي الأسود؟ الأسود؟!"

"لا أحد يذهب هناك إنه أشبه بالمكان المهجور فقد قلت لتوك إنه وادي الأسود!"

"لن نقُتل إذن بل سنؤكل! منطقك رائع أيها الأمير!"

"الأسود توجد فحسب في بعض السبل المؤدية للوادي وليست كلها، الوادي ذاته لا يعيش به أي أسود، ليس في يومنا الحالي، وأنا أعلم الطريق الخالي من الأسود المؤدي للوادي"

"لا أرى سبب احتياجك لي إذن، يبدو أنك ملم بكل شيء بالفعل"

"أحتاج لمن يصحبني لهناك دون أن يلحظ أحد، كما أن هذا الاتفاق مربح لك أنت بصورة أكبر؛ ففي النهاية لن تفقد حياتك" قهقه ساريو بقوة:

"هذا بافتراض أني أثق بمعلوماتك لأشعر بالاطمئنان لذهابي لذاك المكان"

شعر فين ببعض السخط بسبب سخرية ساريو، لكنه أراد الانتهاء والوصول لما أراده فحسب:

"أترفض أم تقبل؟"

"لماذا حتى يريد سمو الأمير فين الذهاب لهذا المكان؟!" أكمل ساريو بنبرته الساخرة.

"أترفض أم تقبل؟"

زفر ساريو باديا عليه الاستياء لكنه ابتسم على الرغم من ذلك:

"كما تأمر سمو الأمير، أنا أقبل، والآن أعذرني فلدي كثيرٌ لأقوم به"

لم يكد ساريو ينهي جملته وكان بالفعل قد وصل لباب الغرفة

منصرفا تاركا فين ليغرق في أفكاره المندهشة، لقد نجحت خطته! مرت بضع دقائق حتى وجد فين شخصًا يدق بابه، ويجد حارسًا يخبره أن الحداد يود لقاءه، فسمح له فين بالدخول سريعا ثم انصرف الحارس، كان الحداد يمسك شيئا ما بيداه مغطى بقطعة نظيفة من القماش، لكن فين استنتج بالفعل ما بيديه، انحنى الحداد:

"سمو الأمير، لقد صنعت لسموك السلاح الذي طلبته، إنه تحفة رائعة"

"أشكرك، هل يمكنني رؤيته؟"

"بالطبع، سموك"

أردف الحداد بتوتر وهو يسير سريعا ليقف أمام فين ويزيل قطعة القماش من على السلاح ثم يعرضه له، بدت قوسا رائعا حقا، ومناسبة تماما لعطب إحدى يديه، أومأ للحداد الذي قام بدوره بإمساك القوس بصورة عادية عوضا عن عرضه:

"ماذا بخصوص امتطاء الفرس؟ هل تأكدت أنني لن أسقط؟"

"لا تقلق يا سمو الأمير، فالأربطة التي تثبتك للفرس التي قمت سموك بتجربتها سابقا وتجربة فكها بنفسك قمنا بالتأكيد

على متانتها وقوتها"

"أشكرك، لكن كما أخبرتك لا يمكنك إخبار أي شخص بذلك، فكما تعلم قد تنزعج والدتي إن علمت أني أفكر بالرماية أو امتطاء الخيل"

"لا تقلق يا سمو الأمير، فأنا حافظ للأسرار! أقسم لك!"

أجاب الحداد بتلقائية شديدة، لم يكن برجل شديد الذكاء، لكنه بارع بمهنته وبالفعل حافظ للأسرار، وهذا هو كل ما احتاجه فين.

***

سار جوارهم متذكرا ما كان منذ عدة شهور، منذ يوم المرايا ذاك، حينما كان خائفا للغاية أن تظُهر المرايا أن روحه تنتمي للمملكة الغربية كي لا يفترق عنهم، وسعد كثيرا حين علم بأنه ينتمي للمملكة الشرقية، حتى حدثت فاجعة كيرا ودمرت كل سعادة، وها هو يسير الآن لجوار لوسي ووالدته وأخته و»بودير» لمقدمة القصر كي يتم توديعه هو ولوسي لرحيلهم للمملكة الشرقية، ربما ما أراده للغاية وحسب أنه سيحقق هدفه ارتبط بهدفه بطريقة سطحية فحسب، وإذا نظر حينها للأمر بصورة أعمق لما صار خائفا كما كان، فها هو سيبتعد عنهم على أيةً حال، على الرغم من كونه أصفر العينين وينتمي

للمملكة الشرقية، بدا أن رحيله كان أمرًا محتومًا منذ البداية مهما اختلفت الأحداث المؤدية لذلك في النهاية، ففي أيةً رواية أخرى لما أعتقد أن كل ما حدث كان ليحدث، لكنه ليس خائفاً تلك المرة، ربما حزين قليلا لأنه سيشتاق لهم، لكن كيرا ستعود للعاصمة الأم وستصير آمنة مؤقتا وهذا أمر جيد، أمر تمناه حقا، وأيضا سيستطيع الذهاب لوادي الأسود ويأمل أن يجد به حلًا جذريا يجعل كيرا تعيش آمنة دوما، وليس لبضعة سنوات فحسب. كان قد وصل لمقدمة القصر بالفعل حيث توجد العربات والأحصنة والجنود الذين سيقومون بنقلهم ولجوارهم ساريو، ودعت لوسي ثنسيا ووالدته، وحينما توجهت ل»بودير« صارت أكثر رسمية، ثم وقفت منتظرة الإذن بالانصراف، ربت «بودير» على كتف فين مردفا:

"حين أراك مجددا فلا تتظارف حيال كونك صرت شابا وكوني صرت كهلا، فلا أريد أن أثبت لك العكس حينها!"

إن ظلت الأمور كما كانت قبل زواج «بودير» من دورسيرا لأبتسم فين لجملة «بودير» تلك وعانقه بقوة، مازال يحبه، لكنه لا يدرك حقا أذلك صائبٌ أم لا، لكنه ابتسم في النهاية على سبيل المجاملة، ثم نظر لوالدته التي بدت جدية كعادتها، لكنها رمشت أكثر مما ينبغي، لم يدرِ لماذا، ولم يدر ما يجدر به قوله فابتسم مجددا فحسب.

"لا تكن أرعنَ أو أحمقَ كعادتك!"

أردفت دورسيرا بحزم، فأومأ وأمسك بيدها مقبلا إياها، ثم توجه للصغيرة ثنسيا التي ظلت تنظر أرضا، لكن فين وضع يده على كتفها باسما.

"فين، لقد أخبرتني أنك لن تتركني أبدا، لقد قلت كذلك، ذاك اليوم، حينما"..

تحدثت ثنسيا بكلمات متقطعة والدموع تملأ عينيها.

"ولكننا سنرى بعضنا مجددا يا ثنسيا فأنا سأعود يوما ما"..

أومأت محاولة كتم دموعها، حاول فين ثني ركبتيه ليصل لمستوها، بدا الأمر مرهقاً بعض الشيء لكنه استطاع القيام به في النهاية، ثم احتضنها مردفا:

"حتى اللقاء"..

اختفت ثنسيا ووالدته و»بودير» ومرت أيام وأسابيع حتى اقترب، اقترب للغاية، لم يحسب منذ بضعة أسابيع أن خطته ستنجح، والآن لقد اقترب للغاية من ضالته، بدا المكان مريحًا للغاية، أشجار وعشب بكل مكان وهدوء، هدوء غريب، حتى الطيور صوتها لم يكن صاخبا، يكاد يجزم أن صوت الريح قد يكون مسموعا في هذا المكان.

"هل أنت واثق أن هذا هو الطريق؟" تساءل ساريو دون النظر لفين:

"حسب ما قرأته، أجل، سنصل للجسر بحلول الغروب"

زفر ساريو بسخرية ثم تقدم بحصانه عن حصان فين، لم يهتم فين له، هو لا يحتاج أن يزعج نفسه؛ فقريبا سيصير ساريو بلا مأوى أو مركزًا أو أي شيء، نظر فين باتجاه الكلبين السائرين بجوار حصانه، أحدهما كلب بريٌّ ضخم الجسد للغاية، يكاد يقارب طوله طول فين، العادي مدرب للحرب، بينما الآخر لم يكن سوى سكودو كلب الحداد الذي اتبع فين حين تظاهر بأنه يركض ليمسك بالذين أغاروا عليهم، ولم يستطيعوا إعادته للحداد الذي سافر في البداية برفقتهم للقلعة، تذكر فين ذلك اليوم حين اختبأ بمكان خفي تاركا أحد قفازاته مرميّاً على الأرض، وأمر الكلبين بالجلوس جواره وحاول بقدر استطاعته استخدام كلتا يديه ليمسك القوس ويصوب سهمًا معيناً، للحقيقة صار الأمر مستحيلًا إن استخدم القوس التقليدية وإحدى يديه بها عطب إلى حد ما، لكن القوس التي صنعها له الحداد ساعدته على التصويب بعض الشيء، حتى ظهر ساريو وكاد ينادي على فين، لولا رؤيته لذاك القفاز الملقى، نزل من أعلى حصانه ليتفحص ذلك القفاز، وكانت تلك هي لحظة فين لتنفيذ خطته حيث صفر للكلب البري الذي ركض بأقصى ما لديه مسقطا ساريو الذي لم يكد يستل سيفه، كشر الكلب

عن أنيابه مسقطا لعابه على وجه ساريو، بينما أشهر فين القوس من حيث اختبأ موجهًا إياه نحو ساريو، ثم أمره بالتجرد تماما من أسلحته، فكيف لفين أن يثق أن يسير بجواره شخص كساريو وهو مسلح بسيفه وخناجره، أبدى ساريو تكهنات كاذبة عن أن تلك طريقة سخيفة لطلب شيء، لكان قد فعله ببساطة إذا قيل له، لكن فين لم يصدقه لوهلة، ركز فين باللحظة الحاضرة متناسيا تلك الذكرى، لكنه سعد لأن خطته حينها نجحت، ثم ابتسم نصف ابتسامة لبلاهة الكلب سكودو الذي مازال يسير بجواره وهو ينظر له بفم مفتوح ولسان متدلٍ ثم ينبح بسعادة، لكن سكودو ليس كلبه، يتمنى فحسب أن يعود بكلا الكلبين سليمين، وضع فين يده على تلك الحبال التي يثبت بها القوس وحامل الأسهم لظهره، جيد أنه فكر بجعل الحداد يصنع له شيئا كهذا يعتبر وسيلة للآمن بجانب الكلبين فهو أفضل من أن يكون عاجزًا تماما لا قيمة له، فهو في النهاية لا يثق بساريو ذاك على الإطلاق، مضى بعض الوقت حتى بدأت بداية الغروب تلوح في الأفق، وقد وصلا بالفعل لجسر خشبي ضيق يقود لقلب الوادي، كانت حالته سيئة كما أن المنظر أسفله لم يبدُ مبشرًا للغاية.

"أأنت جادٌّ؟! أتريدنا أن نمر من فوق هذا؟!"

"إنه الممر الوحيد الذي قرأت أن الأسود لا تحيطه"

أجاب فين لكنه شعر ببعض التوجس بداخله؛ فالممر كان في

حالة سيئة بالفعل.

"حسبت أنك قلت إنك تعرف عديدًا من الممرات.." قال ساريو مستهزأً.

"إن هذا هو الأقرب لنا وقد كُتب أن به جسرًا منيعًا!" ضحك ساريو مستهزأ مجددا.

"أجل جسر منيع بمكان لا يأتي به أي شخص، ما احتمالية أن يكون قد تعرض للتلف بفعل عوامل الجو؟! أين ذهب ذكاؤك الخارق الآن؟!"

تماسك فين بقوة قصوى، فقد أراد حقا أن يرد إهاناته، لكن هذا ليس الوقت.

"علينا الترجل من الأحصنة"

أردف ساريو وهو ينزل من على حصانه، تردد فين لكنه سمع ساريو يكمل:

"ماذا أتريد الموت أنت وحصانك إثر السقوط؟! فلتذهب إذن ممتطيا إياه"

تنهد فين، ثم أشار للكلب البري بالاقتراب، بينما هو يفك

الأربطة القوية التي تثبته بالفرس استغرقه الأمر بعض الوقت، ثم حاول النزول مستندا على الكلب البري، كان الأمر صعبا كالعادة، ونزل في النهاية متعثرا على الأرض ككل مرة، لم يحاول ساريو مساعدته ولم ينظر له فينمن الأساس، بل استند على الكلب، ثم سحب عكازه المعلق على جانب الحصان، أمسك ساريو بلجام كل من الحصانين وربطهما في فرع شجرة قريبة، ثم أخرج من حقيبة كانت موضوعة على حصانه شعلتين غير مشتعلتين.

"والآن فلتشر للكلبين بالمرور أولا، فهما يطيعانك أنت!" لم يثق فين بساريو، لكنه محق فإن لم يذهب الكلبان أولا فسيظلان يتبعانهما ويزيدان الوزن على الجسر، تنهد فين ثم صفر للكلبين مشيرا لهم لنهاية الجسر، انصاع الكلب البري سريعا وركض للجهة الأخرى من الجسر لحسن الحظ تحمل الجسر ثقل جسده، بينما ظل سكودو واقفا بجوار فين يميل برأسه جانبا.

"سكودو، هيا!"

أخرج سكودو صوتاً يشبه الآنين.

"سكودو، اذهب!"

أردف فين بصوت عالٍ مشيرًا حيث وقف الكلب الآخر، مما

أدى لانصياع سكودو في النهاية، وقف فين حائرا؛ فلم يدرِ أيذهب هو أولا أم ساريو، فقد قلق أن الخيار الخاطئ سيؤدى لخيانة ساريو له بطريقة أو بأخرى.

"اذهب أنت أولا!" سمع ساريو يردف بذلك.

"فإذا حاولت خيانتك ستراني الكلاب وتفتك بي، كما أنك ستصل لبر الأمان أولا"

بدا كلامه مقنعا، صمت فين لوهلة ثم سار مستندا لعكازه ليعبر الجسر، أمسك بيده شبه المعطوبة بأحد ذراعي الجسر الذي كان على هيئة أحبال مربوطة ببعضها، بينما يده الأخرى السليمة ظلت مستندة لعكازه محاولة تجنب الفتحات الموجودة بين الأخشاب أسفله، سار ببطء للغاية وقد استصعب الأمر كثيرا بقدمه الخشبية ويده شبه المعطوبة، حتى اقتربت الشمس من منتصف غروبها بالفعل عندما عبر نصف الجسر، وهو ينظر للكلبين أمامه وينظر من حين لآخر خلفه ليرى ساريو يبعد عنه بمسافة ليست بكبيرة.

"أتدرى ربما لم يكن ذكاؤك هو السبب في عدم معرفة حالة الجسر، ربما لأنك أمير مرفه تحصل على كل شيء قبل أن تبغاه حتى"

قام ساريو بالاستهزاء مجددا، هم فين أن يستدير ليخرسه

هذه المرة، لكن العكاز انزلق من بين إحدى فتحات الأخشاب ليسقط أسفل الجسر ويختل توازن فين مسقطا إياه على وجهه أعلى الجسر، حاول زيادة تشبثه بذراع الجسر التي كان ممسكا بها بالفعل، حاول الاستناد لحبال ذراع الجسر الأخرى كي يستطيع الوقوف لكن محاولاته باءت بالفشل، تردد لأذنه صوت الكلاب تنبح تجاهه، ثم شعر بيدين قويتين تمسكان بأسفل ذراعيه وترفعانه ليستطيع الوقوف، حاول إبعادهما لكن ساريو أمسك بذراع فين السليم واضعا إياه أعلى كتفه، ثم سار بفين سريعا باتجاه نهاية الجسر.

"شكرا، أستطيع السير بمفردي"

"أنا حقا لا أهتم لهراء 'أستطيع فعل ذلك بنفسي' حاليا فلنعبر هذا الجسر اللعين فحسب!"

وصلا للجهة الأخرى من الجسر لحسن الحظ دون التعرض لأذى على الرغم من الجسر المهتز من أسفلهما، وقف الكلبان أمامهما يهزان ذيولهما بسعادة، قام فين بالابتعاد عن ساريو والاستناد على الكلب البري مردفا:

"أشكرك على مساعدتي"

"لا بأس أيها الأمير، أرجو فحسب أن يكون ما حدث هو أخطر ما قد نتعرض له"

عاودت ساريو نبرته الاستهزائية، يا له من أحمق ألا يمكنه الصمت فحسب، لكن فين لن ينكر أن التوتر بدأ بمراودته بالفعل.

"لنكمل السير فحسب"

قال فين وهو يسير مستندا على الكلب البري، فقد ساعده ارتفاع الكلب على ذلك.

"إذن عمَّ تبحث تحديدا؟"

تساءل ساريو ناظرا لفين بطرف عينيه.

"سأعلم حين أجده"

أجابه فين باقتضاب، قهقه ساريو:

"هل تدري حتى عمَّ تبحث؟"

لم يجيبه فين تلك المرة، بينما توقف ساريو مسلطا نظره لفين كأنه استنتج شيئا ما:

"لحظة، أنت لا تدري حتى عمَّ تبحث؟!"

"فلتكمل السير"

"كلا، كلا، هل تمازحني الآن؟! أَقَطَعْنا كل تلك المسافة وأجبرتني على المجيء لهذا المكان النتن وفي النهاية أنت لا تعلم عمَّ تبحث؟" علت نبرة ساريو بينما بدأت الكلاب بالزمجرة.

"سنجد ما أبحث عنه قريبا فلنكمل السير"..

"كلا، أنت لن تخبرني عما سأفعله مجددا أيها الفتى التافه المتعجرف"

صاح ساريو وهو يقترب من فين بشدة مما جعل الكلب البري يزمجر وينبح بقوة باتجاهه، لم يهتم ساريو، بل ظل يرمق فين بعينين تشران نيران ملتهبة.

"فلتهدأ"

قال فين مربتا على ظهر الكلب.

"لا تحسب أيها الأمير أني سأخاف نباح كلبك، أو قوسك الواهية، إذا أردت أذيتك لصرت ميتا بالفعل"

لم يدرِ فين ماذا يجدر به فعله، ظل يبادل ساريو النظر

فحسب، كان الكلب بجواره قد توقف عن النباح، لكن على الرغم من ذلك انسل لأذن فين صوت نباح عالٍ، لمح سكودو يقف بعيدا عنهم موليا إياهم ظهره بينما ينبح في الاتجاه المعاكس وينظر باتجاههم من الحين للآخر.

"ماذا؟!"

همس فين وهو يزيح ساريو من أمامه متجها لسكودو وهو يتكئ على الكلب البري، لم يكد فين يصل حيث وقف الكلب حتى فتح عينيه على مصراعيهما من الدهشة.

"ماذا يوجد؟! اللعنة"..

أردف ساريو بدهشة، لن يكذب فين فقد راودته بعض الشكوك عن إمكانية إيجاده حقا لضالته، لكن ما رآه لتوه أثبت له حقا أن هذا المكان غير عادي، سار فين بخطى شبه سريعة نحو تلك الصخور، صخور عالية للغاية مستطيلة الشكل كثيرة يصل عددها لما يقارب الأربعين أو الخمسين، كلا إنها واحد وخمسون صخرة بالتحديد منتظمة على شكل دائرة ممتدة على مساحة واسعة، بدت الشمس كأنها تغرق بداخلها في أثناء غروبها الأخير، في أوسط تلك الدائرة يوجد حجر مستدير صغير بعض الشيء مقارنة بحجم الصخور الأخرى، وصل فين لأقرب الصخور المستطيلة له ناظرا حوله بتعجب وقد شعر ببعض الرهبة، بدأ سكودو بإصدار صوت

الآنين مجددا. أضاء ساريو الشعلتين، بينما اتجه فين صوب الحجر في المنتصف سريعا، فقد أراد حقا الوصول لإجابات لأسئلته أولا، وجد كتابة ما على الحجر، لكنه لم يستطع فهمها فقد كُتبت بلغة غريبة.

"ستكون تضحيتكم هي البداية للعالم الجديد؟"

سمع فين ساريو يردف من خلفه ناظرا للكتابة أعلى الحجر هو الآخر:

"ماذا؟!" تساءل فين بدهشة.

"إنه أحد الأشياء المكتوبة"

"هل تستطيع قراءة تلك الكتابة؟!"

"تبدو كلغة أجدادنا الأولى التي تحدثوا بها عند قدومهم لهذه الأرض في البداية، تعلم قبل أن تطغى لغة شبه جزيرة لونا على اللغة الأصلية"

"إذن تستطيع ترجمة المكتوب هنا؟"

"ليس تماما، فأنا لست خبيرًا بها، قد ترجمت ما استطعت فهمه" تنهد فين:

"سأنظر في الأرجاء"

أردف ساريو وهو يناول فين إحدى الشعلتين ثم يسير مبتعدا، قام سكودو باتباعه، بينما ظل فين مكانه مستندا على الكلب البري ينظر للكتابة بتركيز محاولا حفظ كلماتها بشكل ما.

"لمَ أنت هنا؟"

فجاءة انسل ذاك الصوت الهامس لأذن فين، استدار لكنه لم يجد أحدًا، كل شيء كما هو، ربما زادت الريح قليلا، ربما زادت السحب في السماء التي صارت قاتمة بالفعل، شعر فين بالقشعريرة والخوف، لكنه تغاضى عن ذلك مؤكدا لنفسه أنها ليست سوى هلاوس، نظر للحجر مجددا، لم يستطيع التركيز جيدا تلك المرة لكنه حاول.

"لمَ أنت هنا؟"

صار الصوت أعلى تلك المرة، أبعد فين وجهه مذعورا عن الحجر ليجد مصدر الصوت، وجد أمامه شخصًا ملتفًا بالأسود يغطي وجهه بوشاح أسود لا يظُهر ملامحه، لم يجب فين، شعر بالخوف يجتاحه، ما هذا؟! إنها ليست سوى بضعة هلاوس بالتأكيد، أراد أن ينادي ساريو لكن..

"لمَ أنت هنا؟"

استدار فين ليجد شخصًا آخر بالهيئة نفسها وآخر وآخر وآخرون، خمسون بالتحديد، يقف كل منهم أمام إحدى الصخور عدا الصخرة الموجودة بالمنتصف، فقد كان فين هو الواقف بجوارها، بدأ الكلب البري الزمجرة مهددا.

"لمَ أنت هنا؟"

لم يقتربوا منه، لكنهم همسوا في صوت واحد:

"ارحل!"

تنفس فين بعمق مغمض عينيه للحظة، ثم فتحهما ليجدهم اختفوا، ليت ذلك جلب الاطمئنان لقلبه، لكنه لم يشعر سوى بمزيدٍ من الرعب خاصة لرؤيته ذاك المظهر الذي جمد الدم في عروقه وأشعره أن ساعته قد حانت بالفعل، فقد وقف أمامه على بعد كيان مهول يصل طوله لثلاثة أمتار، ربما يشبه الأسد، لكن الأسد بجواره سيبدو كالكائن الوديع، إنه أكبر من أي شيء رآه، أرعب من أي كائن سمع عنه، بعين صفراء وأخرى غير موجودة، بل تحل محلها ندبة بطول وجهه، ومخالب أشبه بالسيوف المسنونة، شعر فين أن حجمه بالنسبة لذلك الوحش أقرب لحجم الجرذ بالنسبة للبشر؛ لذلك لم يتحرك، أخذ الكلب البري النباح بقوة، بينما ظل فين واقفا مكانه بأنفاس مرتعشة فحسب، فماذا عساه أن يفعل سوى

ذلك؟ بدأ ذلك الكائن بالسير جهته ببطء، قد علم بالمخاطرة التي أخذها، لكنه لم يتوقع أبدا ما يحدث الآن، اقترب ذلك الوحش بشدة حتى لم يعد يبعده عن فين سوى بضعة خطوات فحسب، لم يتردد الكلب البري حينها، وقام بالركض تجاه ذلك الكائن مما أفقد فين توازنه وجعله يسقط أرضا مسقطا الشعلة جانبا، ليت الكلب لم يفعل ذلك، ليته ظل بجانب فين فحسب، فلم يكد يصل لذلك الكائن حتى صار بين أسنانه بالفعل، اقشعر بدن فين لسماعه صوت عظام الكلب تهشّم بين أسنان ذلك الأسد ورؤيته للجسد يطرش الدماء بشدة، كما لو أنه كيس محمل بالدماء وانفجر، سالت دماء الكلب من أحد جوانب فم ذلك الوحش، وأكمل اقترابه من فين ببطء بعيون لا ترمش، فكر فين حينها بعائلته وتساءل عن إذا كان سيراهم مجددا، لم يكد فين يكمل أفكاره وهو يرمق ذلك الأسد يقترب منه وينظر له بعين ثابتة، لم يرمش فين، ظل ينظر بهلع نحو عين ذلك الوحش حتى رفع الأسد أحد أقدامه الأمامية بمخالبها المدببة باتجاه فين.. واختفى كل شيء..

"فين! فين!"

"أعلم أن والدتنا تصر على أن يعلمني سائس الخيل لكن من فضلك، من فضلك، أريد أن تعلمني أنت ركوب الخيل"

"أرجوك أريد أن أكون.. أن أكون ماهرة في ركوب الخيل مثلك أنت وكيرا، أرجوك"..

"فين! النجدة!"

"فين! فين!"

تحول صوت ثنسيا الصارخ لصوت أقل صخبا، صوت غير معهود، هل كان يتخيل ثنسيا تحادثه لتوه؟! يبدو كذلك، شعر فين بثقل غير عادى بجفنيه، استطاع بالكاد فتحهما لينظر لذلك الوجه المهتز أمامه.

"فين، عليك إخباري بالسبل الأخرى التي لا يوجد بها أسود، فذلك الكلب الأحمق سكودو أسقط الجسر عند مروره من أعلاه"

لم يفهم فين شيئاً، شعر بالبلل يغزو ذراعه وبطنه، لم يهتم، لم يكترث سوى لذكرى أخته الصارخة، همس بصوت غير مسموع:

"ثنسيا!"

"ثنسيا ليست هنا يا فين أنا ساريو مساعد والدتك! اللعنة، عليك مساعدتي، إذا لم نرحل الآن فستموت بلا شك، إنك تنزف بغزارة!"

"ساعدها"

حاول فين رفع صوته لكن ذلك لم يغير شيئا وظل صوته غير مسموع:

"اللعنة، هذا غير مجدٍ"

شعر فين بذلك الشخص يساعده على الوقوف ويسنده ثم يسير به في اتجاه ما، سار فين برفقته مترنحا وهو يجاهد كي لا تخور قواه تماما.

"لقد أخذت قوسك وحامل الأسهم، إنهما وسيلة حمايتنا الوحيدة الآن، اللعنة! اللعنة!"

تحدث ذلك الشخص، ساريو على ما يبدو، حاول فين أن يجمع أنفاسه بقوة، لكن الأمر لم يكن بتلك السهولة، كيف وصل لهنا؟!

"تشبث، سأخرجك من هنا!"

أردف ذلك الممسك به، لم يستطع فين تمييزه جيدا، أو ربما انصب المتبقي من تفكيره حيال أمور أخرى، وهو يرفع يده من على بطنه ليرى تلك الدماء التي لوثتها، شعر بوعيه يحاول أن ينسل تماما وبقدميه تخور من أسفله، كاد يسقط أرضا لولا زيادة قبضة ذلك الممسك به حول كل من ذراع فين وخصره.

"فلتبقَ معي! فين!"

سمع صوت ذلك الشخص يصيح بقوة، لكن لم يستطع أن يجيب؛ فهو يحارب الآن كي لا يفقد وعيه تماما فحسب، شعر بقبضة يد تمسك بذقنه بقوة لترفع رأسه المتدلي، استطاع بالكاد فتح عينيه بعض الشيء لكن الرؤية ظلت مشوشة.

"افق!"

فجأة أبعد ذلك الشخص نظره عن فين لينظر أمامه هامسا:

"اللعنة!"

حاول فين النظر بطرف عينه حيث نظر ذلك الشخص، ليجد ذلك الشيء على بعُد يقترب منهم، لم يستطع حتى تحديد ما هو، بدا مشوشا وبدت الرؤية صعبة والأضواء متضاربة، سمع صوت زمجرة عالٍ ثم رأى ذلك الشيء يركض صوبهم كالريح، لم يشعر بأي شيء بعد تلك الدفعة التي أصابت صدره بقوة لتسقطه على ظهره بعيدا للخلف، سمع صوت شيء كالسيف وصوت زمجرة ثم شعر بالرؤية تسود أمامه بالتدريج، لكن تسللت بعض الأصوات على الرغم من ذلك لسمعه، فقد ازداد صوت صليل السيف حتى بدا كما لو كان أكثر من سيف واحد، وعلا صوت الزمجرة ثم اختفى فجأة، صاح صوت أكثر خشونة من صوت الشخص الذي كان ممسكًا بفين منذ قليل:

"أنت في منطقة محظور التواجد بها، باسم الأمير ميستريو ارمِ سلاحك فورا"

"حسنا، لكن ساعدوه، إنه الأمير فين» ثم صارت الأصوات مبهمة هي الأخرى.

***

[15]
حياة أخرى

لم يعد هناك مزيدٌ من الحياة منذ الدرب القاحل ولا أي شيء آخر، لا أشجار، لا عشب، لحسن الحظ مروا بما يشبه المحل الصغير الذي يبيع الأغذية والسلع للبؤساء الذين يسافرون عبر الدرب القاحل، وكذلك يوجد تفرع من النهر صغير يكفي لإرواء عطشهم وعطش الفرس، وعلى الرغم من ذلك التفرع لا توجد حياة إطلاقا، ماذا حدث في هذا المكان؟! هل كان بشعا لذلك الحد، قرأت كثيرا عما أصاب هذا المكان، لكن لم تحسب أنه سيكون أسوء مما ذكرته الكتب أو حتى بسوء ما بالكتب، تخيلت أن ربما الحياة قد عادت له بشكل أو بآخر وإن الحرب مع إخوة الظل لم تتسبب في هذا الخراب، ترى كيف كان هذا المكان قبل أن يطأ الشعبان هذه الأرض ويقررا أنهم سيأخذونها عنوة؟ فكرت لوهلة ربما إخوة الظل لم يكونوا بذلك السوء، فهم لم يفعلوا شيئا سوى الدفاع عن أرضهم من الغزاة، لكنهم خسروا كل شيء، لا أحد يعلم حتى ماذا حدث لهم ليختفوا تماما بهذا الشكل، حصدوا انتقامهم بالمرايا لكن أين هم الآن؟! ربما جدر بهم الاستسلام فحسب، ربما لظلوا على قيد الحياة حتى الآن، من يدري؟

"ليليس"

قاطع صوت العالم ران أفكار ليليس، أشاحت بنظرها عن الفرس الذي كان يروي عطشه بنهم ناظرة للعالم باستفهام.

"إنها ثالث مرة أناديكِ فيها"

يا لغبائها لقد هامت بخيالها مجددا، تشعر في بعض الأوقات أن أصغر الأفكار فحسب، ستقود تفكيرها لأسئلة وتحليلات لا تنتهي لتنسى كل الموجودات من حولها تماما وتصير في عالم مختلف تماما.

"آسفة للغاية أيها العالم، لقد.. كنت أفكر فحسب"

"لا بأس، هل ارتوى الفرس؟"

نظرت للفرس الذي كاد ينهي شربته ثم أردفت وهي تتجنب النظر إلى عيني المعلم:

"أأأأ.. أحسب ذلك"

"حسنا، فلنكمل السير واحرصي على أن يتبعنا"

"حسنا، أأ.. كيف حال قدمك الآن؟"

تساءلت وهي تتجه للفرس وتمسك بلجامه لتحركه جوارها،

كانت قدم المعلم قد جُرحت بخنجر ذلك الشخص الذي حاول الفتك بهم في الدرب القاحل، لكنها قامت بتضميدها حسب تعليماته بما توفر لديهم.

"تؤلم لكني لن أموت"

شعرت بقلبها يعتصر لمجرد التفكير في آخر كلمة قالها المعلم، لكنه على ما يرام، أعادت تلك الخاطرة الاطمئنان لبالها، أخذت تتساءل متى سيصلون لوجهتهم وتنتهي كل تلك المتاعب؟ لم يتبقَّ كثيرٌ حسب ما قاله المعلم، وقد أراد أن يريح الفرس قليلا من ثقلهما، لذا وجد أنه من الأفضل ألا يركباه حاليا، هذا الفرس قوي حقا لأنه تحملهما وهو يقتات كل تلك المدة على أقل القوت، فهي تشعر أن دهرًا قد مر منذ حادثة الدرب القاحل تلك، منذ هروب الحارسان وتركهما للموت مما اضطر المعلم لترك العربة التي احتوت على أغلب الطعام كي يستطيعا الفرار من ذلك الشخص الذي أراد قتلهما، الحارسان الآخران أحدهما مات على يد ذلك القاتل، والآخر لا تعلم ما أصابه، ربما هو من أنقذها من الذئب. لذا أراد المعلم الوصول لوجهتما سريعا، والتخلص من ذلك الطريق المشئوم وترتب على ذلك إرهاق الفرس بصورة كبيرة، سارت ليليس الآن بجانب المعلم وبرفقتها الفرس، نظرت له بحزن ثم نظرت للأرض سريعا، هي السبب في كل ذلك، هي من اضاعت أموالهم، هي من كادت ان تقتلهم في الدرب القاحل، لماذا لا يمكنها التوقف عن التسبب في إحداث المشكلات فحسب؟!

ليتها كانت شخصا آخر، أي شخص آخر سواها، تذكرت ذاك اليوم، الذي اشترت به القلادة ذات الزمردة الخضراء كي تسعد المعلم، لكنها حتى ذلك أخفقت فيه، تذكرت كيف استقبل المعلم الخبر وهو يمسك القلادة في يده غير مصدق ما يسمع، ثم يضع القلادة جانبا في أحد أرجاء غرفته ويهرع للخارج دون أن ينظر لها ليتحدث مع الحراس ليجد حلًّا لما تسببت به.

"هل أنتِ على ما يرام؟"

تساءل المعلم وهو ينظر لها بقلق، فنظرت له بغير فهم:

"أتشعرين بدوار أو عدم اتزان مجددا كالذي حدث بتلك الليلة في الدرب القاحل؟"

يا له من رجل صالح حقا فعلى الرغم من كل أخطائها فمازال قلق اً لأجلها.

"أنا على ما يرام، آسفة على ما تسببت في حدوثه"

أردفت وهي تنظر للأرض بعينين شاعرتان بالذنب.

"ما الذي تسببت في حدوثه؟"

تساءل المعلم حائرا، اهتز صوتها بعض الشيء وأجابت

بكلمات متقطعة:

ذكدت.. أتسبب.. بمقتلك، إنه خطئي، أنا حقا.. آسفة»

"ليليس لقد أنقذتنِا"

نظرت له بغير فهم! أنقذتهم؟! هذا غير صحيح! غير متوقع!

"لقد قطعت الحبل الذي ربط الفرس بالعربة، لولا ذلك ربما لكنا أمواتاً بالفعل!"

شعرت بالحيرة، كلا إنه خطؤها، فلو كانت أسرع لكانت قدم المعلم سليمة ولم يطعنها ذلك الشخص!

"لكنك طُعنت، جدر بي أن أكون أسرع!"

"لقد كنت مصابة بالدوار، وكنت تهزين وعلى الرغم من ذلك انقذتنا، وأنا أفضل أن تطُعن قدمي على أن أكون ميتا" كلا، كلا، هذا خاطئ!

"لم يفُترض أن أهذي، تلك كانت حماقة مني، أنا.." حتى ذلك الحد قاطعها المعلم تماما:

"آسفة، أليس كذلك؟! لماذا أشعر أنك مصرة على جعل ذلك

يبدو على أنه خطؤك؟! على الرغم من أنك لم تتسببي في أي شيء خاطئ! إلا إذا كنتِ ترين أن إنقاذنا شيء خاطئ؟!»

لم تدر بما تجيب، لكن، أليست هي المخطئة؟! إن المنطق الذي يفكر به المعلم غريب حقا ويشعرها بالحيرة، ظلت تسير وهي تنظر للأرض بعيون واسعة حتى شعرت بالمعلم يوقفها بهدوء:

"ليليس، فلتنظري إليَّ"

رفعت عينيها لتقابل عينيه وهي شاعرة ببعض الرهبة، فهي ليست سعيدة للغاية بتلك المناقشة، سعيدة فحسب بعودة النقاش بينهما، لكن غير ذلك فهي تشعر أن هذا الحوار يربكها، شعرت ببعض العزم في عيني المعلم وهو يسألها:

"لماذا لم تخبريني بما حدث على متن السفينة؟"

صُعقت لذاك السؤال ولتلك الذكرى على وجه العموم، ذلك الفتى وما كاد يفعله، أبعدت عينيها عن عيني المعلم وشعرت ببعض الدموع تتجمع بمقلتيها.

"أتحسبين أن ذلك كان خطؤك أيضا؟ أذلك ما أخبرك به من حاولوا من قبل القيام بما حاول ذلك الفتى القيام به؟!"

نظرت للمعلم بعينين واسعتين شاعرة بالدموع تسقط بالفعل منهما، شعرت بأنفاسها تضيق وبأطرافها ترتجف، ومر بذاكرتها شريط ذكريات طالما حاولت تناسيه، ارحلوا، أرجوكم فلترحلوا فحسب، شعرت بصوتها ينوح بعقلها لتلك الذكريات، صار الآن صوتها يرتجف من فمها وشعرت بأنها على حافة الانهيار، الانهيار والبكاء حتى أخمص قدميها، تماسكي، تماسكي، وإلا سيتم عقابك، أرادت أن تجيب المعلم، أرادت أن ترجوه أن يتوقف فحسب، تريدهم أن يتركوها لحالها، لكن حديثه هذا يعيدهم فحسب، لا تكمل، أرجوك.

"ليليس، ما حدث لك هذا!"

يا للهول، إنه سيكمل! نظرت ليليس للأرض مغمضة عينيها شاعرة بدموعها وبجدارها يتحطم تماما، وبأنها تفقد الشعرة الأخيرة لتماسكها.

"لن يتكرر مجددا، أنا أعدك!"

ماذا؟! نظرت له من بين دموعها بغير فهم ما يعنى، ألن يهينها؟! ألن يضربها؟! ألن يكمل سرد ما حدث لها؟! تعلم أنه رجل صالح، لكن الصالحين أيضا يفعلون ذلك، فالسيدة سوزي كانت امرأة صالحة، لكن عندما أخبرتها ليليس بما حاول أحد المشرفين في دار الأيتام أن يفعله لها، على الرغم من كون السيدة سوزي عطوفة معها، إلا أن رد فعلها كان

صادما؛ فقد لطمت ليليس بقوة عدة مرات مخبرة إياها أن ذلك المشرف رجل صالح، وأنها حسبت أن ليليس فتاة صالحة أيضا، لكنها فتاة قذرة تريد تدمير زواج ذلك المشرف لتتزوجه هي وتترك دار الأيتام، صُعقت ليليس مما فعلته السيدة سوزي حينها، حتى اعتادت على ردود الأفعال تلك، حتى صارت تصدقهم وتتفوه بحديثهم لنفسها إن حدث أي شيء، فبالفعل هي المخطئة، تلك هي الحقيقة فحسب، ما صعقها الآن هو رد فعل المعلم، اهتز صوتها وهي تسأل بدهشة:

"ألن تعاقبني؟!"

دُهش المعلم وأجابها سريعا باستنكار:

"بالطبع لا، ليليس، هم من يستحقون العقاب وليس أنت!" كيف يمكن لأي شخص أن يكون بذاك العطف؟! لابد أنه ملاك وليس بشريّاً كي يعفيها من أخطائها، بل ويحاول التخفيف عنها وحمايتها كذلك!

ربما هو محق في تصديق أنه من نسل الحالمين وأنه يستطيع إعادة قواهم، فكل ما قرأته يؤكد أنهم أكثر الأشخاص عطفا على الإطلاق، عطفهم لا يخالطه أي خصال سيئة، هم الصفوة المختارين كما ذكرتهم بعض الكتب.

"ليليس، لقد انتظرتك أنت أن تخبريني بنفسك، لكنك لم

تفعلي لذا يجدر بي سؤالك، كيف انتهى بك المطاف في دار الأيتام تلك؟ كل ما سمعته منهم أن شخصًا ما تركك أمام ذاك المكان حين كنت بعمر السادسة، ولم يجدوا والديك مطلقا، وأنت حينها ظللت عامًا كاملًا لا تنطقين أو تأكلين أو أي شيء، فقط تتأملين الحائط حتى خرجت من تلك الحالة يومًا ما في أثناء نظرك من النافذة ولمحك شيئا ما"

حاولت التذكر إلا أن الأمر كان صعباً، فهي بالفعل لا تتذكر سوى لمحات قبل أن تكتشف أنها صارت بذلك الملجأ، لمحات من ذلك اليوم حين زارتهم سيدة ذات صلة قرابة بوالدتها، برفقة طفلها الرضيع، لا تذكر ملامحهم حتى، لا تذكر سوى أن الطفل كان صغيرًا للغاية، فيبدو أنه وُلد قبل زيارة السيدة تلك بفترة قصيرة، سارت الأمور على ما يرام حتى دق الباب، وذهبت تلك السيدة لتفتحه، بينما ظلت ليليس ووالدتها بالغرفة، ثم سمعتا صراخًا، فقامت والدتها بإخفائها أسفل الفراش سريعا، لكن الخشب كان غير سليم للغاية، تذكر ذلك جيدا، فقد استطاعت رؤية والدتها عَ بْره، وآخر ما أخبرتها به والدتها هو ‹مهما حدث، مهما رأيتِ لا تفتحي فمك، لا تتحركي، ابقي مختبئة فحسب› ثم لا شيء، لا شيء حتى رأت تلك الشابة من نافذة الملجأ، لم تستطع رؤيتها جيدا، لكن حينما لمحتها للمرة الأولى، حسبت ليليس أنها والدتها، لكن الشابة اختفت ولم ترها ليليس مجددا، أما باقي الذكريات مفقودة كما لو أن بموضعها فجوة ما، حتى إن ما تذكره لم يكن كله موجودا دوما، فقد استرجعته تدريجيا بمرور الزمن.

"لا أذكر حقا أيها المعلم، لا أذكر سوى وجه والدتي المرتعب." أجابت بحزن، لم يعقب المعلم ولم تدرك أهو ينظر لها أم لا، فقد ظلت تنظر أرضا، وهي تتساءل بألم عما قد أصاب والدتها.

"أتعتقد أيها العالم أنها رحلت وتركتني أم أن شيئا آخر قد حدث؟"

همست شاعرة بثقل السؤال.

"لست خبيرًا بتصرفات البشر، لكني واثق أن ليس هناك أمٌّ سليمة العقل قد تفعل ذلك وخاصة إن كنت أنتِ ابنتها.." نظرت له بغير فهم فنظر لها بدوره متسائلا:

"تذكرين حينما اقتربت السفينة من المرسى، وسألتك لماذا تعتقدين أني اخترتك لتصيري مساعدتي؟!"

تتذكر ذاك اليوم، قد كانت الشمس ساطعة واجتمع المسافرون على سطح السفينة منتظرين الوصول للبر، تتذكر كذلك ذلك الفتى الثعبان واقترابه منها وعيناه تملؤهما الشر، لولا مجيء المعلم، لا تدري ما كان سيحدث، حاولت عدم التفكير في ذلك والتركيز على إجابة السؤال، أومأت ببطء.

"أخبرتني حينها أنكِ تدرين الإجابة، "

أجل إنها تدري الإجابة لأنها في الأصل من هذه الأرض، وتستطيع الكتابة والقراءة.

"ما الإجابة إذن يا ليليس؟"

"لأني في الأصل من هنا وأقرأ كثيرا وأستطيع الكتابة"

نظرت له منتظرة تأكيد إجابتها، لكنها شعرت بالحيرة حين وجدته يضحك مستنكرا:

"هل تفوهت بشيء خاطئ؟!"

"ليليس أنت تدرين أن شبه الجزيرة شهيرة بالعلم والعلماء، وفي الغالب كلهم يتم تعليمه فيها القراءة والكتابة، ربما فقط أقصى أطرافها الشرقية هي من يسود بها بعض الفقر والجهل، وذلك بسبب غارات جزر راندوس المتكررة وتركيز حكام شبه جزيرة لونا على تجنيد من يعيش بتلك المناطق، وجعلهم جنودًا بحريين لصد تلك الغارات، كذلك فأغلب الأموال تستخدم في المنطقة الشرقية في الحماية من تلك الغارات، ليس كأغلب أنحاء شبه الجزيرة حيث الاهتمام الأول يكون بالتعليم".

هذا حقيقي؛ فالغارات تتكرر دوما، ولولا أن أغلب السكان هناك جنود بحريين بالفعل بالإضافة للجنود الذي يبعثهم

الإمبراطور والحمايات المتعددة، لحل الدمار تماما في المنطقة الشرقية.

"لقد نشأت في مدينة العلم والعلماء يا ليليس، رأيت كمّ العجائب التي تحتويها وكبرت محبا للعلم أكثر من أي شيء آخر، لم أكن من أبناء الصفوة، لكني كنت مساعد عالم مدهش لديه من العلم ما يكفي لتثقيف بلاد بأكملها، عرفت من دراستي معه عن الحضارات القديمة وأحببتها بشدة وخاصة حضارة الحالمين، تمنيت دوما أن أستطيع اكتشافها بصورة أفضل حيث توجد، وأن أصير عالمًا بحق، لكن الأمر لم يكن سهلًا، فعلى الرغم من اهتمام شبه الجزيرة بالعلم، فمازال أبناء الصفوة يحصلون على المناصب أسرع، لا يحصلون عليها إلا لو استحقوها، لكنهم إن استحقوها بالفعل يحصلون عليها أسرع من العاديين، عملي مع العالم أفادني كثيرا، وبعد موته بقليل من الوقت استطعت الحصول على لقب عالم والوصول لبداية طريقي، ربما كان متأخرا بعض الشيء لكنني وصلت أخيرا، تبقى لي فقط الحصول على مساعدٍ لنفسي، كان بوسعي اختيار أي شخص، كثيرٌ حتى من أبناء الصفوة جلبوا أبناءهم لجعلهم مساعدين لي، لكني لست أنا العالم الذي يجلس على مقعده ويستقي معرفته فحسب من كتب لعلماء آخرين، أو أنا الشخص الذي يكتب كتباً جديدة معتمد فيها على ما وجده شخص آخر، لذا لم أرد أي مساعد فحسب، أي مساعد يعتقد أنه سيحضر لي بعض الكتب ثم يذهب ليستلقي في منزل والده الفاخر"..

تنهد المعلم ثم أكمل:

"علمت أن إيجاد مساعد ستكون المهمة الأصعب، عشت عمرًا طويلًا أجمع كل ما تعلمته في حياتي وعلمت أن من سيحمل ذلك العلم والمعرفة من بعدي يستحق أن أبحث عنه جيدا حتى إن تطلب ذلك بعض الوقت، فذلك أفضل من أن أسلم علمي لشخص سيضيع كل ما جمعته في عمرى بأكمله لأجل حياة أسهل أو أموال أو شهرة، لذا جُبت شبه الجزيرة كلها بحثا عن شخص مناسب لتلك المهمة، حتى قادتني قدماي في النهاية للمنطقة الشرقية، ولدور الأيتام بها، علمت أن الجهل والمعاملة السيئة تسودان هناك، حين سألتك لماذا تعتقدين أني اخترتك أنت، أخبرتك بعدها أن تلك الأرض التي نطأها تعرضت لكمٍّ حروب ودمار لا يحُصى، لكن على الرغم من ذلك مازالت صامدة».

نعم، تتذكر ذلك، لكن ما علاقة ذلك بما يخبرها به الآن؟

"وهذا ما وجدته في فتاة تعرضت لصفعات الحياة منذ صغرها، لكنها لم تستسلم ووجدت ملاذها في المعرفة والعلم"

عمن يتحدث؟! أيتحدث عنها هي؟! شعرت بعينيها تتلألأ بالدموع مجددا، لم تدرِ أتلك المرة لتذكرها ما أصابها في الماضي، أم لأنها لأول مرة في حياتها تشعر أن تحملها ما أصابها قد يكون ذا مغزى وأن شخصًا ما يرى أن ذلك يجعلها

مميزة دونا عن أشخاص أفضل منها بمئات المرات.

"وحينما صارت تلك الفتاة مساعدتي، اكتشفت أنني إن صار لي عائلة في يوم ما لتمنيت أن تكون لي ابنة مثلها، ذكية وعطوفة وجميلة وقوية"

أردف المعلم ناظرا لها بعطف، لم تصدق ما تسمعه، هو يتمنى أن تكون له ابنة مثلها؟! هو يظن أنها ذكية وعطوفة وجميلة وقوية؟! نظرت بينما الدموع مازالت بعينيها وشعرت بصوتها يخرج مهتزا أشبه بالهمسة:

"حقا؟!"

"حقا"

أجابها وهو يربت على كتفها بلطف، ثم أكمل:

"والآن أريدك أن تحاولي نسيان كل ما تعرضت له سابقا، فلن يتكرر أبدا سأحرص على ذلك، عندما ننهي هذه الرحلة سيتغير كل شيء للأفضل، لن تعودي لدار الأيتام تلك، وستبدئين حياة جديدة سعيدة، أعدك بذلك"

فتحت فمها وعينيها بشدة غير مصدقة:

"أت.. أتعني..؟!"

"أعني أنك ستصرين مساعدتي الدائمة، وليس لفترة من الزمن فحسب، ولن تعودي لذلك المكان مرة أخرى"

شعرت أنها تحلم، أرادت عناق المعلم بشدة، أرادت الصياح بأعلى ما لديها وإخبار العالم كله أنها لن تعود لذاك المكان مرة أخرى! أجل لن تعود! ستصير حرة! ستصير سعيدة! وستصير مساعدة العالم الدائمة! ولن تعود لذلك المكان أبدا! أخذت تكرر تلك الجملة في رأسها مرارا لتصدقها، كانت الابتسامة على وجهها أكبر ما تكون، وظلت الدموع كما هي لكنها دموع السعادة، ابتسم العالم لها وأخرج شيئا من حقيبته ثم وضعه في قبضة يدها، نظرت للشيء ذو الملمس المعدني لتجده القلادة ذو الزمردة الخضراء التي ابتاعتها من ذلك الفتى الذي خدعها في (ليس الكبرى) كانت بالية بالفعل، لكن ظلت الزمردة بلونها الأخضر، ظنت أن المعلم تخلص منها أو أنها ضاعت حين هربا لكن يبدو أنها كانت بحوزته كل ذلك الوقت، نظرت ليليس له بتساؤل ليجيبها:

"حينما أخبرتني بما حدث ذلك اليوم كنت سأشتاط غضبا، لكنني حين رأيت لون الزمردة وشكلها ذكرتني بالرسومات التخطيطية التي رأيتها لمقر الحالمين وما قرأته عنهم، كانت تغطي الجواهر الخضراء مقرهم، فاللون الأخضر يدل على الخير والحياة الجديدة المشرقة، وقد آمنوا بأن ذلك هو مغزى

وجودهم في الكون، ضمان الحياة الخيرة للآخرين، على الرغم من كوني عالما إلا أنني أؤمن بالإشارات، وحينما رأيت تلك القلادة شعرت أنها تدل على شيء ما بخصوص الحالمين لذا تمسكت بها"..

ضحك المعلم ثم أكمل:

"لكن جزء العالم تمكن مني ليخبرني أن ذلك هراء، لكنني وددت أن تظل القلادة ذات مغزى، لذا أريدك أن تبقيها، كإشارة على أنك ستحصلين على السعادة، ستتركين حياتك السابقة وتحصلين على حياة أخرى"

***

لم يستغرق منهم الأمر سوى بضعة ساعات أخرى من السير حتى وصلوا أخيرا لوجهتهم (لوستيا) أقرب قرية لمقر الحالمين، وقد تعتبر أيضا الأقرب للحدود مع النصف الجنوبي من القارة، صغيرة هي، لا تبدو كباقي الأجزاء التي رأتها من قبل في تلك القارة، فكل ما رأته هو الأشجار والزهور والجمال في جميع الأنحاء، ويعود الفضل الأكبر في ذلك لآبار الحياة المنتشرة في كل أرجاء القارة خاصة في ليس الكبرى لكن منذ الدرب القاحل ويبدو أن أيةَّ حياة رحلت، أو بالكاد ظلت موجودة كما في تلك القرية، على الرغم من ذلك يحيط الجنود بكل أرجاء تلك القرية كما لو أنهم يحاولون حماية

كنز ما؛ ذلك بالطبع لوجودها بأقصى الجنوب على مقربة من الجزء الجنوبي للقارة، فقد قرأت عن العداوة القائمة بين الشعبين الأحمر والأصفر وبين ممالك السحرة الواقعة بالجزء الجنوبي من القارة، لتقديس تلك الممالك للسحر كما يظهر من اسمها، قرأت قليلًا أيضا عن تلك الممالك، وكم يعتبرون السحرة هم حكام الأرض الفعليون، بينما باقي البشر ليسوا سوى خدم لهم، نظامهم يعتمد على الطبقية، كما أن العبودية شيء طبيعي للغاية في تلك الأرجاء، لا يعتبرون النساء سوى خادمات أو عاهرات، ويهتمون للغاية بتجنيد الأطفال منذ صغرهم وتعريضهم لأسوء الظروف؛ حتى يستطيعوا الدفاع عن السحرة وحمايتهم حين يكبرون، ظنت ليليس أن ثقافتهم مريبة بعض الشيء مقارنة بثقافات أخرى كشبه جزيرة لونا على سبيل المثال، يوجد بقرية لوستيا عديدٌ من الأماكن لقضاء الليلة، لكن المعلم بدا غير شغوف بذلك لسبب ما لم تفهمه ربما هو عدم توافر كثيرٍ من المال المتبقي لديهم، لكن في النهاية لم يكن أمامهم خيار سوى قضاء الليلة في أحد الأماكن المخصصة لذلك نظرا لإجهادهم ولتأخر الوقت، اختار المعلم لذلك مكاناً يوجد بأقصى القرية لكي يصبحا أقرب ما يكون لأنقاض مقر الحالمين، ليستكملا رحلتهما صباحا حيث بدا أن المعلم صار منعدم الصبر ليصل لوجهته، خاصة بعد كل ما مروا به بتلك الرحلة الغريبة، في أثناء ذهابهما لغرفهما قاطعت طريقهما سيدة ما.

"أهلا بكما"

"أهلا"

أجابها المعلم بابتسامة مجاملة.

"عيون خضراء؟! لا يبدو أنكما من الأرجاء"..

أردفت السيدة وهي تنظر لليليس ثم أكملت:

"هل أنتما من شبه جزيرة لونا؟" أومأ المعلم.

"يسرني حقا مقابلتكما، أنا أدعى روزالين وأنا مالكة هذا المكان، أتمنى لكما إقامة سعيدة" بدت لطيفة بعض الشيء.

"نشكرك حقا" أردف المعلم باقتضاب.

"هل لي أن أتعرف إليكما؟!"

"أدعى ران، أنا عالم في الحضارات القديمة من شبه جزيرة لونا، وتلك هي مساعدتي ليليس"

قال المعلم مشيرا لنفسه ثم لليليس.

"امم عالم في الحضارات القديمة هذا رائع، وتلك هي مساعدتك؟ مرحبا ليليس، أنتِ بديعة الجمال حقا! أتعلمين

ذلك؟!" ابتسمت ليليس بخجل بعض الشيء وهمست:

"أشكرك، سيدتي"

"لكنك تبدين هزيلة وباهتة، ألا تأكلين جيدا يا حلوتي؟"

لم تدرِ بما تجيب، لطالما بدت بهذا الشكل فحسب، رد المعلم عوضا عنها وبدا عليه الاستياء:

"أخشى أنه تمت سرقتنا"

"أهذا صحيح؟! أتحتاجون لأيةً مساعدة؟ أتحتاجين لأيةً مساعدة يا حلوتي؟"

"كلا، نشكرك، والآن اعذرينا فكلانا مجهد للغاية"

أردف المعلم سريعا دون ترك فرصة لليليس بالإجابة، ثم سار مبتعدا برفقتها، لم تمر سوى بضعة ثوان حتى وصلا لغرفهما، وحدث أمر غريب حينها، فقد أوصلها المعلم لباب غرفتها، وهو شيء لم تعتده من قبل، حيث يذهب دوما مباشرة لغرفته في أي مكان ذهبا إليه.

"ليليس، لن نمكث في هذا المكان سوى الليلة فحسب، أريدك أن توصدي بابك ولا تفتحي لأي شخص! كما أريدك ألا

تتحدثي مع السيدة روزالين تلك إذا صادف ورأيتها مجددا قبل رحيلنا!"

بدا المعلم حازما بنبرته، لم تفهم ما يحدث لكن بلا شك أصابها القلق، أومأت سريعا دون أن تفهم حقا ما يدور.

"الآن اذهبي، سأراكِ غدا في الصباح الباكر، سأنتظرك أمام غرفتك"

"لكن أنا من ينتظرك أمام غرفتك دوما أيها المعلم، أتخشى أني سأتأخر في الحضور؟!"

"كلا، فقط، لا تخرجي حتى تجديني أمام غرفتك، مفهوم؟"

"مفهوم"

"ليلة سعيدة"

"ليلة سعيدة"

لم يتحرك المعلم من مكانه، بل أشار لها بعينه أن تدخل لغرفتها، ولم تسمع خطوات قدمه تسير مبتعدة حتى دخلت وأغلقت الباب من خلفها، ما الذي يحدث؟! تثق به لكن تصرفه ذلك يصيبها بالقلق حقا، لا يهم الآن ستفعل كل ما

أمرها به فحسب.

كانت الغرفة صغيرة الحجم كالمعتاد، ليس بها سوى فراش ضئيل بجواره طاولة صغيرة أعلاها شمعة مضاءة وأيضا كرسي متوسط الحجم، جرَّت ليليس الكرسي جهة الباب ووضعته أمامه بإحكام، فلم يخطر ببالها طريقة أخرى لغلق الباب، ثم اتجهت للفراش وتمددت أعلاه، كان شبه مهشم وتأكدت ذلك حين سمعت صوت خشب ما ينكسر حين تمددت أعلى الفراش، بوزنها هذا! على الأقل فهذه الغرفة أفضل من غرفة السفينة، تركت نور الشمعة مضاءً فهي تخاف الظلام، أخذت تفكر وهي تنظر لأعلى عن شكل حياتها بعد انتهاء كل ذلك، جالت بخيالها لمدينة العلم والعلماء بشبه جزيرة لونا، تلك المدينة التي لا تخفت أنوارها أبدا، ذات البلاط المرصوف في جميع أجزائها، والأبراج الطويلة التي تصل حد السماء، تشبه رائحتها رائحة الأوراق القديمة والتوت البري، إنها رائعة، ستمكث بها كثيرا؛ فهي ستكون مساعدة المعلم الدائمة! ربما قد يسمح لها بالبحث عن والدتها؟! تساءلت بدهشة وسعادة، سرعان ما تلاشى ذلك لتفكيرها بأن ربما ذلك لن يحدث أبدا، لكن المعلم مختلف، ربما إن عملت بجد فقد يوافق؟ ابتسمت للخاطرة واحتضنت نفسها مغلقة عينيها وللمرة الأولى منذ فترة طويلة لم تشعر بالخوف، فهي تعلم أن المعلم سيحميها، تسلل النعاس لعينيها ونامت سريعا حيث لم تؤرق نومها أي كوابيس تلك الليلة تحديدا، حل الصباح التالي ومر عليها المعلم أمرا إياها بأن تلحقه بالدور السفلي كي يرحلا، لم تمر

سوى بضعة دقائق حتى خرجت من الغرفة متجهة لأسفل حيث يوجد المخرج، ثم سارت مباشرة نحوه حيث ينتظرها المعلم، لكن شخصًا ما أوقفها مناديا باسمها، نظرت جهة الصوت لتجدها السيدة روزالين تتجه نحوها ثم تقف أمامها محيية إياها:

"ما أخبارك يا حلوتي؟"

لم تدر ليليس ماذا تفعل تشعر أنها سيدة لطيفة لكن المعلم حذرها ألا تتحدث معها مجددا، لكنها لم ترد أن تكون فظة:

"على ما يرام، أشكرك"

"إلى أين تذهبين في هذا الوقت المبكر؟" تساءلت السيدة فابتسمت ليليس مجاملة:

"راحلة"

بدا الاندهاش على وجه السيدة:

"راحلة؟! ألم يعجبك المكان؟!"

شعرت ليليس بعدم الراحة تريد الذهاب فحسب كي لا يغضب المعلم منها لمخالفتها أوامره.

"أأأأ.. المكان جميل للغاية، إنها أوامر المعلم فحسب، أن نرحل الآن"

"لماذا تطيعينه يا حلوتي؟!"

ما هذا السؤال؟! لم تدرِ حتى بمَ تجيب، بدا سؤالا غريبا للغاية، تغيرت نبرة السيدة قليلا مكملة:

"أتدرين إن كان الأمر بشأن المال، فيمكنني أن أعرض عليك العمل لدي وأيا كان ما يدفعه لك سأزيده"

اندهشت ليليس، كلا إنه ليس بشأن المال! عمَّ تتحدث؟! إنها تدين للمعلم بكل شيء جيد في حياتها، إنه السبب في أيةً سعادة عاشتها من بعد والدتها! إنها تحبه وتحترمه للغاية وتزداد كل يوم علما بسببه! أحيانا تشعر أنه لا توجد كلمات كافية لتعبر بها عن مدى امتنانها له، خاصة بعد آخر حديث دار بينهما قبل الوصول لهذه القرية، ثم عن أي عمل تتحدث تلك السيدة؟! قبل أن تجيب، اخترق أذنها صوت المعلم يناديها من الخارج وهو ينظر جهتها، لذلك عوضا عن إجابة السؤال حاولت إنهاء المناقشة تماما:

"أأأأ.. أعتذر يجدر بي الرحيل"

"كما تشائين يا حلوتي، لكن فكري بعرضي إذا أردتِ"

أومأت ثم خرجت سريعا قبل أن تسألها السيدة شيئا آخر ووصلت للمعلم الذي نظر لها بعتاب، ثم هز رأسه باستنكار مشيرا لها بالمضي برفقته.

"ماذا أرادت؟" سألها باقتضاب.

"لا شيء، كانت تتمنى، أن المكان قد أعجبنا فحسب" ردت سريعا متجنبة النظر له.

"هذا فحسب؟!"

تساءل بنبرة غير مصدقة فأومأت ليليس سريعا بتوتر:

"حسنا، ربما جدر بي أن أكون أكثر وضوحا من قبل" انتبهت له غير مدركة عما يتحدث، أكمل المعلم:

"ليليس لم أرد المرور من قبل بهذه القرية لأنها.. لنقل يتم بها عديدٌ من المعاملات البذيئة، لذلك أيا كان ما أخبرتك به تلك المرأة، فلا تثقي بكلامها! فأنا واثق أن نواياها تجاهك غير حسنة، خاصة لاختلاف مظهرك عن باقي سكان هذه الأرجاء، فالناس يملون المعتاد ويريدون ما هو مختلف"

ماذا؟! ما الذي يعنيه بكل ذلك؟! هل كانت تنوي تلك

السيدة أن تؤذيها بصورة ما؟!

"لكن لا تقلقي، فغالبا لن نمر من هنا في أثناء عودتنا، أردتك أن تعرفي فحسب، يجدر بك أن تكوني أكثر حرصا في أثناء تعاملك مع الناس!"

أومأت بتفهم شاعرة بسذاجتها، سرحت بخيالها كعادتها لتنسى الدرب والموجودات من حولها وكل شيء، ويصير جسدها ممتطيا الخيل خلف المعلم وهم راحلين لوجهتهم قاطعين سبل القرية، فسبل تلك الأراضي التي كانت غابة يوما تحيط بمقر الحالمين، لكنها الآن ليست سوى مسطحات بالكاد خضراء، تتخللها بعض الأشجار، لكن أفكارها كانت تهيم بمكان آخر أو يجدر القول بأماكن أخرى، ما الذي أرادته منها تلك السيدة روزالين؟ ماذا سيجدون في أنقاض مقر الحالمين؟ كيف ستصير حياتها بعد كل ذلك؟ تخيلات لامتناهية تمر أمام عينيها مع نظرها للسماء والأشجار وتلك الزهرة الصفراء، خُيل لها أنها رأت زهرة بذلك اللون، لكن أليست الأزهار الصفراء لا يتم زراعتها في المملكة الغربية؟!

"أخيرا!"

هتف المعلم بلهفة، فنظرت أمامها لتجد تلك الأنقاض على مرمى البصر، حث المعلم الخيل على الركض بأقصى ما لديه حتى انتاب ليليس بعض القلق من سرعتهم غير الضرورية

تلك، فقد بدا أن المعلم قد نفد صبره تماما، لم تمر سوى بضع دقائق حتى وصلوا أمام تلك الأنقاض التي لم تستطع تمييز معالمها قبل وصولهم نظرا لتركيزها على التشبث بالمعلم وعدم السقوط من أعلى الخيل، ترجل المعلم من أعلى الفرس سريعا وتبعته هي متأملة ما كان مقر الحالمين يوما ما، مهولة، شاسعة، لكنها في النهاية أنقاض، هذا ما خطر ببالها وهي تنظر لما بدا أنه كان في يوم أشبه بعدة قصور واسعة مجتمعة سوية في غابة منعزلة عن العالم، لكنه الآن ذكرى لما كان فحسب، كانت هناك بعض الزخارف والنقوش على المبنى من الخارج، لكنها لم تحدد أيًا منها، عبرا أسوار تلك القصور ليسيرا بتلك الحدائق الشاسعة المحيطة بأنقاض مقر الحالمين، رأت بها بعض التماثيل الصغيرة المهشمة التي لم يعد يبدو أثرًا لها، على الرغم من دمار هذا المكان إلا أن الطبيعة بداخل تلك الحدائق بدت جميلة حقا، ليست باهرة الجمال كأراضي (ليس الكبرى)على سبيل المثال، لكنها تدب ببعض الحياة عكس الدرب القاحل والأراضي التي تليه، حتى إنها رأت بعض السناجب تجري بالأرجاء، إن هذا موقع مدهش لقصر ملكي أو معقل أو ربما حتى قلعة حربية إذا تم عمل بعض التعديلات له، لكن الشعبين تخلوًا عن هذا المكان تماما وتركوه مهجورا بسبب ذعرهم الجم من السحر، أكملت السير خلف المعلم الذي بدا أكثر تلهفا مع كل دقيقة لاكتشاف هذا المكان، رأت ما يبدو بالجوهرة الكبيرة الخضراء في مدخل المبنى الذي هو عبارة عن باب ضخم حقا، حسبت أن شعورها حينما ترى تلك الأنقاض للمرة الأولى سيكون الرهبة

والانبهار، لكن الواقع هو أنها لم تشعر سوى بالحزن يجتاح أوصالها، لا تدري لمَ تشعر دوما بالحزن حينما تقرأ أو ترى أي شيء كان يخص إخوة الظل، مسبقا تشعر أن قصتهم مأساوية للغاية، والآن هذا هو حال من سُموا بالصفوة منهم، هذا هو مصير الحالمين، البلاء والنسيان، بل ورؤيتهم على أنهم لعنة ما على الرغم من كل ما كُتب عنهم وعما فعلوه لأجل تلك الأرض، بل إنهم حتى لم يشاركوا في الحرب بين إخوة الظل والشعبين الأحمر والأصفر، كي لا يتسببوا في مقتل أي روح، تنهدت ليليس وتبعت المعلم في أثناء دخوله من ذلك الباب الصخري الضخم الذي بدا مشابها للبوابة، لحسن الحظ إنه كان شبه مفتوح بالفعل، فلا تدري إن لم تكن تلك هي الحال كيف كانوا ليفتحوه؟! كان المكان واسعا بالداخل بحق، امتلأ بالرماد، البرك الصغيرة الراكدة والأحجار التي تشبه الجواهر الخضراء مثبتة داخل الجدران لتعطي إضاءة خضراء في المكان كله كما لو أنها أشعة خضراء تنبعث من كل حجر من تلك الأحجار.

"أتلك هي الجواهر الخضراء التي حدثتني عنها أيها المعلم؟" توجهت للمعلم متسائلة، لكنه لم ينتبه لها، بل أكمل سيره ليستكشف باقي المكان، سارت خلفه لكنها لمحت شيئا ما، شعرت بالذعر ينتابها، لكنها اقتربت لتتأكد من شكوكها، شهقت عند اقترابها للغاية مبعدة نظرها لتجد مزيدًا مما أفزعها من قبل موجودا في جميع الأرجاء، أصابت الرعشة أوصالها وركضت حيث اتجه المعلم سابقا تناديه بهلع:

"أيها المعلم! أيها المعلم! لقد وجدت" ..

توقفت عند مدخل قاعة واسعة حين وجدته جاثيا على ركبتيه فيبهو تلك القاعة ممسكا بعظام شخص ميت بحزن.. كانت القاعة أشبه بالمكتبة، لكنها مخربة تماما، لم يتبقَّ منها سوى بقايا كتب محروقة أو ممزقة، دُفنت تحت طبقات من تراب السنين، وعلى مثيل ما ركضت بسببه ليليس من قبل احتوت القاعة على عدد من عظام الموتى مجهولي الهوية.

"لقد تم قتلهم" ..

أردف المعلم بصوت هامس، أمسك المعلم أحد الكتب الممزقة ثم وقف وهز رأسه باستنكار:

"أهذا هو حال حضارة كانت منبع الخير لمئات السنين؟!" تساءل غير مصدق، همت بالرد لكنها صمتت سريعا، فلم ترد أن تتفوه بأي حديث غير متعاطف حتى دون عمد؛ فقد بدا المعلم منفطر الفؤاد، لكن حتى إن قتُلوا، فكيف لعظامهم أن تظل موجودة وألا تتحلل؟!

أذاك بسبب سحرهم أم بسبب شيء آخر؟ تساءلت ليليس. عم الصمت قليلا حتى تنهد المعلم واضعا الكتاب جانبا، وسار لخارج القاعة مجتازا ليليس:

"لنكمل ما جئنا لأجله"

تبعته ليليس، في هذه المرة سار مباشرة لمركز المقر دون استكشاف أي غرف أو قاعات أخرى بدربه، مما أربك ليليس فهي تعلم أنه أراد معرفة كل ألغاز هذا المكان؛ فهو بالنسبة له كالأحجية التي طالما أراد حلهًا، لكنه الآن يتغاضى عن كل شيء كما أنه لا يراه فحسب!

"أيها المعلم ألن نلقي نظرة على المكان بأكمله أولا؟!"

"كلا"

أجاب باقتضاب وهو يصعد تلك السلالم باحثا عن المركز الأساسي لتلك الأنقاض.

"لكن لماذا؟! أليس هذا ما أردته؟!" لم يجب لكنه هز رأسه ببطء ناظرا للأرض.

بعد مزيدٍ من الخطوات، وصعود عديدٍ من السلالم، وتجنب كثيرٍ من الأماكن وصلا أخيرا لما بدا أنه مركز أنقاض مقر الحالمين على حسب رأي المعلم، لشدة الغرابة بدا ذلك المكان كأنه لا ينتمي إلى حيث سارا من قبل؛ فهو بأي ظروف أخرى تكاد تجزم أنه سيحتوي على الحياة بصورة أو بأخرى، فعلى الرغم من أنه احتوى على بعض الحطام

والصخور المهشمة، إلا أنه بدا حقا جميل المظهر؛ فهو واسع يحتوي على ثلاث مرايا خلابة المظهر كبيرة الحجم، إحداها بالواجهة، بينما الثانية والثالثة على جوانب القاعة، لم ترَ ليليس أبدا المرايا العظيمة، لكن حسب وصف الكتب، فتلك المرايا مشابهة لها بالمظهر، لكنها أصغر كثيرا بالطبع، فما قرأته أن المرايا العظيمة يصل ارتفاعها حد السماء، أعلى كل مرآة أحد الأحجار الخضراء المشابهة للجواهر التي رأتها عند دخولهم هذا المكان في البداية لكنها غير متوهجة، فلم يوجد ضوء هنا سوى بسبب بعض أشعة الشمس المتسربة من شروخ بالجدران، على الأرض أمام كل مرآة مجرى مائي ضئيل للغاية، يصل في النهاية لمنتصف القاعة، حيث يوجد ما يشبه البئر الذي تصب فيه تلك المجاري المائية، تلك المجاري وذلك البئر كان الماء بهم نظيفاً للغاية بصورة غريبة حقا لا تتماشى مع كل ما عاهدوه حتى الآن بهذا المكان، وذلك أثار عدم الاطمئنان بقلب ليليس، فعلى الرغم من جمال المكان لكن هناك شيئا لا يريحها بذلك التناقض.

بدا على المعلم التفكير بشدة، ثم تنفس بقوة مخرجا تلك الحقيبة الصغيرة التي طالما تمسك بها للغاية ثم أخرج ما بداخلها، كانت قطعة ورق قديمة وشيئا آخر أمسكه بقبضة يده بقوة، لم تستطع ليليس رؤيته، ثم اتجه للبئر في منتصف القاعة، هم بإلقاء ما بقبضة يده بالبئر، لكنه توقف فجأة مستديرا جهتها بوجه شبه مرتبك:

"ليليس، أريدك أن تنتظريني بالخارج"..

دُهشت لما قاله، في الغالب لأطاعته فحسب لكنها لسبب ما خشيت أن يصيبه مكروه ما، تساءلت بحيرة:

"لماذا أيها العالم؟!" تنهد ثم أجاب بحزم:

"لأني لا أريد أن تظلي هنا حتى أنتهي مما سأفعله، فقد يكون خطرا"..

خطرا؟! لم يتحدث المعلم عن أي شيء من قبل بتلك الكلمة حتى عند حديثه عن اتفاقه مع الأميرة دورسيرا الذي ربما يموت إذا لم يتممه!

وصف المعلم شيئا بأنه خطرا الآن أصابها ببوادر الفزع.

"خطرا؟!"

كان السؤال موجه لنفسها أكثر مما كان موجها له، لكنه أومأ متحدثا بصوت جامد:

"أجل خطرا والآن انتظري بالخارج من فضلك"

لكنها لم تتحرك، لم تدر لمَ على الرغم من هذا الخطر الذي

تحدث عنه فقد أرادت البقاء، أرادت البقاء برفقته، نظر جهتها ليجدها بذاك المظهر.

"ليليس، ارحلي"

"أيها المعلم، أنا.. أنا بوسعي مساعدتك فيما ستفعله.. بوسعي.." همست بصوت متوتر؛ فهي لا تريد أن تتركه لذاك الخطر.

"أنا لا أحتاج مساعدتك، أريدك أن ترحلي!"

بدا صوته غاضباً، شعرت بالحرج ولم تدر ماذا تفعل، تنهد المعلم واقترب منها:

"أنا لا أريدك أن تساعديني يا ليليس؛ لأني لا أريد أن ينتهي بك المطاف مثلي، سيكون ذلك أمرًا مخزياً!"

نظرت له بغير فهم، كيف يقول هذا؟! إنه لشرف لها أن تصير في يوم من الأيام مثله أو حتى مقدار ذرة من ذاك.

"أيها المعلم، ليتني حتى أستطيع أن أصير مثلك، ليتني أستحق أن أصير مثلك"..

أردفت بكلمات متقطعة وصوت مستنكر؛ فهي لم تحسب

أبدا أن تسمع شيئا غريب كهذا! ابتسم المعلم قليلا بحسرة ثم أجاب:

"قد تبدو الصورة الخارجية براقة أحيانا يا ليليس، قد يبدو الشخص كاملًا، صالحًا، فرحًا، قد يبدو أن لا غبار يشوبه، لكنها ليست سوى صورة زائفة، عند الموقف الحاسم تتضح حقيقتها، لقد عشت حياتي أبحث في الحضارات القديمة المختلفة، حتى جذبت انتباهي حضارة الحالمين، قرأت كل ما يخصها، وتعمقت بها للغاية حتى صرت أشعر أحيانا أني أحدهم، أني أنا الذي سيعيد مجدهم وحضارتهم الفانية التي لا يعلم أحدا ما أصابها، لقد قطعت درب ا طويلًا يا ليليس حتى أتي هنا، وأكتشف أن كل ما قرأته كان خاطئاً، هؤلاء ليسوا أشخاصًا هاجروا أو رحلوا لمكان غير معلوم، لقد تم قتلهم في عقر دارهم"..

تنهد ثم أكمل:

"بعد ما فعله هذان الحارسان في الدرب القاحل، وتركهما لنا لابد أنهما سيبلغان الأميرة أو يجدر بي القول الملكة دورسيرا بأننا من خن أًهما كي يفرا من العقاب، وحتى إن صدقتنا نحن ولم تصدقهما، فلن تسامحني لعدم إيجاد حلٍّ لمشكلة ابنتها، لأنه ببساطة لا يوجد حل لأمر كذاك.."
شعرت ليليس بالدهشة، لماذا إذن؟! لماذا وافق على ذاك الاتفاق؟!

"لكن لماذا أيها المعلم؟!"

"أعلم سؤالك، لماذا وافقت؟! لأنه كان السبيل الأسهل، السبيل الأسرع، ولأن مع اقترابي للوصول، صرت لا أستطيع الانتظار ولا الصبر كسابق عهدي، صرت أريد الوصول سريعا بأي ثمن! عما قريب سيأتي شخص بمهمة القبض علينا؛ فامرأة كتلك لن تتركنا لحال سبيلنا؛ لذا عليَّ الوصول لإجابات، إجابات لكل ما بحثت عنه في الكتب طويلا لأجد الآن أن كل ما كان بتلك الكتب أكاذيب فحسب، ويجدر بي فعل ذلك سريعا كي نرحل قبل مجيء من ستبعثه الملكة، وعليَّ معرفة كل شيء لأني أعلم أنه لن يكون بمقدوري القدوم مجددا، ولا يوجد حل أمامي سوى استخدام ما ظننت أني أخالفه دوما"..

فتح العالم كفه لينظر لما يمسكه بداخله، ثم أنهى حديثه بما صدمها تماما:

"لا يوجد حل أمامي سوى استخدام السحر الأسود!"

سحر أسود؟! لم تكن ليليس الفتاة المؤمنة بالسحر والأرواح، ولم تكن غير المصدقة أيضا، دوما شعرت بالحياد حين يتم ذكر هذا الكلام، حتى سحر الحالمين صدقت بوجوده فحسب بسبب شغف المعلم بالحالمين وحضارتهم، لكن سماعها ما قاله المعلم لتوه أصابها بالرعب المهول، فالمعلم ليس شخصًا أبلهَ، هو يدري عما يتحدث تماما، أرادت أن توقفه، لم ترد له ذلك

المصير لم ترد أن يضع نفسه بخطر كذاك، وفوق ذلك لم ترد أن يفقد كل ما آمن به يوما.

"أيها المعلم، أرجوك لا تفعل ذلك"..

أرادت أن تجد ما أراده، أرادت أن تفعل كل ما بوسعها كي يسعد فحسب ويتوقف عما سيشرع به، أكملت بصوت مرتبك:

"سـ.. سأبحث في المكان بأكمله، سأحاول، أن أجد حلًّا، أن أصل لما تريد، أعدك، أرجوك تريث فحسب قليلا"

ربت على كتفها وهو ينظر نحوها نظرته الحانية:

"لا أظن أنه إذا كانت لي ابنة كانت ستخشى أن يصيبني مكروه بهذا الشكل"

نظر أرضا ثم عاود النظر لها سريعا، بينما لم تتحرك عيناها من على وجهه، أكمل المعلم:

"لقد صدقتني منذ البداية، صدقتِ ما آمنت به، أريدك أن تنصتي إليَّ هذه المرة أيضا وتنتظريني بالخارج"

"لكن"..

"هل لديكِ حبر وأوراق بحقيبتك؟" تعجبت من السؤال لكنها أومأت.

"جيد، أريدك أن ترسمي شكل تلك المرآة، التي سقطت منك وكُسرت في عاصمة ليس الكبرى"

عمت الحيرة وجه ليليس، ما علاقة المرآة بكل ما يحدث الآن؟!

وكيف عرف المعلم بأمر مرآتها في الأصل؛ فهي لم تذكر هذا الأمر بتاتا.

"لا تحسبيني غفلت عن ذلك؛ فقد بدوت حزينة للغاية بعد رؤيتك لها مكسورة، ارسميها، ربما سنشتري مرآة مشابهة لها حين نخرج من هنا" نظرت للأرض وأومأت، التف المعلم متجها للبئر بعد أن ربت على كتفها مرة أخيرة، نظرت جهته بخيبة أمل، تمنت لو يستدير لها ويخبرها أنه لن يفعل ما يوشك على فعله الآن، تمنت لو يخبرها أن تبقى، لكنه لم يفعل، اتجهت للخارج بخطوات بطيئة، سارت ونزلت السلالم حتى وصلت للمخرج، لكن الغريب على الرغم من بعُد المسافة، إلا أنها سمعت صوت المعلم يتكلم بلغة لم تفهمها، كان صوته عالياً؛ مما أشعرها بالريبة خاصة لشعورها بأضواء الأحجار الخضراء تشع وتخفت تدريجيًاً، خرجت ليليس ناظرة للحدائق أمامها مجددا، فتحت حقيبتها غير ناظرة

لها لتبحث عن قنينة الحبر، جذب انتباهها أحد السناجب الراكضة، لكن في أثناء متابعتها له وبحثها عن القنينة التي أمسكتها بيدها وأخرجتها دون النظر لها، لمحت زهرة صفراء مرمية في الأرجاء، لقد رأتها من قبل، اقتربت ليليس منها لتتأكد أنها لا تهذي، لكنها كانت حقيقية، حقيقية تماما، نظرت لها ليليس بتمعن محاولة تذكر أين رأتها من قبل، ثم شعرت أن صورة ما بدأت تكتمل بعقلها بمرور ذكريات محددة على التوالي بمخيلتها. "شعرت بالتعجب حقا رافعة الزهرة لبصرها أكثر، إنها بالفعل زهرة صفراء أو بنية ربما، لم تستطع الرؤية بوضوح، لكن لطخّها شيء ما، شيء لزج بعض الشيء. أمسك بها المعلم ليساعدها على السير، رفعت ليليس يدها لتسمك بجبهتها فوجدت دماءً على يدها لا تدري ما مصدرها."

"هل أنت مصابة؟"

"كلا"

شعرت بثقل رأسها وبأنها لا تدري ما تتفوه أو بما تفعل، تسير فحسب إلى حيث يوجهها المعلم، ابتسمت ببلاهة مردفة:

"لقد وجدت زهرة صفراء، جميلة حقا"

"عمَّ تتحدثين؟!"

"لماذا قد توجد زهرة صفراء هنا؟!"

"أنت تهذين، لست مرتاحا لتلك الرائحة بالجو، يبدو أنها السبب في ذلك"

شعرت أن صوت المعلم صار أغلظ،

"نظرت ليليس باتجاه المعلم والحارس فوجدت الخيالات السوداء قد عادت مجددا، ولكن تلك المرة أحدها أخذ يقترب ويقترب، حتى رأته في صورة شخص حقيقي، ولكن الظلال أحاطت به، رأته يرفع خنجرًا ويهم أن يطعن به المعلم ران، انتابها الذعر مجددا وأرادت فعل أي شيء لمنعه، لم يكن بوسعها في ذلك الحين سوى رفع إصبعها والإشارة به نحوه بأسرع ما استطاعت، لمح الحارس إشارتها لينظر سريعا لجهة المعلم ثم يدفعه بسرعة جانبا ويبارز ذلك الشخص"

"كتاب تاريخ إخوة الظل الفصل 112: تميز إخوة الظل بأسلوب خاص في القتال، عن طريق استخدامهم سمومًا تشوش رؤية من أمامهم حتى يظفروا به، كادوا يتغلبون على الشعبين بأسلوب القتال ذاك، لولا استعمال الشعبين الأسود، لكن أسلوب قتالهم ذاك دُثر برفقة حضارتهم، أشخاص وحيدون هما من استطاعوا معرفته واستخدامه وهم"..

فتحت ليليس عينيها على مصراعيهما وهي تتذكر تلك

الجملة التي قرأتها بكتاب تاريخ إخوة الظل، وتربطها بكل ما خطر ببالها للتو من ذكريات، «وهم، جماعة الزهرة الدامية القتلة المأجورين»

كان آخر ما تذكرته هي كلمات المعلم. «منذ ظهور المرايا والشعبين الأحمر والأصفر عرفا ما قد يسببه السحر، وصاروا يخشون كل ما يتعلق به ويحرمونه تماما يا ليليس، لذلك يعادون الجزء الجنوبي من القارة، لأن ممالكه تبيح السحر واستخدامه بكافة أشكاله». الشعبان سيفعلان أي شيء لمحاربة السحر المحرم، ومن يستعينون به حتى إن تطلب ذلك الاستعانة بالمحرمات بما فيهم القتلة المأجورين! شخص ما بعث قاتلًا مأجورًا لقتلهما! شعرت ليليس بالبرودة تصيب أطرافها وبأوصالها ترتجف كما لو السماء تثلج.›المعلم› كان ذلك هو ما خطر ببالها، وهي تنظر مجددا لذاك المدخل الكبير أمامها وتهرع لداخله صارخة:

"أيها المعلم!"

لكن بعد دخولها لم تجد ذلك الدرج الموجه لمكان المعلم، فقد صاروا سبعة أدراج، لكن كيف؟! لم تدرِ أيهم يجب أن تصعد، لكن عليها إنقاذه، عليها تحذيره. اختارت أوسطهم وركضت لأعلاه سريعا، بدا طويلا للغاية، لكنها ركضت بكل طاقتها حتى وصلت في النهاية لـ.. غابة؟! ما هذا؟ ما الذي يحدث؟! سمعت أصواتاً مريبة أصابتها بالقشعريرة، لكنها

أكملت السير ببعض التوجس حتى توقفت حينما أدركت أنها بمنتصف بقعة خالية من الأشجار، ويحيط بها ستة مرايا مهولة الحجم، شعرت بأنفاسها ترتجف من كل ما يحدث ذاك، هل تهلوس؟! هل اشتمت تلك الرائحة التي اشتمتها من قبل بالدرب القاحل؟! لكنها لم تسبب ذلك من قبل. عليها أن تصل للمعلم! سارت نحو إحدى المرايا، لكنها لم ترَ انعكاسها، فقد ظهر كل ما حولها إلا هي لم تظهر، بدا انعكاس السماء بالمرآة مختلفاً عما حولها، أخذت تنظر لأعلى حتى ترى نهاية علو تلك المرآة، لكنها وجدت السماء أعلاها قد تبدلت لتصير مشابهة للتي بالمرآة، بينما المرآة تحولت لجدار طوبي بالضخامة والهول نفسيهما، سمعت صوت طفل باكٍ، لكن ذلك لم يكن ما جمد الدماء بعروقها، ليس بقدر ما رأته وأفقدها القدرة على النطق والتنفس تماما، فقد وجدت أنها محاطة بجثث ملقاة بكل مكان، جثث متفحمة، جثث مشوهة وممثل بها، جثث خُلعت أطرافها، دماء بكل مكان، تساقطت دموع ليليس لا إراديا من فرط هول وبشاعة المظهر، لمحت على بعُد طفل ما يبكي، همت أن تناديه لكنها شعرت بمن يمسك بقدمها، لتجد أنه شخص بيد محروقة ونصف وجه محروق يشهق وهو يتساءل بصوت بالكاد يخرج:

"هل أبلينا حسنا؟!"

عند ذلك الحد شعرت بأنها سيغشى عليها تماما من فرط الرعب، أغمضت عينيها بقوة غير مدركة ما يجدر بها فعله،

فلن يأتي حارس في هذه المرة لإنقاذها أو قبطان لنجدتها، أحكمت قبضتها على قنينة الحبر التي كانت مازالت تحملها منذ رؤيتها لتلك الزهرة، لكن تلك لم تكن القنينة، فللمرة الأولى تدرك ذلك منذ كل ذلك الوقت، على الرغم من رعبها، وأطرافها المرتجفة والأصوات التي تهمس في أذنيها وما كان يمسك بقدمها منذ ثوان، وكل شيء يحدث، لم يسترعَ انتباهها في هذه اللحظة سوى ماهية ذلك الشيء الذي تمسكه، وضعت قبضة يدها أمام وجهها ثم فتحتها ببطء تزامنا مع فتح عينيها تدريجيا تجاهها، تأملت تلك القلادة ذات الزمردة الخضراء معيدة لها ذكرى ذلك الفتى الذي خدعها، لكنها أيضا أعادت لها ذكرى جميلة للغاية، حدثت منذ بضع أيام فحسب، لكنها ستظل محفورة بذهنها كأجمل ذكرياتها، ابتسمت لذلك، ثم لمحت ما خلف يدها، لم تكن سوى تلك البوابة الضخمة، المخرج من تلك الأنقاض، فقد اختفت الجثث والطفل والمرايا وكل شيء آخر، لكنها مازالت تسمع الأصوات الهامسة، بل إن أصواتاً أغرب وصلتها، كصوت شيء يصطدم بالحائط بقوة، وأصوات أشياء ما تسقط أرضا، وأصوات لم تستطع وصفها، لم تبدُ أنها تنتمي لهذا العالم، كل ذلك كان خلفها، يمكنها السير فحسب للخارج وستبتعد عن كل ذلك، نظرت للقلادة التي بيدها مجددا، بينما الأصوات تتزايد من خلفها، الخوف، الخوف هو المسيطر دوما، لكن في هذه المرة كان الخوف حيال المعلم، نظرت صوب الباب مرة أخرى مفكرة، كلا! هزت رأسها بقوة متجهة للداخل من جديد وهي تغطي كلتا عينيها بذراعها محاولة تحسس ذراع

الدرج الذي لم تجد سواه في تلك المرة لتستند إليه، شعرت بما يشبه الهواء البارد يصيب أطرافها لكنها لم تتوقف، كانت الأصوات عالية للغاية وشديدة، كما لو أنها حولها تماما، فجأة شعرت بشيء ينكسر وشيء آخر يرتطم بالحائط بقوة، وأشخاص ينوحون بكلمات غير مفهومة، كاد قلبها يتوقف من فرط الخوف، ولكنها أكملت شاعرة بدموع رعبها تنهمر على ذراعها، اركضي! عودي للخارج فحسب! هزت ليليس رأسها، كلا! كلا! بدأ صوت أنفاسها المرتجفة العلو مع الاقتراب أكثر فأكثر، كادت أطرافها تتجمد تماما من زيادة برودة الجو بشكل غير عادي، تستمع لتلك الأصوات التي لا تفهمها وهي تعلو، حتى تكاد تخترق أذنها وتصمها تماما، مزيدٌ مما يكُسر وما يصدم بالحائط بقوة، لكنها أكملت السير وصعود تلك السلالم التي لا تنتهي بصعوبة، لكنها لم تعد تشعر بأطرافها إطلاقا، وصار ألمٌ يجتاح جسدها بشدة بسبب البرودة حتى شعرت بأن جسدها يتقطع إربا وسقطت أرضا متأوهة وهي تلف ذراعيها حول بطنها وهمست بضعف:

"أيها المعلم!"

"ليليس؟"

فتحت عينيها إثر سماعها صوته الوهن ذاك، رأته جالسًا على الأرض مستندا لذاك البئر، وقد صار باهت اللون ذو ملامح منهكة، شعرت أن السعادة قد غمرتها لرؤيته هناك،

سعادة جمعت الدموع بمقلتيها، حاولت الوقوف والذهاب نحوه سريعا متحاملة على آلامها، فهي تريد تحذيره والخروج به آمنا فحسب:

"أيها المعلم، هل أنت على ما يرام؟" تساءلت بقلق وهي تنحني لتصل لمستواه.

"لقد أخبرتك أن تنتظريني بالخارج، لم يجدر بك العودة"..

"علينا الرحيل أيها المعلم، هناك خطر يهدد حياتك"

هز المعلم رأسه باستنكار وهو يضع يده على جبهته ليخفي الحزن البادي على وجهه.

"إن هذا بشع للغاية، ليتني لم.. لم أرَ.."

تحدث المعلم بصوت شبه باكٍ، لم تفهم ما الخطب أو عمَّ يتحدث، لكنها لملمت متعلقاته بإحدى يديها، وحاولت مساعدته على الوقوف بيدها الأخرى فقد بدا ضعيفا للغاية، استند المعلم إليها وهو مازال بحالة نفسية سيئة للغاية، لم تعهده بها مطلقا. سارا بعض الخطوات.

"علينا الرحيل، فإن"..

لم تكمل جملتها حتى أصاب المعلم دوار ما وكان على وشك السقوط، لولا إمساكها به مما أسقط القلادة الخضراء التي ظلت ممسكة بها من البداية.

"تشبث بي!"

حاولت الانحناء والتقاط القلادة من على الأرض ووضعها بحقيبتها سريعا، ثم لمحت ظلًا ما على الأرض، لكنها لم تدرك بعد ذلك ما هذا المكان؟! ولماذا هي موجودة به؟! وبرفقة من جاءت؟! لم تتذكر سوى أن قلادة ما بها جوهرة خضراء سقطت منها، وأنها شعرت أنها يجب أن تحضرها لأنها هامة بالنسبة لها لسبب ما، ثم لمحت ظلًا ما، ثم.. لا تذكر أي شيء آخر، كأن فجوة ما حلت محل تلك الذكريات، فجوة مشابهة لذكرياتها المفقودة حيال ما حل بوالدتها.. حاولت التذكر بينما يحاوطها الحطام والدمار، نظرت حولها فوجدت شخصًا ما مُلقى بعيدا، كلا، كلا، هذا ليس حقيقيّاً، لا يمكن أن يكون كذلك، وضعت يدها على فمها من الفجعة، شعرت ببلل على وجنتيها جراء وضع يدها عليهما، رفعت يدها لعينيها، وجدتها مغطاة بالدماء، انتابتها حالة من الهلع والتقزز في الوقت ذاته، حركت يدها بسرعة لتمسحها في ثيابها لتجد أن مقدمة ثيابها مغطاة بالدماء حتى منتصف بطنها، شاعرة بالهول شهقت وهي تحاول أن تزيل تلك الدماء ولكن كيف؟! شعرت بالدموع تتجمع في مقلتيها وبرعشة يدها الشديدة، وكان قلبها ينبض بشدة.

"لماذا تصعبين الأمر على نفسك لا أدرى؟!"

صعقت لسماع ذلك، كان الصوت يشبه فحيح الأفاعي، نظرت حولها بهلع في كل ركن وكل موضع، لكنها لم تجد أحدًا فقد كان المكان واسعا للغاية، تشابكت يدها مقتربة من وجهها، وتساقطت قطرات دموعها عليهما، كاد قلبها ينفجر من كثرة نبضاته، سمعت صوت خطوات، ووجدت المكان حولها صار محاطا بالظلال، وخرج صوتها من حنجرتها متوسلا:

"أرجوك، لا!"

فجأة رأت شخصًا يخرج من ظل مقارب لها، معتدل الطول ورفيع بعض الشيء، هذا كل ما لمحته منه قبل أن تركض صارخة، ركضت بأقصى ما لديها، شعرت بأن قلبها سيخرج من صدرها من الرعب، أخذت تبكي بقوة، فجأة اصطدم رأسها أرضا، رفعته صارخة واجتاح جسدها ألم غير عادي، شعرت بأن يديها وقدميها يحترقان من كم الجروح التي أصابتها بسبب تعثرها بتلك الصخرة الضخمة، كان هناك ألم بشع بجبهتها كذلك، وتبلل حاجبيها بالفعل جراء الدم المتساقط من الجرح بجبهتها، سمعت خطوات تسير باتجاهها، حاولت الاستناد والوقوف، ولكنها سقطت بعنف بسبب تلك المحاولة، فيبدو أن قدمها قد كُسرت، عند ذلك الحد صار الألم لا يوصف، رفعت رأسها قليلا بيأس، لا تدري ماذا تفعل، رأت

أمامها زهرة صفراء امتزجت بالأحمر من الدماء التي تسقط من جبهتها، نسيت للحظة صوت الخطوات والجروح التي يمتلئ بها جسدها، والدم الذي يغطيها حين رأت تلك الزهرة بهذا الشكل، اتسعت عيناها وكأنها بدأت تستوعب شيئا ما، وأومضت في مخيلتها جملة واحدة كالشمعة البراقة ‹الزهرة الدامية›، تتذكر الآن، لقد أتت لهذا المكان لتحذر العالم من قاتل من الزهرة الدامية، لكن أين العالم؟ لقد كان هو وليليس على وشك الخروج من هذا المكان، لكن حدث شيء ما لا تتذكره ليليس، ولم يعد العالم برفقتها، ماذا حدث؟! فجأة شعرت بمن يقف خلفها ثم أصابها ألم برأسها إثر شد شعرها بقوة للخلف، ووضع نصل بارد على عنقها، لم يعد هناك سوى الدموع الصامتة فحسب، ثم رعب لا مثيل له، لم تعهده منقبل، ولم تظن أن هناك رعب مماثل له، فقد بدا أنه قادم من الجحيم، يبدو أن الرعب لم يصبها وحدها، فقد شعرت بالخنجر على عنقها يهتز بعض الشيء كما لو أن ذلك القاتل أصابه بعض التوتر، قاتل من الزهرة الدامية ويصيبه التوتر؟! لا تفسير لذلك سوى أن الصوت الصارخ الذي سمعاه منذ ثوان قادم بالفعل من صُلب الجحيم، تكرر الصوت لكنه في تلك المرة كان أقرب وأبشع، وضعت ليليس يديها على أذنيها إثر ذلك، كلا! كلا! لا تريد سماعه، فلتعد للأهوال التي أصابتها من قبل، فلتترُك وحدها في الدرب القاحل، فليتم سحق جسدها بالإصابات والكسور، فليفعل بها الفتى ثعبان البحر ما شاء، لكن لا تسمع ذلك الصوت مجددا أبدا، شعرت برأسها ترتطم أرضا إثر دفع القاتل لها بعنف، لكنها لم تهتم، ظلت واضعة

يديها أعلى أذنيها وهي تنتفض بقوة من الهلع، رأت القاتل المأجور يتجه لمصدر الصوت ثم يختفي بعد ثوانٍ مظهرا خلفه عديدًا من الظلال، لكنها سريعا ما انقشعت إثر ارتطام القاتل بالحائط، فقد تم دفعه بقوة جبارة، رأته يحاول النهوض لكن يبدو أنه أصيب بشدة، لكن رؤيته تلاشت حين رأت ذلك الشيء الذي يقترب منه بلمح البصر، لم تستطع حتى النظر إليه فقد أبعدت نظرها سريعً ا، فقد كان مسخًا، مسخا كل أجزائه ممزقة، متفحم كأنه خارج لتوه من نار الجحيم، ذو مخالب كالدب أو الذئب، بدا كالعذاب السائر على الأرض، حاولت الزحف مبتعدة، جسدها يحترق ويصرخ من الإصابات والكسر الذي أصاب قدمها لكن عليها الهرب! عليها الهرب من هذا الشيء فحسب! أخذت تشهق بقوة، لكن سرعان ما تحولت شهقاتها لصرخة عالية بسبب الكسر في قدمها، سمعت الصوت مجددا، صوت ذلك الشيء يتجه نحوها، لكنها لم تغطِّ أذنيها تلك المرة، بل أصابتها الهيستريا وهي تحاول الإسراع من تقدمها الذي لم يتعدَّ الخطوتين، على الرغم من كل المجهود الذي بذلته، في لمح البصر شعرت بجسدها يُرفع ويقذف كالجمرة ليصطدم رأسها بعنف بشيء ما ويزول كل شيء.

***

"كلا، أرجوك توقف، لا يمكننا مساعدتك فحسب"

"إذن فلا حاجة لي بكم"

انسلت تلك الأصوات لأذن ليليس ميقظة إياها، لتجد نفسها عند مدخل مقر الحالمين، أين العالم؟ ماذا حدث؟! حاولت استجماع ذاكرتها عما حدث، لكن كل ما تذكرته هو أن المعلم أمرها بالانتظار خارجا، ثم بدأت تسمع أصوات غريبة، تتذكر أنها عزمت على العودة له في أثناء وقوفها في هذا الموضع، ثم استدارت لتفعل ذلك ثم.. ثم لا شيء، لمحت في الحدائق الموجودة أمام المدخل شيئاً ما لفت نظرها لتتجه صوبه فيتعجب، وقفت هناك تصهل بقوة مئات الأحصنة السوداء، بدا شكلها مهيبًا بعض الشيء، من أين أتوا؟! أفزعها صوت صرخة قوية قادمة من داخل المكان، أين هو المعلم؟! أين هو؟! لم تدرِ ما الذي تفعله، لم تدرِ أي شيء سوى أنها وجدت قدميها تقودانها لا إراديا للداخل، كانت خفيفة كالريشة، لمحت في أثناء سيرها جثثاً ملقاة في الأرجاء، رأتها من قبل كعظام، لكن في هذه المرة رأت ملامحهم، رأت الدماء المتناثرة من أعناقهم، لكن ذلك لم يخفها، غريب، صعدت سلالم كثيرة ثم سمعت أصوات بكاء.

"سيتوقف كل ذلك بكلمة منك فحسب، يمكنك إنقاذ شعبك"

"الذي من المفترض أنه شعبك هو الآخر، لم أعد أرى لك سوى الندم المتبقي من عمرك على كل ما فعلته"

صارت الأصوات أكثر وضوحًا مع اقتراب ليليس لمصدرها، سمعت أحد الصوتين يضحك بسخرية:

"ترى لي؟! إذن لماذا لم ترَ لنفسك ما حدث اليوم لك ولشعبك، أحضر لي الآخر"

سمعت صوت امرأة تصرخ متوسلة:

"أرجوك، أرجوك، لا تفعل ذلك"

كانت ليليس قد وصلت بالفعل لمركز المقر، لترى ما يحدث الآن، رأت تجمعًا من الناس الذين يرتدون ملابس غريبة الشكل، تتكون من الأبيض والأخضر فحسب رجالًا ونساءً، ليست أعدادهم بالكبيرة، بل معتدلة، تقارب الخمسين، لم تبد ملامحهم واضحة للغاية، لكن ما بدا واضحا هي حالتهم النفسية المدمرة، فقد كان بعضهم يبكي بينما أغلبهم منكسَ الرأس، تتوسطهم امرأة عجوز بعض الشيء، ذات شعر أبيض طويل للغاية، رافعة رأسها بكبرياء مبدية وجهًا جامدًا، يحاوط هؤلاء الناس عديدٌ من الجنود ذوي أدرع سوداء تماما، لم ترَ ليليس مثلها من قبل، بينما يقف أمام تجمع الناس مجموعة من الجنود كذلك يتوسطهم شخص يبدو قائدهم، لا يرتدي خوذة حرب كجميع الجنود، لم تلمح سوى شعره الأسود كالفحم، نظرا لأنها كانت تقف خلفه، في الأطراف وجدت عددًا لم تستطع إحصائه من الجثث التي بدا أن بعضها قد

حُرق، وبعضها قد مُثل به، وبعضها قد تم تعذيبه بضراوة، جميعهم من ذوى الثياب ذات اللونين الأبيض والأخضر، كان أحد الجنود يجر الآن رجلا منهم لمنتصف القاعة، بينما أخذت تتوسل امرأة بتركه، تم ركل الرجل لكي يصير مستندا على ركبتيه، بينما وقف خلفه الجندي وهو واضع خنجرًا على حلق الرجل، ابتلع الرجل أنفاسه وحاول رفع رأسه بكبرياء، فجأة هرعت المرأة الباكية لقدمي العجوز متوسلة إياها:

"أرجوك، أرجوك، فلنفعل ما يريده فحسب، أرجوك، أتوسل إليك» نظرت لها العجوز ببعض الأسى، لكن سرعان ما جذب انتباههم صوت الرجل الجاثي أرضا ويبدو أنه يوجه حديثه للعجوز:

"سيدتي فقط أخبريني، هل أبلينا حسنا؟!"

رفعت العجوز رأسها مجددا بشموخ غير مستجيبة للمرأة الباكية، وأومأت للرجل الجاثي، فأومأ لها بدوره، وظل رافعا رأسه بفخر، أخذت المرأة الباكية تنوح بقوة، بينما أشار القائد ذو الشعر الأسود برأسه للجندي الممسك بالخنجر، فقام بنحر عنق الرجل ليسقط على الأرض سريعا منتفضًا، إلا أن الحياة لم تكن غادرته تماما؛ فقام أحد الجنود بإضرام النار بوجه الرجل وإحدى ذراعيه سريعا ليصير مظهر ذلك الرجل في أثناء مفارقته للحياة وصوته الذي يحاول الصراخ من فرط الألم، لكنه لا يستطيع بسبب القطع الموجود بعنقه، منظر

يدُمي القلوب، انتفضت جثة الرجل للمرة الأخيرة، وصار جثة بلا روح، ثم قام أحد الجنود بسحبها حيث توجد باقي الجثث، صرخت المرأة التي كانت تبكي من قبل بقوة محاولة الركض تجاه قائد الجنود وقتله فقط ليتم قتلها وسحبها لجهة الجثث هي الأخرى، مما زاد بكاء وصراخ تجمع الناس، ما هذه المجزرة؟!

تساءلت ليليس بصدمة، ما الذي يحدث هنا؟!

"أرادت إنهاء حياتها سريعا، يا للخسارة" أردف القائد.
"إذن أيتها الحكيمة أستنصاعين؟!"

لم تتغير جدية العجوز وشموخها مما جعل القائد يتحدث مجددا آمرا جنوده:

"إذن أحضروا التالي!"

"ما تفعله لن يفدك بشيء!"

كان ذلك صوت شابة تقف بجوار العجوز تماما، وبدت تشبهها بعض الشيء، أشار القائد بيده للجندي بالتوقف عن جلب أحد الأفراد لمنتصف القاعة، تقدمت الشابة قليلا وبدت على العجوز علامات التوتر، أكملت الشابة:

"تريد إعادة مجد شعبك؟! كيف وأنت تبطش به؟! نحن من شعبك!

يجدر بك حمايتنا ليس ذبحنا كالخراف، لم يكن أخاك دوكتوس ليفعل ذلك أبدا»

"أتتحدثين عن ذاك الخاضع الخانع؟! دوكتوس الذي أراد المحافظة على ما تبقى فحسب! أنا أريد إعادة ما ضاع وسأفعل ذلك"

"أنت تحتاج مساعدتنا وتقتلنا واحدا تلو الآخر، تعلم أننا لن ننصاع، والدتي وسيدتنا جميعا لن تنصاع، لن تستفيد بأي شيء حينما نكون جميعنا موتى"

عم الصمت قليلا ثم تحدث القائد:

"أهذه ابنتك أيتها الحكيمة، إنها تعجبني، ذكية حقا" أومأ القائد ثم أكمل:

"حسنا يا عزيزتي، سأرى إن كانت أمك ستنصاع أم لا! "ثم أشار للجندي بجلب الشابة لمنتصف القاعة، بدا الخوف على معالم العجوز مخفية خلفها أي شموخ أو كبرياء سابق، هزت الشابة رأسها لوالدتها بشجاعة تحدث القائد مجددا:

"حسنا أيتها الحكيمة لنرى كمَّ ما قد تتحمله ابنتك"

سرعان ما التفت ليليس مبعدة وجهها عما شاهدته منذ ثوان، لكنها ظلت تسمع صراخ الشابة في أذنها يزداد وتزداد وطأته، ويزداد معه صرخات الموجودين، لكنه خمد في النهاية تماما، التفت ليليس مجددا بعد ثوان لتجد العجوز جاثية أرضا تتنفس بقوة، بينما يبدو على وجهها الدمار النفسي.

"إذن هل راجعتِ قرارتك أيتها الحكيمة؟!"

نظرت له العجوز نظرة بدا بها كمٌ كراهية وألم غير عاديين.

"أنت وحش! أنت لست أفضل من الشعبين! أنت ببشاعتهما، وربما تزداد عن ذلك، تستحق كل ما حدث لك ولشعبك القذر!"

قالها أحد الرجال الواقفين في التجمع ثم بصق باتجاه القائد.

"أقدس بك أنت وشعبك أيتها الحكيمة شجاعتكم، إنها حقا مثال للفخر"

قالها القائد مشيرا للجندي بإحضار الرجل لمنتصف القاعة، هم الجندي بإعدام الرجل لكن القائد أوقفه:

"كلا ليس بالخنجر"

أومأ الجندي متوقفا، بينما أحضر له جندي آخر شعلة كبيرة الحجم، لم تستطع ليليس إكمال رؤية كل ذلك، كان أبشع مما ينبغي، همت أن ترحل بينما الصراخ يزداد، لكنها توقفت حين وجدت جنديّاً يدخل القاعة ساحبا امرأة خلفه ترتدي شالًا ووشاحًا طويلين لونهما أسود، يبدو أنها تخفي شيئا ما بهما فقد بدا حجمها غير متناسق.

"أيها القائد، لقد وجدنا إحداهما"

نظر القائد للمرأة بينما تم سحب جثة الرجل بعيدا، في هذه المرة استطاعت ليليس لمح بعض ملامح الرجل، كانت نقوش سوداء لم تعهدها من قبل تغطي وجهه، بينما يغطي اللون الأسود أغلب عينيه، توقف أمام المرأة مردفا:

"لم أكره في حياتي أكثر من الخونة والمتخاذلين"

"أين الآخر؟!"

وجه القائد السؤال للجندي الذي أتى بالمرأة ذات الوشاح الأسود.

"لم نجد سواها حتى الآن، وجارٍ البحث عن الرجل الآخر،

لكنك ستعجب حقا بما وجدناه برفقة هذه"

أمعن القائد النظر إليها ليجد أن شيئا ما يرتعش أسفل شالها.

"أخرجيه الآن!"

قال القائد آمرا، نظرت المرأة بأسى نحو العجوز لتجدها غير منتبهة لهم في الأصل، وتنظر جهة الجثث بغير تصديق، تنهدت المرأة ثم أخرجت طفلًا صغيرًا كانت مخفية إياه في شالها، صبي يبدو أنه لا يتجاوز الثلاثة أعوام يرتعش بقوة، حمله القائد متأملا ملامحه، ثم أخذ يضحك بقوة كأنه أدرك شيئا ما، ثم أشار للجندي بأخذ المرأة من أمامه آمرا إياه:

"اجلدها حتى لا تستطيع الوقوف على قدميها، لكن لا تقتلها، فيجب إعدام الخونة بيدي أنا"

اتجه القائد للعجوز متأملا الطفل وهو يقول:

"كانت والدتك حقا شابة شجاعة، سنرى إن كنت مثلها أم لا! "صار القائد واقفا تماما أمام العجوز:

"أيتها الحكيمة، ألم تشتاقِ لحفيدك؟!"

نظرت الحكيمة جهته بصدمة وعيناها منصبة على الصغير بين ذراعي القائد، ابتعد القائد لمنتصف القاعة مردفا:

"إذن أيتها الحكيمة، بمَ تقترحين أن يتعرض له الصغير أولا، لا تقلقي سيتعرض لكل شيء، سأحرص أن يكون موته أبطأ ما يكون، لكن سأترك لك اختيار ما سأبدأ به"

توقفت العجوز سريعا متجهة للصغير، قام باعتراض طريقها أحد الحراس وهي تهز رأسها بغير تصديق، نظرت للجندي بغير تصديق ثم لباقي الجنود.

"لماذا؟! لماذا تتركوه يفعل ذلك؟! كيف تتركوه يفعل ذلك؟!" لم يجب أحد من الجنود بعضهم خفض رأسه للأرض فحسب

"لا تحاولي أيتها الحكيمة لن يعصوني، لقد حرصت على ذلك، لقد حاولوا الرفض، لكني علمت جيدا ما يسيرهم هو تماما ما يسيرك الآن 'العائلة'، 'الأحبة'، لن يروهم مجددا إذا عصوا، ماذا ألم تري ما حل بهم؟!"

أعطى القائد الطفل لجندي وكان على وشك الإشارة لجندي آخر حينما صاحت العجوز:

"كلا، لا يمكنك فعل ذلك!"

حينها ذهبت نبرة القائد الساخرة وتحولت لنبرة يملئوها الغضب والغل:

"أخبرني أخي عديدًا من الحكايات في صغرنا عن عظمة حضارتنا، عن مجدها، عن تقدمنا وازدهارنا، أخبرني كذلك أننا نعيش حروباً في هذه الفترة حروباً مع شعب حقير بقائدين، أحدهما أصفر العينين والآخر أحمر العينين، شعب يريد أرضنا وكل ما نملك، أخبرني أنها فترة من الزمن حتى نتخلص من هؤلاء القوم ونستعيد مجدنا، أخبرني أخي كذلك أن لديكم علم ورؤيا قد توقف كل ذلك وتنصرنا نحن، شعبكم، لكنكم 'لا تريدون إزهاق الأرواح' على حد قوله، لكن أتدرين ما لم يخبرني به أخي، أننا سن هُزم وسنلجأ نحن أصحاب الأرض لعمل هدنة مع الشعب الذي انقسم لشعبين لكي نعيش على أرضنا" قهقه القائد بسخرية مكملا:

"أتتخيلين، لكي يسمحوا لنا بالعيش على أرضنا! ثم حين نحاول أخذ ما هو ملك لنا، الشعب الأحمر القذر يغتالنا ويضعف أعدادنا لتدُمر بصورة أكبر مما دُمرت بعد هزيمتنا الأولى، ثم نطُارد كالكلاب ويتم إحراق أعداد لا تحُصى منا وهم أحياء في أثناء هروبنا عبر الدرب القاحل، نصير منبوذين هاربين مختبئين في أقاصي الأرض التي هي ملكنا! وفي النهاية حجتكم لعدم مساندتنا في الحرب هي أنكم 'لا تريدون إزهاق الأرواح' ؟!

لقد قتلت أخي! أسرت عائلات جنودي! قتلت المئات وعذبت العشرات من شعبك! ولن أتوقف عند هذا الطفل!» قال القائد مشيرا لحفيد العجوز:

"لن أتوقف حتى إن قتلتكم جميعا! لن أتوقف حتى إن دمرت هذه الأرض تماما! حتى وإن تحالفت مع الشيطان! حتى أسترجع مجد إخوة الظل وأدفن الشعبين تحت التراب!"

"لا تحتاج للتحالف مع الشيطان، ستراه إن نظرت في المرآة" أردفت العجوز بهدوء، أومأ القائد ثم أشار للجندي الذي قام بدوره بإخراج خنجر والاتجاه صوب الصغير، ازدادت رعشة الصغير وأخذ يبكي، بدا أن العجوز تجاهد كي تظل متماسكة، نظر القائد نحوها وابتسم بسخرية وهو يشير للجندي بيده أن يتوقف:

"من المبهر رؤية قوتك أيتها الحكيمة؛ لم يكن جنودي حتى بتلك القوة حينما تعلق الأمر بأحبتهم! لكن لكل قوة حد ما!"

لم يكد القائد ينهي جملته حتى أخذ الخنجر من يد الجندي وقطع بها إحدى أذني الطفل الصغير سريعا، صرخ الطفل بصورة هيستيرية، بينما سال خيط من الدماء من موضع القطع، علت الشهقات وازداد ذوي الرداء الأخضر والأبيض ارتجافا وعويلًا، بينما بدأت أطراف العجوز نفسها بالارتجاف وهي تنطق بكلمات غير مفهومة بصدمة، أعاد القائد للجندي

خنجره مردفا:

"الأذنان أولا ثم العينان ثم ما يليهما" هم الجندي بالتوجه نحو أذن الطفل الأخرى.

"توقف، توقف، حسنا"

صاحت العجوز، أشار القائد للجندي بالتوقف، هدأت العجوز لوهلة ثم أكملت:

"هناك سحر يمكن لشعبي استخدامه لإفناء الشعبين، لجعلهم لا يملكون أرواحهم أو أنفسهم، لكن ليحصد ثماره عليك بالصبر"..

صمتت العجوز وبدا عليها أعتى علامات الندم، تحدث القائد:

"استمري بالحديث"

بدا أن العجوز تصارع نفسها كي تكمل حديثه.

"سنصنع المرايا العظيمة!"

دُهش من كانوا يقفون لجوارها من أتباعها لكنهم لم يعلقوا.

إذن فالحالمون هم من صنعوا المرايا العظيمة، ما تراه ليليس الآن كان هو البداية للعنة التي يعاني منها الشعبان حتى الآن.
أكملت العجوز:

"إنها مرايا سيعتمد سحرها على أرواح الحالمين الأحياء منهم والأموات، ستنص على قانون لابد أن ينصاع له الشعبان وإن لم يفعلا فسيفنيان"

"ما هذا الحل الغريب والكلام المبهم؟ وماذا إن انصاعا لذلك القانون؟!"

تساءل أحد جنود القائد لتجيبه العجوز بهدوء:

"وإن انصاعا للقانون فسيفنيان، وسيكون ذلك بيد أحد أطفالهم، وستكون علامته أنه رامي أسهم يرتدي السواد"..

عم الصمت لوهلة ثم تحدث القائد بحزم:

"أريد ما يدمر الشعبين تماما! لا أهتم بماهيته! فهل ما تتحدثين عنه الآن سيفعل ذلك بصورة مؤكدة؟"

"سأعطيك ما تريد! سأعطيك ما سيدمر الشعبين تماما!"
كانت نبرتها هادئة للغاية، رفعت العجوز نظرها، حسبت ليليس أن العجوز ستنظر للقائد، لكنها كانت تنظر لها هي.. لليليس!

وفي عيونها رأت ليليس ما لم تستطع وصفه، بدا الأمر كسماع مقطوعة موسيقية حزينة في أثناء انهيار العالم، كالسير أعلى خيط رفيع في محاولة اجتياز المحيط، بينما الوحوش أسفلك تتربص بك، ففرصة النجاة شبه معدومة، لكن على الرغم من ذلك، فالهدوء هو الغالب، فأي شيء دون ذلك سيدمر القشة الأخيرة لعدم التحول للجنون. فجأة ابتسمت العجوز بلطف لليليس وهمست:

"استيقظي يا ليليس»

دُهشت ليليس لذلك، فكيف علمت تلك السيدة بوجودها؟! كيف عرفت اسمها؟! بل كيف سمعت ليليس ما همست به تلك المرأة في الأساس؟!

لكن ليليس سرعان ما شعرت بدوار تزداد حدته سريعا، ثم انقشعت الرؤية من أمامها لتسُتبدل برؤية أخرى، لم يعد هناك أشخاص يرتدون الأبيض والأخضر ويتم ذبحهم، لم يعد هناك جنود ذوي دروع سوداء غريبة المظهر، لم ترَ سوى كائن بشع ينهش في فريسة ما في القاعة نفسها، كانت هناك دماء متساقطة من جبهتها شوشت الموجودات من أمامها بعض الشيء، شعرت بجسدها ينهض مترنحا ليخرج من هذا المكان متجاهلا صوت الكائن البشع الذي صار تأثيره بها كتأثير صوت الرياح، لا شيء فحسب، لم يعترض مسارها أحد، فقط جثة لشخص تشعر كأنها كانت تعرفه، ربما في حياة أخرى،

كانت قدمها تعيق حركتها وتصدر صوتا غريبا، صوت يشبه الطقطقة، لكنها لم تهتم، لم تشعر بها، لم تشعر بأي شيء، لم تشعر بذاتها، حتى وهي تخرج من ذلك المكان، لم تدرِ أهي من أخرجت نفسها أم شخصًا أو شيئا آخر، لم تدر أهي مخيرة أم مسيرة، لم تدرِ سوى أنها ‹ستعيد الحالمين›.

***

دورسيرا، أختاه، أتفهم لماذا فعلتِ ما فعلته، دومين تخطى حدوده وتسبب بمقتل جوزيف، أنا لا ألومك على أي قرار اتخذته، لذا سأكون في غاية الوضوح، أنا مستعد لعقد هدنة معك ومع «بودير»، وسأعترف بأن «بودير» الملك، وستعود كيرا لك سالمة، لا تقلقي إنها على ما يرام، لقد تسببت بعديدٍ من الأخطاء التي جعلت كثيرًا يسخط حيالها، لكنني تأكدت من أن يعلم جميع الناس مكانتهم، ويعلموا أن كيرا في النهاية هي ابنة الملكة وأختي الكبرى دورسيرا، أنا في أتم الاستعداد لعقد الهدنة، لا ينقصني سوى موافقتك أنتِ وجلالة الملك «بودير».

أخوك الأمير نايلس

جلالة الملكة دورسيرا! يا له من لقب يا أختاه! تستحقينه عن جدارة، أردت طمأنتك فحسب على فين، فهو لدي الآن بالمملكة الشرقية، أنقذه جنودي في أثناء تمشيطهم لمنطقة مقاربة لوادي الأسود، لا أدري ما سبب تواجده بذاك المكان، لكنه كان مصاباً بإصابات بالغة بسبب حيوان بري ما، إنه فاقد الوعي في الوقت الحالي، إن أردتِ يمكنني بعثه لكِ، لكنني لست واثقاً بأنه سينجو من رحلة كتلك، فالحكماء أمروا بملازمته للفراش حتى تتحسن حالته، أو يفيق، لكن القرار يعود لكِ أختاه.

الأمير ميستريو

جلالة الملك «بودير»، أنا في طريقي لقرية لوستيا بأقاصي الجنوب، حسب كلام جنود الملكة دورسيرا، فذاك هو المكان الذي اتجه نحوه ذاك العالم ومساعدته، لكن هناك ما أثار ريبتي، وهو مجيء كثيرٍ من المسافرين الهلعين من تلك القرية نحو ليس الكبرى قائلين بأنهم سمعوا أصواتاً تشبه الجحيم تدوي من الأراضي المحيطة بأنقاض مقر الحالمين، يقولون أن الموت أهون من تلك الأصوات، قد نكون على مشارف أحداث عاصفة كموسم الأمطار القادم، فقد سمعت تكهنات من بعض العلماء بـ ليس الكبرى أنه ربما سيكون أشد موسم أمطار نتعرض له، لكن هذا ليس بالمهم على أيّة حال، سأتم مهمتي وأعود للعاصمة الأم.

قائد الجيش

الفارس رادو

للتواصل مع الكاتبة



منار بدر الدين

www.facebook.com/manar.badr1



Manar Badr Al-Din - منار بدر الدين

@manar.badrr

www.facebook.com/manar.badrr

فجر المرايا
مَولد الظل

"نحن إخوة الظل نعدكم أنكم لن تعيشوا في أرضنا في سلام، وستدمرون أنفسكم كما دمرتم شعبنا وسيولد طفل من نسلكم ويؤدي لدماركم تماما، هذا قانونكم الجديد..."

بعد ٧ قرون على ظهور اللعنة التى مُنى بها الشعبين، تعود مخالب الظلال متسللة من ثنايا المملكتين مطوقة قبضة شعبيهما، مهددة إياهما بالفناء.

وعد قديم، وطفل ما كان له أن يولد، عالم بأقاصي البلاد في محاولة لإزالة اللعنة، أمير يبحث عن ترياق لوباء غامض، صراعات، وخيانات، ووسط هذه الأوضاع المزعزعة تعود أصداء النبوء لتتكرر من جديد.

لتفجر الشرارة التي قد تدمر الشعبين اللذين ظلا متحدين لمئات السنين..



منار بدر الدين

روائية مصرية، درست تربية طفوله مبكره لذوي الاحتياجات الخاصة بجامعة المنصورة، كاتبة مقالات ميثولوجيا وتاريخ وعلم نفس، صدرت روايتها الأولي (فجر المرايا) اواخر ٢٠٢٠ وهي الجزء الاول من سلسله فانتازيا ملحمية بنفس الاسم تم تصنيفها من النقاد كواحدة من أفضل ٤ روايات فانتازيا لعام ٢٠٢١، روايتها الثانية فجر المرايا (موسم الرماد) هي الجزء الثاني من سلسلة فجر المرايا

SANDOBY



ضياء
t.me/twinkling4

إبهار
للنشر والتوزيع